مؤسسة المحكمة الثقافة الإسلامية
٤٧
Yanabee'a
ينابيع
مَجلّة ثقافيّة تُعنى بنَشر فكر أهل البيت عليهم السلام/ السّنة ٩/ العدد ٤٧ رجب ـ شعبان ١٤٣٣هـ/ حزيران ـ تموز ٢٠١٢م

مسجد الحمراء ومقام النبي يونس(ع).. استطلاع مصوّر

هوية المذهب الشيعي

Yanabee'a

ينابيع ٤٧

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام

السيد عبد الحسين القاضي

مدير التحرير

حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص

ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني

وسام مسلم المظفر

علي جياد حسن

كرافيك

حيدر محمد الطريفي

التنضيد الإلكتروني

محسن جاسم العبدلي

ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

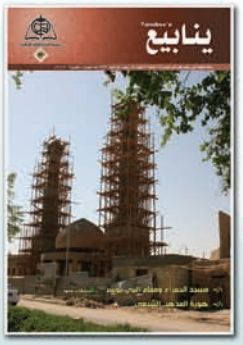

استطلاع مصور:

مسجد الحمراء ومقام النبي يونس[ع]

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ٢٠٠٥/١١/١٦ م

- المقالات تعبر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات الى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات الى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

عيد الله الأكبر

قصيدة:

مولاي حيدر

عدي حسن كرماشة •
لندن/ المملكة المتحدة

مولاي حيدرُ كيف أختصرُ ... وبمعجزاتك تنطقُ السُورُ
واللّه خصك من خليقته ... سرًا فريدًا فيك مُدّخرُ
ولقد يُغيّبُ عن مداركنا ... أمرٌ يضرُّ جلاؤه النضِرُ
كالنور يسحرُ عينَ ناظره ... فإذا أفاضَ سيُكسَفُ البصرُ
يا مولدًا والحقُ أجمعُهُ ... في مولدٍ قد كان يُنتظرُ
في الكعبة الغراء شرَّفها ... طفلاً وفيه الفخرُ يفتخرُ
عرفتْ قداستَه فكان على ... وعد الولادة تفلق الجُدُرُ
للآنَ موضعُهُ كتذكرة ... بالمعجزات ويصدعُ الأثرُ
مولاي حيدرُ أيَ منقبة ... تشذو وغيرَك ذكرُها العطرُ
قلتُ الشجاعة وَهي حيدرةٌ ... سيفًا وكفًا خطبُهُ خطرُ
أو قلتُ بدراً تلكَ صاعقةٌ ... حاقت بجيش أينما نظروا
فرأوك في جُندٍ مسوّمةٍ ... وغدوتَ وحدَك ثأرَ مَن ثأروا
أو قلتُ أُحُدًا ويحَ شدَّتِها ... والمصطفى بالسيفِ يبتدرُ
فوثبتَ منفردًا تصولُ على ... جيشٍ تألَّبَ حقدُهُ الأشرُ
فدفعتهم كالليث ترعبهُم ... مِن بعد ما خذلوك مَن ذعروا
وكفى بخيبرَ خزي قلعتها ... بابٌ تئنُّ لحَطمِهِ الكِسَرُ
قد شوهدت آثارُ مقدرةٍ ... ما لا يطيقُ العقلُ والنظرُ

قلتُ السماحة وَهي حيدرةٌ ... هيهاتَ يرقى جودَك المطرُ
رُغمَ الخصاصة كنتَ مُبتذلا ... مالا لو استجداكَ مُفتقرُ
سيَّان صفراءً تقسِّمُها ... عدلًا وبيضاءً لمَنْ أجروا
ما راودتكَ بُروقها أنفاً ... وبمثل ذلك يُحمَدُ الصَّعَرُ
والعدلُ ميزانٌ ترجّحُهُ ... حججُ اليقين ومنطقٌ دُرَرُ
فإذا ادَّعى داعٍ فبيِّنةٌ ... وعلى اليمين يُدان مَن نكروا
يا أيُّها الفذ الذي عجزت ... عنهُ الشروحُ وحبُّهُ يَسِرُ
دعْ عنكَ تعرفهُ وتفهمُهُ ... واعشقهُ حسبُ يَنالُكَ الظفرُ
يا منقذًا مَن فيهِ يأتزرُ ... ومُسدِّدًا مَن خطوُهُ عثرُ
كم طاولَ الأقزامُ حيدرةً ... فهوَوا وقد أزرى بهِمْ قِصَرُ
وعلوتَ حتى ليس مِن أحدٍ ... يعلو عليكَ وجنسُهُ بشرُ
إلا النبيُّ محمدٌ ولقد ... آخاكَ فيمَا فيه يفتخرُ
لا ندَّعي علمًا بمنزلة ... تختصُّ فيكَ تهابُها الفِكَرُ
حسبُ المُوالين حيدرةٌ ... ومحمدٌ والنورُ مُنشطِرُ
مولاي حيدرُ منكَ أعتذرُ ... غصصٌ بنا في الصدر تستعرُ
قد ندّعي فرحًا بمولدكم ... لكنَّهُ ما قاسَمَ الكدرُ
مولاي حيدرُ مسَّنا ضررُ ... وبمِثل سيفِكَ تُدرأ الغِيَرُ
كُنّا وكانت كوفةٌ قُطُبًا ... وتدورُ في أفلاكها الدررُ
قد كانَ حيدرةٌ بمسجدها ... أمنًا كما في الليلة القمرُ
وعلى الثرى المدحو راسية ... قببٌ لكل مؤمَّلٍ وطرُ
شرفت بحيدرة الهدى نجفٌ ... تحيى بقلبٍ نبضهُ عِبرُ
نهج البلاغة للكتاب صدى ... والترجمانُ لقولِكَ السُورُ
مولاي حيدرُ كيف نصطبرُ ... والعنفوانُ الحُرُّ مُنكسرُ
أممٌ تبادُ وتصطلي حمماً ... والسفكُ يوصفُ أنهُ خبرُ
والناسُ بين صراع لقمتِها ... وجنون معتوهٍ سينتحرُ
بلدٌ غدا سوقاً لمُعترك ... بدم العراقيين يُتّجرُ
الأقربون بفحشهم فخروا ... والأبعدون بجرمهم فجروا
والدينُ راياتٌ وأحزمةٌ ... للنسفِ باسم اللّه تنفجرُ

ص ١٠

ص ٢٦

ص ٣٤

ص ٦٢

كلمة العدد

المواسم الدينية وضرورة استغلالها

المشرف العام ٨

قرآنيات

القراءة اللغوية للنص القرآني

أ. د زهير غازي زاهد ١٠

مقتضيات قبول العبادة في المنظور القرآني

محمد كاظم حسين الفتلاوي ١٤

آمن الرسول

هوية المذهب الشيعي

الشيخ مجتبى القائني ٢٦

تحقيقات

مسجد الحمراء ومقام النبي يونس عليه السلام

حيدر الجد ٣٤

واحة الأدب

باب حطة بين المفهومين المجازي والمكاني

ح. ش ٥٠

يصح الوجهان

ضياء حسن ٥٢

السجع في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

أ. م. د عباس علي الفحام ٥٨

قراءة في تراث مصطفى جواد

د. زهير جواد ٦٢

نقاء القلوب

بنت العراق ٧٦

للفضيلة نجومها

السيد حسين القمي الحائري

د. سلمان هادي آل طعمة..... ٧٨

مع الشيخ محمد حسين المظفري

حيدر المالكي ٨٨

طروحات عامة

ملامح من البعد الاقتصادي في عهد مالك الأشتر

حسين جودي كاظم..... ٩٨

ثقافة السجن والسجين في أيديولوجية الكاظم عليه السلام

حسين جهاد الحساني..... ١٠٤

الصوم منزلته وحقيقته

أم نور الزهراء الدجيلي..... ١١٢

حركة الترجمة والتأليف في المخطوطات العربية

كريم نصيف الجميلي..... ١١٨

الوهابية نباح مسعور لاستهداف المراقد المقدسة

فائق الشمري..... ١٢٤

التطرف

الحاج فلاح العلي..... ١٣٤

دور المرأة العراقية في التربية الاجتماعية

حسنين جابر الحلو..... ١٤٠

قبل الكون ماذا كان؟

السيد عبد الأمير المؤمن..... ١٤٦

قراءات

داعية وليس نبياً

علي الفحام..... ١٥٠

أجوبة مسابقة العدد (٤٥) وأسماء الفائزين..... ١٥٨

مسابقة العدد (٤٧)..... ١٥٩

ص ٥٢

ص ٧٨

ص ١٠٤

ص ١٥٠

المواسم الدينية.. وضرورة استغلالها

بسم الله الرحمن الرحيم

شاءت المقادير الإلهية أن تختم الرسالات السماوية بشريعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، فهي الرسالة الخاتمة، باقية ما بقيت الدنيا، ومن الطبيعي أن تجري المقادير الإلهية وفق المعطيات الطبيعية ـ مع مزيد من التسديد والتأييد غير المنقطعين ـ في استمرارية هذه الشريعة. وإن من أهم عوامل البقاء والاستمرار لهذه الشريعة ما جعله الله تعالى من المواسم الدينية، فإن لها الحظ الأكبر في تنشيط المعتقدات الدينية، وربط الفرد المسلم بمبادئه ومقدساته، ليعيش بين الحين والآخر حالة متجددة مرتبطاً بالدين الحنيف، نظراً إلى أن القوى المادية تعايش الفرد المسلم ساعاته في الليل والنهار، وعلى مدى سني عمره، فلابد من فرض حالة دينية تروح وتغدو عليه بين الفينة والأخرى لتعيد له النشاط الروحي وتذكره بالمبادئ الدينية والأسس العقائدية التي فرضها الإسلام الحنيف. وإلا لتغلب الجانب المادي على الفرد ونسي ـ بمرور الزمن ـ ما تسمو له روحه وفطرته، فيصبح آنذاك كالحيوانات الهائمة لا يدري ما يراد به، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها).

وكلما يزداد ارتباط الفرد المؤمن بالمواسم الدينية التي من شأنها تذكيره بدينه وقيمه ومثلها العليا يقل تأثير الجانب المادي عليه، ويعيش حالة من المثالية التي تصبو لها الرسالة السماوية، وتؤكد ضرورة تحقيقها في المجتمعات المؤمنة.

ولا يعني ذلك ترك الدنيا والإقبال على الله تعالى بضرب من ضروب الترهب والتقشف والانقطاع عن المادة، بل من أجل تحقيق التوازن الفردي، والاجتماعي وفق المعطيات الطبيعية للبشر، فإنه مخلوق من المادة ومحتاج إليها طوال حياته.

لكن حيث كان التأثير المادي أقوى على الفرد من التأثير الروحي، جاء التأكيد على نبذ الدنيا والحث على الانقطاع إلى الله تعالى، والاعتبار بالقرون الماضية وما جرّت عليهم الدنيا من المصائب، فأبعدتهم عن الغرض الأسمى، وأوقعتهم في المهالك والمزالق، لذا ورد عنهم عليهم السلام مع مزيد من التأكيد والحث استحباب التفكر والتأمل، ولو بأن يمر الفرد على الخربة ويقول: أين بانوك وساكنوك

ليكتسب مزيداً من العبرة ويتعظ بما مضى ومن مضى من أقرانه وأشباهه.

وقد حفلت الأحاديث الشريفة من المواعظ والعبر ما أغنانا عن تجشم عناء البحث والتمحيص في هذا المجال، ولنا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري خير واعظ حيث قال ـ في معرض بيان فضله وسابقته إلى الإسلام، وما تقتضيه طبيعة الإمامة من التقشف، ثم ذكر فدك وغصبها: (وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدثٌ، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرةٌ لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتيَ آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق..) وهكذا إلى كثير من المواعظ والتذكير بالله تعالى والمصير الذي لابد من أن ينتهي إليه كل البشر. وتتضح الحاجة إلى التذكير والوعظ إذا لوحظت القوة المادية، وأنها غالباً ما تكون هي الغالبة على الجوانب الروحية والفطرة التي فطر الله الناس عليها، فتأتي ضرورة التأكيد والتنبيه والالتفات وعدم الغفلة عن المبادئ الدينية والارتباط بالدين الحنيف.

وإن المواسم الدينية الشريفة التي فرضتها الرسالة الإسلامية لهي من أهم عوامل التذكير بالله تعالى والتنبيه من استحواذ المادة على الفرد المؤمن ليبقى متيقظاً مهما بلغ انغماسه في الدنيا، لأنها في الحقيقة مواسم إنابة وعودة إلى الدين، لخلق حالة من التوازن في واقعه الفردي والاجتماعي. بل نرى حاجة النفس حاجة ملحة إلى المواسم الدينية لتريحها من التعب الجسدي من جراء الولوغ في الدنيا، فإن الروح تحتاج إلى الغذاء كما يحتاجه البدن، وغذاء الروح الارتباط بالله تعالى والعمل وفق الشريعة المقدسة والمواسم الدينية ظرف صالح للعمل.

وإن من أهم المواسم المشار إليها الأشهر التي نحن على أبوابها، فإنها حافلة بالفضل، مليئة بالعمل العبادي على طولها، بأيامها ولياليها، خصوصاً ما يستعقبها من شهر رمضان المبارك الذي هو خير الشهور، وأيامه خير الأيام، وساعاته خير الساعات، كما حفلت النصوص الشريفة بذلك.

فنسأل الله تعالى أن نكون ممن يغتنم الفرص، ويصقل مبادئه وقيمه في المواسم الدينية، وينيب إلى الله تعالى بعد فترة من الركود الروحي والانشغال بملذات الدنيا والابتعاد عنه سبحانه، كما نرجو من المؤمنين أن يستثمروا هذه المواسم، خصوصاً في هذه الظروف التي عظمت فيها أسباب الابتعاد عن القيم والمبادئ، فقوى تأثيرها وانتشرت أسبابها انتشاراً ـ ربما ـ لم تشهده مجتمعاتنا قبل ذلك، حتى أصبحت آليات الفساد في متناول كل فرد مهما بلغ من العلم أو الدين، فعظم الصراع، واتسعت دائرة الانحراف والانجرار وراء الشهوات. لذا لابد من استثمار المواسم الدينية أكثر من ذي قبل. والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المشرف العام

القراءة اللغوية للنص القرآني

أ. د. زهير غازي زاهد ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

قسم ابن عباس تفسير القرآن على أربعة أوجه جعل الوجه الأول ما تعرفه العرب في كلامها[1]. وهو ما يرجع فيه إلى لسان العرب وأساليبها ومرجعه إلى أمرين أحدهما اللغة ومعاني مفرداتها. والآخر الإعراب. وهو ما وصف بالتفسير اللغوي، ويعتمد على نقل الآثار مع الاجتهاد في معرفة مطابقة الألفاظ معانيها.

وهذا التفسير صار مرجعا لأصحاب التفاسير الواسعة بعد ذلك.

فالتفسير اللغوي يعتمد على الفقه بالعربية وأساليبها واستعمالاتها والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها.

والقرآن الكريم إنّما نزل ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[2] وتصداق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**..﴾[3].

فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسالة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من التلخيص.وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني[4].

بهذا الكلام يبدأ أبو عبيدة(ت٢١٠هـ)كتابه (مجاز القرآن) ولكن مع اتساع نطاق الإسلام واختلاط المجتمع العربي وظهور اللحن على الألسن في وقت مبكر، تروي بعض الروايات ظهوره في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وآخرى في عهد عمر ثم إشارة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أبي الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) بوضع ما يضبط اللسان لسماعه اللحن في البصرة بعد حرب الجمل،كانت الحاجة ماسة إلى هذا التفسير اللغوي، وأول من عني به عبد الله بن عباس(ت٦٨هـ) وهو بعد الإمام علي عليه السلام من الصحابة الذين كثر التفسير عنهم، فقد وصف ابن عباس بأنه حبر الأمة وترجمان القرآن وقد دعا له النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (اللهم فقهه بالدين

وعلمه التأويل) فقد كثرت الرواية في التفسير عنه حتى كان النصف من الأحاديث الواردة في التفسير مسنداً إليه[٥].

ثم اتسعت الحاجة إلى معرفة دلالات مفرداته وتراكيبه فبدأ التأليف في معاني القرآن وإعرابه على أيدي النحويين فجهودهم في هذا المجال كانت بداية التفسير الذي تطور واتسع إلى أنواع التفسير الأخرى، ولكنها جميعا أساسها المعرفة والإلمام بعلوم اللغة، لكن التفسير اللغوي في عرف بعض الفقهاء والمحدثين المتزمتين لا يبعد عن تفسير القرآن بالرأي وبخاصة احتجاجه بالشعر، فيرون أن التفسير باعتماده على النص وحده وفق استعمالات العرب، لا يصح في القرآن، فقد روي أن احمد بن حنبل نهى أبا عبيد القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ) أن يتخذ أبا عبيدة والفراء(ت٢٠٧هـ) أما مين يحتج بهما في معاني القرآن[٦].

قال أبو بكر بن الأنباري(ت٣٢٨هـ) قد جاء عن الصحابة والتابعين كثير من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة، لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقران، قالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث؟

قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ يوسف/٢.

﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً..**﴾ طه/١١٣، ﴿**.. وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ النحل/١٠٣، ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ الشعراء/١٩٣-١٩٥.

قال: ابن عباس: الشعر ديوان العرب فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، ثم اخرج أبو بكر من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر...[٧]" .

وذكر البدر الزركشي في كتابه (البرهان) النوع الثامن عشر (معرفة غريبه)... ان هذا الفن ضروري للمفسر وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى ونقل أقوالا عن العلماء في ذلك.

وذكر ان السلف أو كثير منهم تهيب تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذرا ان يزلوا فيذهبوا عن المراد، وان كانوا علماء باللسان فقهاء بالدين[٨].

ان هذا النقد والرفض للتفسير اللغوي لا يدل على نظر سليم،فقد قدم هذا التفسير اللغوي دراسات جادة للنص القرآني وهو توثيق له وتحليل لتراكيبه وتوضيح لمبهمه، ثم هو كان الباب للتفسير الموسوعي فهو مما اعتمد عليه المفسرون ولم يستغنوا عن شيء منه حتى قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش، وابن الأنباري[٩].

أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس:

تعد هذه المسائل بداية الحاجة إلى التفسير اللغوي وان سبقتها استفسارات عن غريب في القرآن الكريم حتى من بعض المعاصرين لنزول الوحي من قريش وذلك دليل على أن في القرآن الكريم ألفاظًا من غير لغة قريش كما كان بيانه في موضوع (عربية القرآن الكريم).

فمما روي ان عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال :هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟

وعن ابن عباس قال كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها[١٠].

وقد قامت الدكتورة بنت الشاطئ بتحقيق مجموع مسائل نافع بن الأزرق وعددها (١٨٩) وألحقتها في كتابها (الإعجاز البياني في القرآن الكريم).

سنذكر أهم من روى خبر هذه المسائل ثم نثبت نماذج منها.

ذكر المبرد(ت٢٨٥هـ) منها في كتابه الكامل في اللغة عند حديثه عن أخبار الخوارج، ذكر ثلاث مسائل مما حدث به أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت٢١٠هـ) عن أسامة بن زيد الليثي(ت١٥٣هـ) عن عكرمة مولى ابن عباس(١٠٥هـ)... قائلا.

(ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه: ان ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أملّه. فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن أبي ربيعة على ابن عباس وعمر يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئا من شعرك؟ فأنشده:

أمن آل نعم انت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فهجر

نقل المبرد أربعة عشر بيتا إلى قوله (رأت رجلا..) فقال ابن الأزرق أنت يا بن عباس نضرب إليك آباط الإبل لنسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهًا فتسمعه؟ فقال: بالله ما سمعت سفهًا، فقال ابن الأزرق: أما أنشدك رأت رجلاً أما اذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخسر.

فقال ما هكذا وإنما قال: وأما بالعشي فيخصر"

وأخرجها أبو بكر الأنباري(ت٣٢٨هـ) في مقدمات كتابه (إيضاح الوقف والابتداء من كتاب الله عز وجل) سماعاً عن شيخه بشير بن أنس... عن ميمون بن مهران قال:

دخل نافع بن الأزرق المسجد الحرام فإذا هو بابن عباس جالسًا على حوض من حياض السقاية... وإذا بالناس قيام عليه يسألونه عن التفسير فإذا هو لا يحبسُهُم تفسيره، فقال نافع: تالله ما رأيت رجلاً أجرأ على ما تأتي به منك يا بن عباس: فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، أولا أدلك على من هو أجرأ مني؟ قال: ومن هو؟ قال رجل تكلم بغير علم أو كتم علمًا عنده.

فقال نافع يا بن عباس إني أريد أن أسألك عن أشياء فأخبرني بها: قال: سل ما شئت، قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿.. **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ..**﴾ قال: الخيط الأبيض ضوء النهار، والخيط الأسود سواد الليل، قال: فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل القرآن؟ قال نعم، قال أمية بن أبي الصلت:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منبلج
والخيط الأسود لون الليل مكموم

وعلى هذا النسق مضى ابن الأنباري في رواية المسائل (خمسون مسألة) وأخرجها الطبراني(ت٣٦٠هـ) في معجمه الكبير في سياق مناقب ابن عباس وما روى من سعة علمه وفضله... جاء حديثه قال:

خرج نافع بن الأزرق ونجده بن عويمر الحروي قتل (٦٩هـ) في نفر من رؤوس الخوارج ينقرون عن العلم ويطلبونه حتى قدموا مكة، فإذا هم بعبد الله بن عباس قاعدا قريبا من زمزم، وإذا أناس قيام يسألونه عن التفسير يقولون... ويقول:

فقال له نافع بن الأزرق: ما أجرأك يا بن عباس على ما تخبر به منذ اليوم:

فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع، ألا أخبرك من هو أجرأ مني؟ قال: من هو يا بن عباس؟ قال: رجلاً تكلم بما ليس له به علم، ورجل كتم علما عنده. قال: صدقت يا بن عباس، أتيتك لأسألك، قال: هات يا بن الأزرق فسلْ.

فساق المسائل والجواب عنها والشواهد عليها وعددها إحدى وثلاثون مسالة.

وذكرها البدء الزركشي(٧٩٤هـ)- في كتابه (البرهان في علوم القرآن) النوع٨ (مَعْرفةُ غريبه). وعنده إن هذا الفن ضروري للمفسر وإلا فلا

يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، ونقل أقوالا عن العلماء في ذلك.

وأكبر مجموعة من المسائل جاء بها السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) أفرد لها فصلا بدأه بقول أبي بكر بن الأنباري المذكور قبل قليل.

الهوامش:

(١) **ينظر تفسير الطبري، ٧٥/١-٧٦، البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٨١/٢.**

(٢) **الشعراء/١٩٥.**

(٣) **إبراهيم/٤.**

(٤) **مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ٨/١.**

(٥) **ينظر مجمع البيان للطبرسي، ٦٨/١، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٤/٢، ١٦.**

(٦) **طبقات المفسرين، للداودي، ١٠٦/١، ١٠٧.**

(٧) **ينظر: الإيضاح في الوقف والابتداء لابن الأنباري، ١٠٠-١٠٩، الاعجاز البياني للقران، بنت الشاطيء، ٢٩، ٢٩٤.**

(٨) **البرهان في علوم القرآن، ٢٩٥/٢، ٢٩٦.**

(٩) **الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢٤٤/١.**

(١٠) **ينظر: البرهان.. الاتقان ٢٤٤/١-٢٤٥.**

شفاعة النبي ﷺ لدعبل الخزاعي

روى الصدوق بسنده عن داود البكري قال: سمعت علي بن دعبل بن علي الخزاعي يقول: لمّا أن حضرت أبي الوفاة تغير لونه وانعقد لسانه واسودّ وجهه، فكدت الرجوع من مذهبه فرأيته بعد ثلاثة أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، فقلت له: يا أبت ما فعل الله بك فقال يا بني: إن الذي رأيته من اسوداد وجهي وانعقاد لساني كان من شربي الخمر في دار الدنيا، ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، فقال لي: أنت دعبل؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فأنشدني قولك في أولادي فأنشدته قولي:

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت

وآل أحمد مظلومون قد قُهروا

مشردون نفوا عن عقر دارهم

كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

قال: فقال لي: أحسنت وشفع فيّ وأعطاني ثيابه وها هي وأشار إلى ثياب بدنه.

مقتضيات قبول العبادة.. في المنظور القرآني

محمد كاظم حسين الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد.. ليس العبادة مطلق التذلل والخضوع للرب سبحانه وتعالى كيفما أراد العبد بل إن لها مقتضيات وتوابع عملية شرعها الله سبحانه وتعالى يجب التقيد بها فكما أن أصل وجوب العبادة مشرّع منه تعالى فإن تفاصيلها وصورها منصوصة شرعاً كذلك. ولعل أهم هذه المقتضيات هي:

١. الالتزام بما شرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم، لأنّ ذلك كلّه من مقتضى الخضوع لله سبحانه والطاعة له ورسوله صلى الله عليه وآله، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿**لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً**﴾[٢]، والأنبياء عليهم السلام عباد الله ورسله إلى خلقه، وعلى الناس الالتزام بما شرع عن طريقهم عليهم السلام[٣].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ..**﴾[٤]، يقول الآلوسي: (أي الزموا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿**وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ**﴾ المبعوث لتبليغ أحكامه إليكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أيضاً،...، وأعاد الفعل – أطيعوا – وإن كانت طاعة الرسول صلى الله عليه وآله مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناءً بشأنه صلى الله عليه وآله وقطعاً لتوهم أنّه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن وإيذاناً بأنّ له صلى الله عليه وآله استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره)[٥]، لكونه صلى الله عليه وآله معصوماً، وبهذا تكون

(إطاعته مطلقة غير مشروطة بشرط، ولا مقيدة بقيد، وهو الدليل على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله في الواقعة، وإلاّ كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى وتقدس ولا يتم ذلك إلاّ بعصمة فيه صلى الله عليه وآله)[٦]، ومن ثمّ تنسحب هذه الطاعة إلى كل معصوم، وأمّا أولو الأمر في الطاعة فحكم الرسول صلى الله عليه وآله على ما تدل عليه الآية وعدم التقييد في هذه الطاعة دليل على وجود العصمة فيهم.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (إنّ المراد بأولي الأمر في الآية رجال من الأمة حكم الواحد منهم في العصمة وافتراض الطاعة حكم الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا مع ذلك لا ينافي عموم مفهوم لفظ أولي الأمر بحسب اللغة، وإرادته من اللفظ، فإنّ قصد مفهوم من المفاهيم من اللفظ شيء وإرادة المصداق الذي ينطبق عليه المفهوم شيء آخر وذلك كما أنّ مفهوم الرسول معنى عام كلي وهو المراد من اللفظ في الآية، ولكن المصداق المقصود هو الرسول محمد صلى الله عليه وآله)[٧].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾[٨]، وذهب ابن عاشور إلى أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله هنا متمثلة فقط في أحكام الدين وما يبلغ به من الله تعالى، وأمّا غيره مما لا يدخل في أمر التشريع فطاعته غير ملزمة صلى الله عليه وآله، فيقول: (فطاعة الرسول صلى الله عليه وآله التي أمروا بها هي امتثال ما أمر به ونهى من أحكام الدين، وأمّا ما ليس داخلاً تحت التشريع فطاعة أمر الرسول صلى الله عليه وآله فيه طاعة انتصاح وأدب)[٩].

ويرى الباحث أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله

واجبة في كل الموارد بلا فرق، فهو ﷺ مادام لا ينطق إلاّ بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[10]. وهذا إطلاق على أنّ كل ما يتكلم به النبي ﷺ هو من عند الله سبحانه، فالآية مطلقة في دلالتها.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: إن الآية (تدل على إيجاب طاعة الله سبحانه فيما نزل من الكتاب وشرع من الحكم، وإيجاب طاعة الرسول ﷺ فيما بلغ عن الله سبحانه، وفيما يصدر من الأمر من حيث ولايته على المؤمنين في المجتمع الديني، أو على تحذير المؤمنين من إبطال أعمالهم بفعل ما يوجب حبط أعمالهم)[11].

وقال تعالى: ﴿..وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[12]، وإن هذا الجزء من الآية وإن كان قد نزل بشأن بني النضير إلا أن محتواها حكم عام في كل المجالات، ودليل واضح على حجية سنة الرسول ﷺ، وهذه قاعدة مهمة في الدستور الإسلامي، يقول سيد قطب: (فسلطان القانون في الإسلام مستمد من هذا التشريع جاء به الرسول ﷺ قرآناً أو سنة، والأمة كلها والإمام عليه السلام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول ﷺ، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا السلطان لأنّه فقد السند الأوّل الذي يستمد منه السلطان، وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية، بما فيها تلك التي تجعل الأمة مصدر السلطان، بمعنى أن للأمة أن تشرّع لنفسها ما تشاء، وكل ما تشرعه فهو ذو سلطان، فمصدر السلطان في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول ﷺ والأمة التي تقوم على هذه الشريعة، وتحرسها وتنفذها، والإمام نائب عن الأمة في هذا، وفي هذا تنحصر حقوق الأمة، فليس لها أن تخالف عمّا أتاها الرسول ﷺ في أي تشريع)[13]. ونهاية الآية تحذير شديد لمن رام مخالفة أوامر الرسول ﷺ، فالأمة ملزمة باتباع التعاليم المحمدية وهي بطبيعتها طاعة لله تعالى في جميع المجالات العبادية أو مسائل الحكومة الإسلامية.

٢. حب الله تعالى ورسوله ﷺ وآله عليهم السلام: تتضمن العبادة لله إلى جانب الخضوع له سبحانه والذل لعظمته والحب له عز وجل ولرسوله ﷺ وآله الكرام عليهم السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[14].

يقول السيد الطباطبائي: (الحب الذي هو بحسب الحقيقة الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه وكل مريد بمراده، إنّما يجذب المحب إلى محبوبه ليجده ويتم بالمحبوب ما للمحب من النقص، ولا بشرى للمحب أعظم من أن يبشر أن محبوبه يحبه وعند ذلك يتلاقى حبان ويتعاكس دلالان)[15].

وفي هذا الربط الوثيق بين الإيمان والحب، قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله، والناس أجمعين)[16]. وفي هذا حديث آخر أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال للرسول ﷺ: (يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلاّ من نفسي)، فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك)[17]... وفي تأكيد آخر على أن من مقتضيات العبادة حب الله تعالى ورسوله ﷺ وآله الكرام، يقول الحبيب محمد ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه و وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي

أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته)[١٨].

وكذلك نلحظ حب النبي وآله في حديث النبيﷺ المروي عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام، أنّه قال: (إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب الدنيا، رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيف، ورجل أحب ذريتي باللسان وبالقلب، ورجل يسعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا)[١٩].

وقال تعالى: ﴿..**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**..﴾[٢٠]. وقد ذكر الطبري وجوهاً لتفسير هذه الآية نختار منه ما رواه عن الإمام علي بن الحسينعليه السلام عندما جيء (أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة، فقال له علي بن الحسينعليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال ما قرأت ﴿..**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**..﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم)[٢١].

ويقول البغوي(ت٥١٠هـ) وهو في معرض الدفاع عن الآية والرد على القائلين بأنها منسوخة: (وهذا قول غير مرضي، لأن مودة النبيﷺ، وكف الأذى عنه، ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين)[٢٢].

ويقول الآلوسي في تفسير الآية: (والخطاب على هذا القول لجميع الأمة لا للأنصار فقط، وإن ورد ما يوهم ذلك فإنّهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت)[٢٣]، ويضيف (وكلما كانت جهة القرابة أقوى كان طلب المودة أشد، فمودة العلويين الفاطميين ألزم من محبة العباسيين على القول بعموم القربى وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات وآثار تلك المودة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتم القيام، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتى عدوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك، وأنا أقول قول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي)[٢٤].

وفي بيان (من يقترف حسنة نزد له حسنا..)، يقول الآلوسي: (وحب آل الرسولﷺ من أعظم الحسنات، وتدخل في الحسنة هنا دخولاً أولياً، (نزد له فيها)، أي في الحسنة (حسناً) بمضاعفة الثواب عليها فإنّها يزاد بها حسن الحسنة)[٢٥].

وقد أورد جملة من المفسرين حديث النبيﷺ في تأكيده على حب آله، وأوردوه إيراد المسلمات، وهو قولهﷺ: (من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب محمد بشره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب محمد وآل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حب محمد وآل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب محمد وآل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)[٢٦]. فالآية إنما تشدد على مودة آل محمدﷺ وهي ـ هذه المودة ـ أجر رسالة النبيﷺ بأمر القرآن الكريم، فنفع هذه

المودة موصل إلى عبادة الله تعالى، وذلك لأنّها (استمرار خط رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله بواسطة القادة الإلهيين وخلفائه المعصومين الذين كانوا جميعهم من عائلته، ولكن لأن المودة هي أساس هذا الارتباط نرى أنّ الآية أشارت بصراحة إلى ذلك)[٢٧].

ولهذا تستلزم هذه المحبة موافقة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله فيما أحباه، وفيما أبغضاه، ولا تتحقق العبودية إلاّ بذلك لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[٢٨].

٣. إنّ العبادة ترجع فائدتها للعابد من المكلفين؛ لأنّ الله تعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة، ولا يضره إعراض المعرضين. وقد جاءت العبادات معلّلة بذلك، مثل قوله تعالى: ﴿.. **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٢٩] فهو سبحانه لم يأمرهم بالعبادة لاحتياجه إليها، بل إنّ منفعة العبادة عائد إلى الإنسان[٣٠]. يقول السيد محمد باقر الصدر: (إنّ كل عمل من أجل الله فإنّما هو من أجل عباد الله؛ لأنّ الله هو الغني عن عباده، ولمّا كان له الحق المطلق فوق أي حد، وتخصيص لا قرابة له لفئة ولا تحيز له إلى جهة، كان سبيله دائماً يعادل من الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء، فالعمل في سبيل الله، ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعاً، وتدريب نفسي وروحي مستمر على ذلك)[٣١].

وقال تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿.. **قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[٣٢]، فهذه النعم التي ينعم بها الله تعالى على الإنسان هي ابتلاء في تحديد موقفه من الله تعالى، فإن شكر الإنسان هذه النعم كان مردود هذا الشكر إلى الإنسان، وإن عصى وجحد النعم فهذا مردود عليه أيضاً، وإن كان من الناس من يحسب أنّ عبادة الشكر عبارة عن لقلقة لسان أو لوحة يخط عليها ﴿.. **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي**..﴾ وما شابه ذلك، بل هي عبادة واسعة لجميع جوارح الإنسان في هذه الحياة، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (وبالرغم من أنّه اعتيد كتابة هذه العبارة المهمة ﴿.. **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي**..﴾ من قبل المتظاهرين بالشكر على أبواب قصورهم (الطاغوتية) دون أن يعتقدوا بذلك أو يكون أدنى أثر من هذه العبارة في عملهم... إلاّ أنّ المهم هو أن تكتب على الباب وعلى جبين حياة الإنسان وفي قلبه... أيضاً، وأن يكشف عمله أن كل ذلك من فضل الله... وأن شكره عليه، لا شكراً باللسان فحسب، بل شكراً مقروناً بالعمل وفي جميع وجوده)[٣٣].

فالعبادة عموماً متعلقة في أدائها بالإنسان، وهي من قبيل ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿**مَنِ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾[٣٤]، فنفع هذه العبادة للإنسان ووبال تركها عليه أيضاً. (ولا يعاقب أحداً إلاّ بذنبه، ولا يعذب إلاّ بعد قيام الحجة عليه)[٣٥]، فيما وضح من أساليب العبادة وطرقها.

٤. أن تكون العبادة عن إرادة ونية: الدنيا التي نعيش فيها وهذا الكون الرحب، كل ما فيه يُسبح بحمد الله تعالى ويخضع له،

فالأرض والسماء وما فيها كل مستسلم لله تعالى خاضع له، حيث هو المبدع الواحد، فالعبادة غاية الوجود، قال تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[٣٦]، فكل الموجودات خاضعة لله تعالى بمشيئة أو بغير مشيئتها فهي جميعاً تحت سلطانه، وفي قبضته سبحانه، ولكن الإنسان لا يثاب على عبادته إلاّ إذا كانت مقرونة بإرادة وقصد، يقول القاسمي: (فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم له كرهاً، فإنّه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع)[٣٧].

وبما أنّ العبادة في القرآن المجيد لها معنى واسع في الدين لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٣٨]. فلا بد من تفاعل الإنسان مع هذه العبادة كاملاً نية وقولاً وعملاً.

فالواجب على كل إنسان مسلم أن يعلم أنّه ما خلق إلاّ للعبادة، وأنّ وقته يجب أن يكون في عبادة، سواء ما كان في الشعائر التعبدية أو ما كان منه في المعاملات أو في سائر سلوكياته وأفعاله (فالسبيل الصحيح الوحيد هو أن تتحول كل الفعاليات الحياتية المختلفة في ظل القصد والنية إلى عبادة، وتمنح وجهة تكاملية، لكي لا تذهب أي طاقة من طاقات الإنسان هدراً)[٣٩]، وتكون قربة إلى الله تعالى.

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (لا عمل إلاّ بالنية)[٤٠]، فلا يمكن أن تُقبل الأعمال ويثاب عليها الإنسان إلاّ إذا كان قاصداً بهذا العمل القربة إلى الله تعالى، بل إنّ النية تكون أفضل من ذات العمل العبادي، وهذا ما نلحظه في قول النبي صلى الله عليه وآله: (نية العبد خير من عمله)[٤١]، ولعل سبب هذه الخيرية في النية هو كون النية سالمة من الرياء والشوائب الأخرى على فرض تحقق العمل، وأمّا عند عدم تحقق العمل العبادي فإنّ الله سبحانه يثيب الإنسان على نيته بمقدار ذلك العمل العبادي الذي لم يقم به، لأنّ المتقي ربما لا يتوفق لأداء بعض الأعمال العبادية لظروف تحيط به، إمّا زمانية أو اجتماعية أو لتدخل الأعمال وما شاكل، فهنا يأتي دور النية الصالحة لتقوم مقام العمل، وليفوز الإنسان المتقي بثواب ما حُرم من أدائه، قال الإمام علي عليه السلام: (إنّ الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة)[٤٢] وقال عليه السلام أيضاً: (من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه عز وجل، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه)[٤٣].

إذن النية تجعل من الأعمال المباحة أعمالاً عبادية يثاب عليها الإنسان إذا قصد من وراء هذا العمل القرب من الله تعالى وعبادته سبحانه، وكذلك تجعل النية العمل العبادي المنصوص عملاً يعاقب عليه الإنسان من الله تعالى ويبطله، لما شاب هذا العمل من رياء أو نفاق وما شاكل ذلك.

٥. العبادة غاية وشمول: أن تكون عبادة الإنسان لله تعالى (في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه)[٤٤]، ويكون خاضعاً لطاعته وطريقاً إلى العبادة بمعناها الشامل.

وهذا الشمول والخضوع لعظمة الله تعالى واستشعار إحاطته وقدرته لا يتحقق إلاّ في العبادة؛ لأن (العبادة نوع من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب

بعظمة المعبود مع الحب النفسي والفناء في جلال المعبود وجماله فناء لا يدانيه فناء مع الاعتقاد بسلطته له لا يُدرك كنهها وماهيتها، وقصارى ما يعرف عنها أنّها محيطة به ولكنها فوق إدراكه، فهو لذلك يخضع للمعبود رهبة مما يقدر عليه من العقاب، وطمعاً فيما عنده من الخير، رغبة في كشف الضر عنه وحباً فيما أنعم عليه من إحسان)[٤٥]. لذلك لابد من شمول العبادة لكل مناحي الحياة المختلفة حتى تتحقق العبودية الكاملة لله تعالى.

فجميع نواحي الإنسان في هذه الحياة الغاية منها العبادة، وفي هذه الشمولية للعبادة وتنوعها والمقصد من ورائه، يقول السيد محمد باقر الصدر: (وهذا الشمول في العبادة يعبر عن اتجاه عام في التربية الإسلامية يستهدف أن يربط الإنسان في كل أعماله ونشاطاته بالله تعالى، ويحول كل ما يقوم به من جهد صالح إلى عبادة مهما كان حقله ونوعه، ومن أجل إيجاد الأساس الثابت لهذا الاتجاه وزعت العبادات الثابتة على الحقول المختلفة للنشاط الإنساني، تمهيداً إلى تمرين الإنسان على أن يسبغ روح العبادة على كل نشاطاته الصالحة، وروح المسجد على مكان عمله في المزرع أو المصنع أو المتجر أو المكتب، ما دام يعمل عملاً صالحاً من اجل الله سبحانه وتعالى)[٤٦].

وهذا الشمول في العبادة يعم جميع نواحي الحياة، وإنّها ليست محصورة فقط في الشعائر التعبدية المعروفة، فكل عمل يقوم به الإنسان تجاه أخيه الإنسان هو ضمن غاية الخلقة والوجود في هذه الحياة، وهذا ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٤٧]. يقول الرازي في هذه العبادة: (التعظيم لأمر لله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما)[٤٨]. قال ابن عاشور: (فهي بهذا التفسير تشمل الامتثال لأحكام الشريعة كلها)[٤٩].

فالعبادة لا تنحصر بالشعائر التعبدية فحسب، بل إنّ مجال العبادة واسع يشمل جميع حركات الإنسان وسكناته، فليس الامتثال بالمأمور عبادة فقط، بل اجتناب ما نهى عنه الله تعالى عبادة أيضاً، فهي ـ العبادة ـ هيمنة كبرى على الشعور والسلوك في منهج كامل للحياة، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ولحقيقة الصلة بين الخالق والمخلوق)[٥٠]، وبهذه المقتضات اللازمة في بناء العبادة، وهي تبدو للباحث بمثابة شروط مشتركة لجميع العبادات ـ لم نرد مما ذُكر من المقتضيات الحصر والاستقصاء[٥١]ـ، فبتحقق هذه المقتضيات تتحقق غاية الوجود من الإنسان تجاه خالقه من خلال العبادة الخالصة وعلى أساس محبة الله واستشعار فضله ونعمته وإحسانه ورحمته، فالله تعالى خلق الإنسان ووهبه العقل وعلمه البيان وارتضاه لخير دين وسخر له ما في السماوات والأرض جميعاً، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، ورزقه من الطيبات واستخلفه في الأرض بعد أن خلقه من طين ثم من ماء مهين ثم نفخ فيه من روحه فكرمه وأسجد له ملائكته. والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.
(٢) سورة النساء: ١٧٢.
(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٣٠/٥.
(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) روح المعاني: ٨٦/٥.
(٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٤.
(٧) المصدر نفسه: ٣٥١/٤.
(٨) سورة محمد: ٣٣.
(٩) التحرير والتنوير: ١٠٧/٢٦.
(١٠) سورة النجم: ٣ ، ٤.
(١١) الميزان في تفسير القرآن: ٣١٥/١٨.
(١٢) سورة الحشر:٧.
(١٣) في ظلال القرآن: ٣٥٢٥/٦.
(١٤) سورة آل عمران: ٣١.
(١٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٣٩/٣.
(١٦) مسلم، صحيح مسلم: ٦٧/١.
(١٦) البخاري ، صحيح البخاري: ٢٤٤٥/٦.
(١٨) المتقي الهندي(ت٩٧٥هـ)، كنز العمال: ٤١/١ ، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٤/١٧.
(١٩) الكليني، الكافي: ٦٠/٤.
(٢٠) سورة الشورى: ٢٣.
(٢١) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ٣٢/٢٥، وعلى ما جرى لآل النبيﷺ في كربلاء، يقول الآلوسي: (ولله تعالى در السيد عمر الهيتي أحد الأقارب المعاصرين حيث يقول:
بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق (قل لا)، روح المعاني: ٤٥/٢٥.
(٢٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ٤٩/٥.
(٢٣) روح المعاني: ٤٥/٢٥.
(٢٤) المصدر نفسه: ٤٧/٢٥.
(٢٥) روح المعاني: ٤٧/٢٥.
(٢٦) ظ: الزمخشري ، الكشاف: ٢٢٥/٤، والرازي، مفاتيح الغيب: ١٤٣/٢٧.
(٢٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٤/٢٥.
(٢٨) سورة التوبة: ٢٤.
(٢٩) سورة آل عمران: ٩٧.
(٣٠) الطبرسي، مجمع البيان: ٢٦٥/٢.
(٣١) نظرة عامة في العبادات: ٣٩.
(٣٢) سورة النمل: ٤٠.
(٣٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٧/١٢.
(٣٤) سورة الروم: ٤٤.
(٣٥) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم: ١٠٠/٤، وظ: الآلوسي، روح المعاني: ٥٢٣/٢٤.
(٣٦) سورة آل عمران: ٨٣.
(٣٧) محاسن التأويل: ٧١٥/٢.
(٣٨) سورة البقرة: ٢١.
(٣٩) محمد تقي مصباح اليزدي، العودة إلى الذات وبناؤها من جديد، ص٨٩ .
(٤٠) المجلسي، بحار الأنوار: ٣٧/٨١.
(٤١) المصدر نفسه: ٦٧: ٢١٠.
(٤٢) نهج البلاغة: ١٢/٤.
(٤٣) المصدر نفسه: ١٣٣/٢.
(٤٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٥/١٨.
(٤٥) عفيف طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ص١٧.
(٤٦) ماذا يعني انتمائي للإسلام، ص١٧.
(٤٧) سورة الذاريات: ٥٦.
(٤٨) مفاتيح الغيب: ٢٠٠/٢٨.
(٤٩) التحرير والتنوير: ١٨٠/١ ، وظ: سيد قطب، في ظلال القرآن: ١٩٤٣/٤.
(٥٠) حسن علي القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسينعليه السلام، ٢٣/١.، ظ: محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح ، ص١٧٣.
(٥١) يرى ابن عاشور أنّ (الخوف والرجاء) من مقتضيات العبادة كالحب، وقد ساق في ذلك أدلة، ظ: التحرير والتنوير: ١٨٠/١، ولا يبدو للباحث أنّ (الخوف والرجاء) من مقتضيات العبادة لله تعالى، ولو في هذا المقام، إذ لا يُعبد الله تعالى بهذين الأمرين، فهذا يخالف المقتضى الأول والخلوص ـ الإخلاص ـ في العبادة لوجهه سبحانه، فلا يُعتقد أن يتقرب إلى الله تعالى بنية الخوف والرجاء، بأن يقول أصلي الفرض كذا خوفاً من الله، بل بالقرب والحب إليه سبحانه، وإلى هذا المعنى المختار ذهب الرازي، ظ: مفاتيح الغيب: ٢٠٢/١، والطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن:٢٦/١، والعلامة الحلي(ت٧٢٦هـ)، كتاب الألفين، مكتبة الألفين، الكويت،١٩٨٥م، ص١٣٨.

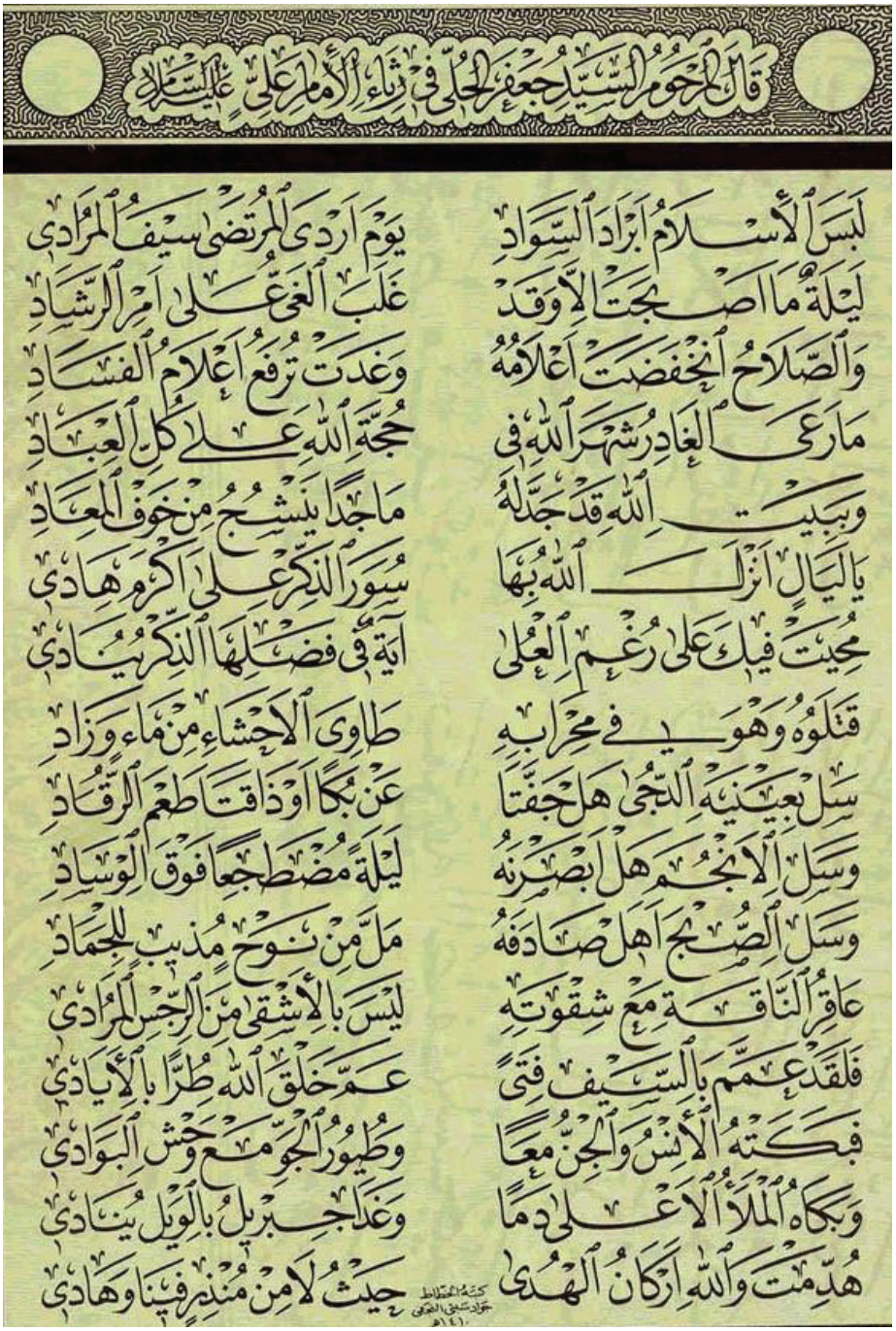
قال المرحوم السيد جعفر الحلي في رثاء الإمام علي عليه السلام
لبس الإسلام أبراد السواد
يوم أردى المرتضى سيف المرادي
ليلة ما أصبحت إلا وقد
غلب الغي على أمر الرشاد
والصلاح انخفضت أعلامه
وغدت ترفع أعلام الفساد
ما رعى الغادر شهر الله في
حجة الله على كل العباد
وببيت الله قد جدله
ماجدا ينشج من خوف المعاد
يا ليال أنزل الله بها
سور الذكر على أكرم هادي
محيت فيك على رغم العلى
آية في فضلها الذكر ينادي
قتلوه وهو في محرابه
طاوي الأحشاء من ماء وزاد
سل بعينيه الدجى هل جفتا
عن بكا أو ذاقتا طعم الرقاد
وسل الأنجم هل أبصرنه
ليلة مضطجعا فوق الوساد
وسل الصبح أهل صادفه
مل من نوح مذيب للجماد
عاقر الناقة مع شقوته
ليس بالأشقى من الرجس المرادي
فلقد عمم بالسيف فتى
عم خلق الله طرا بالأيادي
فبكته الأنس والجن معا
وطيور الجو مع وحش البوادي
وبكاه الملأ الأعلى دما
وغدا جبريل بالويل ينادي
هدمت والله أركان الهدى
حيث لا من منذر فينا وهادي
كتبه المحتاط جواد شبر الحلي ١٤١٠هـ

الملك عقيم

عــن عدي بن أرطــاة، قال: قال معاوية يومــا لعمرو بن العاص: يا أبــا عبد الله، أينا أدهى؟

قال عمرو: أنا للبديهة، وأنت للروية.

قال معاوية: قضيت لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة.

قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟

قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟

قال: والله إن الكذب لقبيح، فسل عما بدا لك أصدقك.

فقال: هل غششتني منذ نصحتني؟

قــال: لا. قال: بلى والله، لقد غششــتني، أما إني لا أقول في كل المواطن، ولكن في موطن واحد،

قال: وأي موطن هذا؟

قــال: يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة فاستشــرتك، فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله؟ فقلت: كفؤ كريم، فأشرت علي بمبارزته وأنت تعلم من هو، فعلمت أنك غششتني.

قال: يا أمير المؤمنين، دعاك رجل إلى مبارزته عظيم الشــرف جليل الخطر، فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين، إما أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، وتزداد به شرفاً إلى شــرفك وتخلو بملكك، وإما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

قال معاوية: هذه شر من الأول، والله إني لأعلم أني لو قتلته دخلت النار، ولو قتلني دخلت النار. قال له عمرو: فما حملك على قتاله؟! قال: الملك عقيم، ولن يســمعها مني أحد بعدك.

الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ١٣٢ - ١٣٣

في الغار

حدث الشيخ أبو علي الحسن بن محمد الرقي بالرملة في شوال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه أنه قال:

رأيت في المنام سنة من السنين كأني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقص.

فقلت: من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب.

ففرقت الناس ودخلت الحلقة، فإذا أنا برجل يتكلم على الناس بشيء لم أحصله فقطعت عليه الكلام، وقلت: أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة من قول الله تعالى: ﴿.. **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**..﴾؟.

فقال: وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستة مواضع:

الأول: أن الله تعالى ذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر أبا بكر فجعله ثانيه، فقال: ﴿.. **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**..﴾.

والثاني: أنه وضعهما بالاجتماع في مكان واحد، لتأليفه بينهما فقال: ﴿.. **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**..﴾.

والثالث: أنه أضاف إليه بذكر الصحبة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة، فقال: ﴿.. **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ**..﴾.

والرابع: أنه أخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله ورفقه به لموضعه عنده فقال: ﴿.. **لاَ تَحْزَنْ**..﴾.

والخامس: أنه أخبر أن الله معهما على حد سواء ناصر لهما ودافع عنهما فقال: (إن الله معنا). والسادس: أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قط، فقال: ﴿.. **فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**..﴾. فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: حبرت بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه، وإني بعون الله سأجعل جميع ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

أما قولك: إن الله تعالى ذكر النبي صلى الله عليه وآله وجعل أبا بكر ثانيه، فهو إخبار عن العدد، لعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟! ونحن نعلم ضرورة أن مؤمناً ومؤمناً، أو مؤمناً وكافراً، اثنان، فما أرى لك في ذكر العدد طائلاً تعتمده.

وأما قولك: إنه وصفهما بالاجتماع في المكان، فإنه كالأول لأن المكان يجمع المؤمن والكافر كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وأيضا: فإن مسجد النبي صلى الله عليه وآله أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك قوله عز وجل: ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾ وأيضاً: فإن سفينة نوح قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والكلب، والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة، فبطل فضلان.

وأما قولك: إنه أضاف إليه بذكر الصحبة، فإنه أضعف من الفضلين الأولين: لأن اسم

الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قوله تعالى: (**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**) وأيضاً: فإن اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله عز وجل: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ..**) أنهم سموا الحمار صاحبًا فقالوا:

إن الحمار مع الحمار مطية
فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضًا: قد سموا الجماد مع الحي صاحباً، قالوا ذلك في السيف شعراً:

زرت هنداً وذاك غير اختيان
ومعي صاحب كتوم اللسان

يعني: السيف. فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر، وبين العاقل والبهيمة، وبين الحيوان والجماد، فأي حجة لصاحبك فيه؟!

وأما قولك: أنه قال: ﴿.. **لاَ تَحْزَنْ..**﴾ فإنه وبال عليه ومنقصة له، ودليل على خطئه، لأن قوله: (.. **لاَ تَحْزَنْ..**) نهي وصورة النهي قول القائل: (لا تفعل) لا يخلو أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعة أو معصية، فإن كان (طاعة) فإن النبي صلى الله عليه وآله لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها، وإن كان (معصية) فقد نهاه النبي صلى الله عليه وآله عنها، وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنه نهاه.

وأما قولك: إنه قال: ﴿.. **إِنَّ اللّهَ مَعَنَا..**﴾ فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر أن الله معه، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وقيل أيضا في هذا: إن أبا بكر قال: (يا رسول الله حزني على أخيك علي بن أبي طالب ما كان منه) فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ﴿.. **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا..**﴾ أي: معي ومع أخي علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما قولك: أن السكينة نزلت على أبي بكر، فإنه ترك للظاهر: لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده بالجنود، وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله: ﴿.. **فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا..**﴾ فإن كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا إخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة على أن هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيرًا، لأن الله تعالى أنزل السكينة على النبي صلى الله عليه وآله في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها، فقال ـ في أحد الموضعين ـ: ﴿.. **فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى..**﴾ وقال في الموضع الآخر: ﴿.. **أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا..**﴾ ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة قال: ﴿.. **فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ..**﴾ فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان، فلم يحر جوابا وتفرق الناس واستيقظت من نومي.

الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣٢٥ - ٣٢٩

هوية المذهب الشيعي..

الشيخ مجتبى القائني •
الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

ينابيع قد يسأل أحدنا ويقول لماذا أنا شيعي؟ هل لأني تولدت من أبوين شيعيين أم ماذا؟

الجواب: إذا أردنا أن نعرف جواب هذا السؤال لابد من البحث عن هوية المذهب الشيعي والمفاصل التي ساهمت بتكوينه وعندما أقول شيعة لا أقصد المذهب السائد في عصر الأئمة عليهم السلام من حب أهل البيت عليهم السلام وحب أعدائهم بل نقصد مذهب الخواص من أصحابهم لأن الأئمة عليهم السلام كانوا في أجواء التقية ولم يكن بمقدورهم البوح بجميع الأسرار لاسيما ما يرتبط بغصب الخلافة منهم مضافاً إلى أن الأمة لم تكن على استعداد لقبول القدح في سيرة الأوائل حتى إن أحدهم لما صارت مؤامرة الشورى السداسية لتنصيب الخليفة عثمان صرح لأمير المؤمنين عليه السلام أنه سيعطيه صوته بشرط أن يسير بسيرة الشيخين! ولكن الإمام عليه السلام رفض ذلك ولم يقبل بغير الكتاب والسنة حاكمًا.

إذن فاستخراج هوية المذهب الشيعي ليس أمرًا سهلًا في ظروف كهذه.

ولكن وعلى الرغم من هذه الظروف لم ينس التاريخ أن يسجل لنا ثلاث مراحل مهمة كونت هوية المذهب الشيعي وهي:

١ـ مرحلة الرسول صلى الله عليه وآله التي سنعطيها عنوان: (التأمل والشرعية للمذهب الشيعي).

٢ـ مرحلة الزهراء عليها السلام وسنعطيها عنوان: (الفيصل بين الحقيقة والباطل).

٣ـ مرحلة الإمامين الصادقين عليهما السلام وسنعطيها عنوان: (الخصوصية العلمية) أو (الحافظ الشرعي للهوية).

المفاصل الثلاثة للمذهب الشيعي:

١ـ مرحلة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: فالمذهب الشيعي لم يتولد في زمن متأخر كالمذاهب الأخرى بل تولد في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقد جاء في كتاب (الزينة) لأبي حاتم الرازي وهو سني قال: إن أول اسم وضع في الإسلام علمًا لجماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان اسم الشيعة وقد اشتهر أربعة من الصحابة بهذا الاسم في حياته صلى الله عليه وآله وهم: ١ـ أبو ذر الغفاري ٢ـ سلمان الفارسي ٣ـ المقداد بن الأسود ٤ـ عمار بن ياسر وهذه شخصيات غنية عن التعريف لكنها افتخرت أن توسم بهذا الوسام العظيم لأنها سمعت الرسول الأكرم يقول لعلي عليه السلام ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض[1].

ويقول جابر بن عبد الله الأنصاري كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله قد أتاكم أخي ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[2].

٢. مرحلة الزهراء عليها السلام:

مقدمة:

قد يعيش الإنسان لسبعين سنة وينتظر ساعة ليسجل بها موقفًا ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه ولكن عندما نقف على حياة الزهراء عليها السلام نجد أنها بعمرها القصير الذي كان عمر الورد عاشت ساعتين في المسجد النبوي عندما خطبت بالمسلمين، وساعة أمام نساء المهاجرين والأنصار عندما خطبت بهن، ولكن في هاتين الساعتين سجلت عدة مفاهيم بقيت وستبقى إلى يوم القيامة.

المفهوم الأول: البصيرة وقد كانت

مفقودة عند الأمة آنذاك فقد بصرت الأمة وحذرتهم من الفتنة التي وقعوا فيها فقالت في خطبتها في المسجد أمام المسلمين:

(ووردتم غير لون مشربكم ... ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم وكيف بكم وأنّى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون ﴿.. بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣].

المفهوم الثاني: مفهوم كشف النفاق وإبطال نظرية عدالة الصحابة التي فرضتها السياسة:

فقالت عليها السلام: (ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي تسرون حسوًا في ارتغاء (مثل يُضرب لمن يظهر شيئًا ويريد غيره) وتمشون لأهله وولده في الخَمَر والضراء ويصير منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشا ... فأنى حرتم بعد البيان وأسررتم بعد الإعلان ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

المفهوم الثالث: هي الميزان للحق وقد عرفت الأمة[٥] ذلك حتى عندما هجموا على الدار حيث قالوا (إنَّ في الدّار فاطمة) أي فاطمة عليها السلام التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، أي فاطمة عليها السلام التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله إنها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها أي فاطمة التي قال عنها ألا وإن باب فاطمة بابي وحجابها حجابي فمن هتكه هتك حجاب الله[٦].

وهذه المفاهيم الثلاثة لم يستطع أمير المؤمنين عليه السلام أن يؤديها في تلك المرحلة لأن وظيفته كانت الصبر على حقه حتى إنه كان يقول: (ما زلت مظلومًا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم الناس هذا)[٧] وسمع صارخًا ينادي أنا مظلوم فقال: (هلم فلنصرخ معًا فإني مازلت مظلومًا)[٨] وقال: (لقد ظلمت عدد الحجر والمدر).

ونقرأ في زيارته عليه السلام: (أشهد أنك أول مظلوم وأول من غصب حقه) إنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبًا ينقلبون).

٣- مرحلة الصادقين عليهما السلام (الخصوصية العلمية):

عندما نلقي نظرة سريعة على المذاهب الإسلامية نجد أن المذهب الذي بقي ودام لمدة طويلة هو المذهب الذي كان له مرجعية وأسس فكرية، وعندما نلاحظ حياة الإمامين الصادقين عليهما السلام نجد أنهما ساهما في تأسيس عدة أمور: الأمر الأول: تأسيس مدرسة فقهية وعقائدية وتدريس طلاب في مختلف المجالات ولم يقتصر الأمر على شيعتهما عليهما السلام ونعرف هذا من خلال عدد طلاب الإمامين عليهما السلام حيث روى الحسن بن علي بن زياد الوشاء: (أدركت هذا في المسجد مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كلٌ يقول حدثني جعفر بن محمد)[٩].

قال الجاحظ: (جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال إن أبا

حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري وحسبك بهما في الباب[10] اعتراف أبي حنيفة: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد) وقال: (لولا جعفر بن محمد ما علم الناس مناسك حجهم)[11] وقال: (لولا السنتان لهلك النعمان).

الأمر الثاني: العمل على إعداد المجتهدين والفقهاء من الأصحاب ونعرف ذلك من عدة مواقف لهما عليهما السلام:

١ـ مثلاً يقول الإمام الصادق عليه السلام لمعاذ بن مسلم بلغني أنك تقعد في مسجد المدينة وتفتي الناس ثم يشجعه الإمام على الإفتاء[12].

٢ـ وكذلك أمْرهُ لأبان بن تغلب (اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أُحب أن يُرى في شيعتي مثلك)[13].

٣ـ إرجاع السائلين إلى الفقهاء من أصحابه حيث يسأله الراوي شقتي بعيدة عن شقتك ولا أكاد أصل إليك فعن من آخذ معالم ديني، فيرجعه الإمام إلى أحد أصحابه ويفه بأنه الثقة المأمون[14].

الأمر الثالث: وقوف الإمام عليه السلام وأصحابه من العلماء بوجه الانحراف:

١ـ عندما كان يطرح على الإمام عليه السلام موقف بعض المذاهب وتمسكهم بالقياس لم يكن يجامل ويسكت على الرغم من وقوف السلطة الجائرة إلى جانب تلك المذاهب ودعمها فكان يقول: (إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة)[15] وهذا من فقه البصرة إشارة إلى مذهب الحسن البصري.

٢ـ مناظرات أصحاب الإمام عليه السلام مع المذاهب الأخرى كهشام بن الحكم الذي كان عالمًا في الكلام والعقائد وكذلك هشام بن سالم وكذلك زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم، وقد كان الإمام عليه السلام يشرف على بعض مناظراتهم فيبدي ملاحظاته على أدائهم ويقوِّم أخطاءهم إن وجدت.

وبذلك نكون نحن مدينين لما قدمه أصحاب الأئمة عليهم السلام من العلماء للمذهب ليحافظوا على بقائه إلى يومنا هذا.

ونحن مدينون للعلماء من عصر الأئمة وصولًا إلى بداية الغيبة الكبرى وانتهاء إلى يومنا الحاضر حيث إنهم حفظوا لنا الدين من التحريف وحفظوا هويتنا من الضياع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يحمل هذا الدين في كل قول عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الظالمين وانتحال الجاهلين)[16].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: (علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا)[17].

وقال الإمام الهادي عليه السلام: (لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومَرَدته ومن فخاخ النواصب لما بقيَ أحد إلا ارتد عن دين الله)[18].

النتيجة: هناك ثلاثة مفاصل ومكونات للمذهب الشيعي:

١ـ مفصل الشرعية المتمثل بعهد الرسول صلى الله عليه وآله وتأسيسه لهذا المفصل.

٢ـ مفصل المظلومية الذي كان الفيصل بين الحق والباطل وقد أسسته الزهراء عليها السلام على أتم وجه.

٣ـ الخصوصية العلمية وهي الحافظ الشرعي للمذهب وقد مثل الصادقان الإمامان عليهما السلام هذا المفصل واستمر أصحابهما من العلماء على هذا المنهج

وأكمله العلماء إلى يومنا هذا.

وهـذه هي الهويـة الشـيعية ولابد من الحفاظ عليها بمفاصلها الثلاثة والحمد لله أولًا وآخرًا.

الهوامش:

(١) كفاية الطالب، للكفعمي، باب:٦٢.
(٢) مناقب علي عليه السلام، للخوارزمي، الفصل التاسـع، ج١٠.
(٣) بحار الأنوار، ص٢٢٥ ج٢٩.
(٤) الاحتجاج، ص١٣٧ ج١.
(٥) الانتصار للعاملي، ص٤٣٧ ج٦.
(٦) غاية المرام، للبحراني، ص١١٩ ج٢.
(٧)الاحتجاج، ص٢٨١ ج١.
(٨) بحار الأنوار، ص٦٢٩ ج٢٩.
(٩) معجم رجال الحديث، ص٣٨ ج٦.
(١٠) سرح النعم لابن أبي الحديد، ص٢٧٤ ج١٥.
(١١) من لا يحضره الفقيه، ص٥١٩ ج٢.
(١٢) وسائل الشيعة، ص١٠٨ ج١٨.
(١٣) شرح الكافي، للمازندراني، ص٨٤ ج١١.
(١٤) وسائل الشيعة، ص١٠٦ ج١٨.
(١٥) بحار الأنوار، ص٣٠٤ ج٢.
(١٦) وسائل الشيعة، ص١٠٩ ج١٨.
(١٧) الاحتياج، ص٨ ج١.
(١٨) الاحتجاج، ص٩ ج١.

مسجد باد شاهي

يُعد أحد أهم المعالم المميزة لمدينة لاهور التاريخية. ويطلق عليه أيضا اسم مسجد الإمبراطور أو الملك، ويُعد وجهة مفضلة لجميع الزوار الباكستانيين والأجانب لما يعكسه من حقبة تاريخية شاهدة على اهتمام المغول بالمساجد وفن العمارة من جهة ونشر الدين الإسلامي في شبه القارة الهندية من جهة أخرى.

ويذكر أن الإمبراطور المغولي أورنجزيب شيده عام ١٦٧٤ في مدة ثلاث سنوات بمشاركة ٩٠ ألف عامل. ويتميز هذا المسجد الذي يتسع لأكثر من خمسة آلاف مصل، بطوبه الأحمر وأنواع مختلفة من الرخام زين بها صحنه الداخلي. ويعتبر مسجد باد شاهي نسخة مكررة عن مسجد الجمعة في العاصمة الهندية نيودلهي، وهو المسجد الذي له نفس التصميم تقريبًا مع فروق بسيطة، وأشرف على بنائه والد أورنجزيب الإمبراطور شاه جيهان.

وكان مسجد باد شاهي يُعد حتى وقت قريب من أكبر المساجد في العالم فيما يصنف حاليًا المسجد الثاني في باكستان بعد بناء مسجد الملك فيصل في العاصمة إسلام آباد في الثمانينيات. ويتميز ببوابتين كبيرتين وأربع مآذن ضخمة تقع في زوايا البناء الأربع المصمم على شكل مستطيل، وتميل المآذن بمقدار خمسة سنتيمتر إلى الخارج حتى إذا وقعت تقع خارج المسجد، وترتفع ٥٤ مترًا، بقطر ١٠ أمتار لكل مئذنة، إضافة إلى قبابه الثلاث المصنوعة من الرخام الأبيض.

ويضم المسجد أيضًا متحفًا تاريخيًا أجزاء من شعر النبي محمد ﷺ وعمامته وعباءته وحذاءه وملابس - حسب زعمهم - وأدوات حرب يدعى أنها لعدد من الصحابة الكبار أمثال الحسين بن علي عليه السلام. ويستقطب هذا المتحف آلاف الزوار من سكان لاهور وغيرها من المدن والذين يأتون للتبرك، حيث يمكن معاينة الكثير من الزوار وهم يبكون أمام ما يزعم أنها مقتنيات الرسول الكريم ﷺ ويتمسحون بالزجاج المحاط بها.

تربية الأولاد..
في الصحيفة السجادية

د. جواد مطر الموسوي ●
رئيس جامعة واسط

ينابيع

أعار أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله أهمية كبيرة للعائلة لأنها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وهي التي تقرر صلاحه.

وتعد الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام من النماذج الحية الدالة على اهتمام آل بيت الرسول عليهم السلام بوعظ الناس وحثهم على الصلاح. وهي مجموعة من الأدعية يركز بعضها على التربية الأسرية ولاسيما علاقة الآباء بأبنائهم.

في مطلع الدعاء (رقم ٢٥) من (شرح الصحيفة السجادية) للسيد محمد الشيرازي طبعة النجف الأشرف/١٩٦٧، نقرأ قول الإمام السجاد عليه السلام: (اللهمَّ مُنَّ عليَّ ببقاء ولدي وبإصلاحهم لي وبإمتاعي بهم)، وواضح من النص أنه يدعو لأبنائه بالبقاء في الحياة وأن يكونوا صلحاء، وصلاحهم يكون بإرشادهم من الأب وتوجيههم التوجيه السلوكي الصحيح القائم على كتاب الله وسنة نبيه، ليتم صلاحهم له وتمتعه بهم.

ثم يدعو الإمام السجاد عليه السلام لهم بقوله: (وأصلح لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم) هنا يؤكد إصلاح البدن بالرياضة والمحافظة عليه من الأمراض، لأن اختلال الجسد يعني اختلال كل العمليات البيولوجية، ومن ثم ضعف الإنسان. ثم يدعو لهم بإصلاح الاعتقاد لكي لا ينحرفوا، ثم إصلاح (الأخلاق) كي يبتعدوا عن الرذيلة. وإصلاح الأبناء يشمل كل النواحي المادية والاعتقادية والمعنوية حتى يكونوا سالمين من كل آفة، قادرين على التأثير الجاد في المجتمع وإدراك

الأشـياء التي حولهم والحكم عليها. وهذا يكون عادة في المرحلة الأولى ضمن منهج الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله القائل: (لاعب ولدك سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اترك له الحبل على الغارب).

ثم يستطرد قائلاً (وعافهم في أنفسهم وفـي جوارحهم وفي كل مـا عُنيت به من أمورهـم). وهنـا يؤكد الإمـام عليه السلام التربية النفسـية للأولاد وكل ما يحيـط بهم. وإن الأمـراض النفسـية تجعـل الأبنـاء غيـر مؤثريـن في المجتمع، بل قد تجعل أثرهم سـلبياً، فتنقية النفس وتوجيهها والإرشاد الصحيـح يجعـل الأولاد إيجابييـن فـي المجتمـع (واجعلهم أبـراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك، ولأوليائك محبين)، وهنا يحـث الإمام عليه السلام علـى تربية الأولاد على البر والإحسان والخير والعمل الصالح وتجنب المعاصي وأن يبصروا طريق الحق ويفرقوا بينه وبين طريق الباطل. ويدعوهم إلى محبته ومحبة أوليائه ليكونوا سـامعين ومطيعين للإرشادات والتوجيه الذي يقدم لهم، وهذا بكل تأكيد يرتبط بصلاح الآباء كما فـي حديث الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله: (إن الله ليصلح بصلح الرجل ولده).

ويضيـف الإمام عليه السلام (ولجميـع أعدائك معانديـن ومبغضين، آميـن) أي أن يكون لـلأولاد موقف سـلبي من أعـداء أبيهم. وأنهى الإمام عليه السلام هذه الفقرة بلفظة (آمين) وهـي تعني طلب الاسـتجابة من الله (عز وجـل). وهذه هي مرحلة الإعداد السـليم المتمثـل بالمصاحبة على منهج الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله وهي المرحلـة الثانية في قول الرسول صلى الله عليه وآله (وصاحبه سبعاً).

أمـا المرحلة (الثالثـة) أي (ترك الحبل على الغـارب) فهـي دعوة ليعيـش حياته

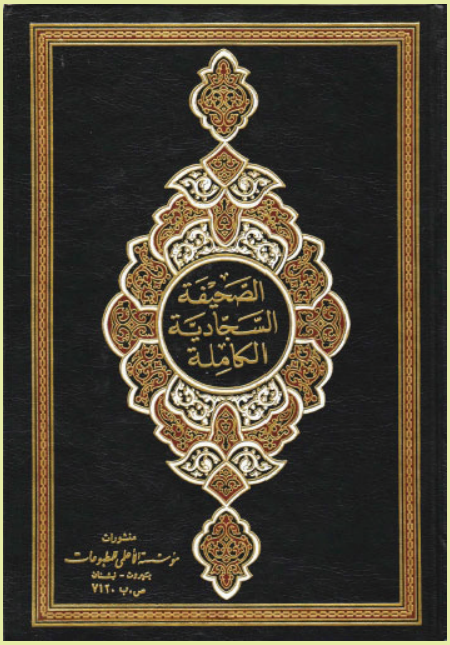

ويمارس واقعه ويحل مشاكله بنفسه بعدما اسـتوثق وتمكـن ومنـح الثقـة وتأكدت أهليته، وهـذه المرحلة تأخذ الحيز الأكبر من الدعاء ولاسيما موقف الأبناء من الآباء في شـد العضد وتقويته وإصلاح ما اعوج منـه، ويفرح الآبـاء بأبنائهم في المجالس ويحيـي الأبناء ذكـر آبائهم بعـد الممات. ثم يسترسـل الإمام عليه السلام فيدعو للمسـلمين والمؤمنيـن بمثـل دعائه لولـده في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

وهـذا غيـض مـن فيـض أدعيـة الإمام السـجاد عليه السلام. ومـا أحوجنا إلـى أن ندرس التاريخ ونجذر تراثنا الإسلامي، ونستظهر الجوانـب الإيجابية ولاسـيما فـي التربية الأسـرية، ونحن في مرحلـة من المراحل التاريخية المهمة في العراق؛ وهي مرحلة إعادة بناء الإنسـان الذي حطمته سياسـة الحكومة المبادة (المتعنصرة) السابقة.

مسجد الحمراء.. مقام النبي يونس عليه السلام...

قصة الترابط والبقاء

استطلاع: حيدر الجد •
تصوير: أمير رحيم

ينابيع

امتازت المدينة الإسلامية عن غيرها من المدن بأهمية وجود المساجد فيها حيث أخذ البعد الديني حيزاً مهماً من فكر مخططي المدن من المسلمين لذا نجد في كل حي من الأحياء مسجداً ينسب للقبيلة التي تنزل ذلك الحي وبالتالي نجد عدداً من المساجد يتناسب مع عدد السكان ولكن هل كل المساجد كانت تُبنى لوجه الله تعالى؟ أم إن هناك مساجداً تبنى لغايات ظاهرها الطابع الديني والتقربي وباطنها متعدد الأسباب لا يمكن تحديدها وهذا الأمر ما أشار إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين أشار إلى مساجد الكوفة فقال عن بعضها هذه مباركة وعن بعضها الآخر وهذه ملعونة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ..**﴾ التوبة/١٠٨، فالأولى أُسست على التقوى والأخرى أُسست للرياء والسمعة.

من بين المساجد المباركة التي ذكرها عليه السلام مسجد الحمراء الذي يقع على نهر الفرات، أدركناه ببنائه التراثي القديم ولم يكن معروفاً بمسجد الحمراء بل بمقام النبي يونس عليه السلام حيث تتوافد عليه الناس خصوصاً من يقصد شط الكوفة للترويح والنزهة فيدخل هذا المسجد ليصلي ويدعو الله تعالى فيه ويرى صورة رسمها فنان بريشته يظهر فيها النبي يونس عليه السلام وقد قذفه الحوت.

وقد شهد مسجد الحمراء حملة إعمار واسعة بدأت قبل عدة سنين وبين عمل وتوقف سار بنمط متغير، ولكن اليوم نراه وقد انتصبت منارتاه وارتفعت قبتاه وبانت من معالمه أجزاءً كثيرةً، فقررنا زيارة موقع العمل وليكن محطة نسجل فيها ما نستطيع تسجيله من تاريخه ومراحل تشييده.

مسجد الحمراء كما يبدو منذ قرن مشرفاً على نهر الفرات

مسجد الحمراء في التاريخ:

تشير المصادر التاريخية التي ذكرت خطط الكوفة وتقسيمها الجغرافي إلى أن الحمراء وهم جماعة من الموالين الأعاجم هبطت الكوفة أيام تمصير الكوفة فاختطت مكانها في السبخة وهي منطقة مطلة على نهر الفرات، وقال بعض المؤرخين: وخططهم عند السبخة في الأطراف الشرقية من الكوفة بالقرب من شاطئ الفرات[1]، ثم اتخذت هذه الجماعة مسجداً فيصلون فيه الفرائض ويتعاهدونه دائما. والعرب تطلق اسم الحمراء عادة على العجم الذين يتميزون بلون بشرة بيضاء مشوبة باحمرار واضح في الوجه نتيجة لسكناهم في مناطق جبلية ذات طبيعة صافية وبيئة مناسبة تجعل سكانها ذوي وجوه مميزة بهذه الصفات[2].

لعل أول من أشار إلى مسجد الحمراء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث ورد عنه قوله: (ومسجد الحمراء، وهو مسجد يونس بن متّى ولتفجرن فيه عين تظهر بالسبخة وما حولها)[3]. وفي قول آخر له عليه السلام قال فيه (مسجد الحمراء وهو في موضع بستان لا تذهب الليالي والأيام حتى تنبع عنه عين تنطف ماء حواليه وفيه قبر أخي يونس بن متّى)[4]، وفي القولين المتقدمين نلاحظ ما يلي:

١. تأكيد موضع المسجد من قبل الإمام وفي الحديث الثاني كونه يقع في بستان وهو كذلك، فموقع المسجد القريب من نهر الفرات يعد موقعاً زراعياً تكثر فيه البساتين، وللعهد القريب منّا كانت تحوطه البساتين إلا أن الزحف البشري أحاط بالموقع فأصبح عبارة عن شريط

سكاني يتكون من بيوت ومحلات ومساجد صغيرة، وقد تحول اليوم في بعض أجزائه إلى كورنيش تكثر فيه الاستراحات والمطاعم.

٢. يبيّن الإمام عليه السلام عن إخباره بالمغيبات فالإمام عليه السلام يؤكد ظهور عين ماء تنظف المنطقة المحيطة بالمسجد ولعل الأيام المقبلة كفيلة بتحقيق هذا الحدث.

٣. في الحديث الأول نلاحظ كلمة السبخة والمراد من السبخة، والظاهر والله العالم أن جزءاً من المنطقة المطلة على الفرات كانت أرضاً سبخة لا تنبت فيها الزروع عدا بعض الأشجار لأنها أرض مالحة، شديدة الملوحة لذا سميت بالسبخة، وهذا لا يتعارض مع الحديث المتقدم حيث يقول الإمام عليه السلام إن موضع المسجد في بستان فقد يكون بستاناً فيه أشجار وليس به ما يُزرع. وقد يفسّر ذلك إعطاء هذه الأرض لغير العرب وبهذا الموقع المهم على نهر الفرات لأنها أرض لا يستفاد منها، كما شهدت السبخة أحداثاً كثيرة في العهد الأموي خصوصاً منها حادثة استشهاد عبد الله بن عفيف الأزدي و حادثة ظهور زيد بن علي عليه السلام واستشهاده وغيرها من الحوادث.

٤. أما بخصوص كون المسجد موضع قبر النبي يونس عليه السلام فسنبين ذلك بمحله إن شاء الله.

علاقة النبي يونس عليه السلام مع مسجد الحمراء:

لقد كثر كلام المؤرخين حول علاقة النبي يونس عليه السلام بمسجد الحمراء فمنهم من يذهب لكونه مرقده ومنهم من يؤكد مروره فيه وصلاته به قبل أن يؤسس، حيث أسس العجم (الحمراء) مسجدهم على أساس وجود مسجد النبي يونس عليه السلام مما أضاف ذلك مزية هامة لمسجدهم.وقبل هذا وذاك لنبين شيئاً يسيراً من سيرة النبي يونس عليه السلام.

فهو يونس بن مَتّى من ولد بنيامين بن يعقوب كان يسكن بفلسطين موطن آبائه وأجداده، وكان قبل نبوته من عُبّاد بني إسرائيل والظاهر أنه عليه السلام تعرض لكثير من المخاطر لتدينه وورعه وتقواه فهرب بدينه ـ كما تقول الرواية ـ[٥] فنزل شاطئ دجلة فبعثه الله نبياً إلى أهل نينوى من أرض الموصل.

وقد أكد هذا القول النبي محمد صلى الله عليه وآله في خبر عداس حيث جلس النبي صلى الله عليه وآله يستريح في ظل شجرة بالطائف بعد أن كذبه أهلها ورموه بالحجارة والحصى فأقبل غلام نصراني كان مملوكاً لعتبة وشيبة يقال له عداس، وبيده طبق فيه عنب فلما همّ الرسول صلى الله عليه وآله بالأكل قال صلى الله عليه وآله: بسم الله فتعجب عداس وقال: إن أهل هذه البلدة لا يقولون هذه الكلمة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن أي البلاد أنت، وما دينك، فقال: أنا نصراني من أهل نينوى، فقال صلى الله عليه وآله: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن مَتّى قال: وما يدريك من يونس بن مَتّى فقال صلى الله عليه وآله: كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس يقبّل يديه ورجليه ورأسه...)[٦].

ولما دعا يونس قومه ـ أهل نينوى ـ للدخول إلى دينه أبطؤوا عليه ولم يؤمن به سوى اثنين هما روبيل وتنوخا بعد أن قضى ثلاثة وثلاثين عاماً بينهم، فدعا عليهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، وخرج عنهم فرأى قومه دخاناً ومقدمات العذاب فآمنوا به وصدقوه وتابوا إلى الله وردوا المظالم حتى ردوا حجارة مغصوبة كانوا

بنوا بها، وخرجوا طالبين يونس فلم يجدوه ولم يزالوا كذلك حتى كشف الله عنهم العذاب.

أما يونس فقد خرج من قومه بصحبة واحد من صاحبيه اللذين آمنا به فجاء إلى منطقة يقال لها (آيلة)، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم ـ البحر الأحمر ـ مما يلي الشام[٧] فركب السفينة فلم تجرِ، فقال أهلها: فيكم آبق أي هارب من قومه فاقترعوا على رمي الآبق في البحر فوقعت القرعة على يونس فرموا به فالتقمه الحوت، وعلى رواية إنه رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث، فنادى فيها ﴿**أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾ ولسنا بصدد عرض سيرة النبي يونس عليه السلام بقدر ما يتعلق الأمر بتعليل وجود مقامه أو مرقده في الكوفة وإلا فكتب التفاسير وقصص الأنبياء مملوءة بذكره عليه السلام.

من خلال مسيرة يونس منذ خروجه من دار رسالته (الموصل) وحتى وروده البحر الأحمر نجد ما يلي:

١. أن يونس عليه السلام كان قاصداً أن يعود لأهله في فلسطين وعن طريق البحر بعد أن يئس من قومه.

٢. مرور يونس عليه السلام على هذا المكان ـ أي المقام الموجود اليوم على شط الكوفة ـ وإقامته فيه.

٣. والظن الأكبر أن يونس عليه السلام توجه من الكوفة إلى البيت الحرام حيث ينقل الحديث: (مر يونس عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول لبيك كشاف الكرب العظام

مرقد النبي يونس عليه السلام في قرية حلحول (بالقرب من الخليل في فلسطين)

مرقد النبي يونس عليه السلام في منطقة تل توبة في الموصل

لبيك)[٨] وهـذا المقطع هو جزء من التلبية التي يؤديهـا الحاج عادة عنـد وروده مكة المكرمة.

بقي يونس عليه السلام في جوف الحوت ثلاثة أيام على رواية وسبعة أيام على رواية أخرى يُسـبّحُ الله ويطلب منه جل وعلا المغفرة، فجال به الحوت البحار السبع حيث التقمه وكما قلنا مـن البحر الأحمـر (كان قديماً يُدعى ببحـر القلزم) ثم إلى البحر الأبيض المتوسط ـ بحر مصر ـ ثم بحر طبرستان ـ البحر الأسود ـ وما تبعه من بحار حتى ألقاه على سـاحل دجلة الغوراء، ودجلة الغوراء دجلة البصرة حيث الخليج العربي[٩].

عاد يونـس إلى قومه وبقـي فيهم إلى أن وافته المنية فدفن في الموصل، ويقال للمنطقة التي تحـوي جثمانه تل توبة وهي معروفة ليومنا هذا، ومن يؤيد كون مدفن النبي يونس عليه السلام في الموصل الشيخ حسين النوري حيـث يقول: (وفي مقابل الموصل في شرقي دجلة مدينة نينوى، كانت قديماً من أعظم المدن، أرسـل الله أهلها يونس بن متّى عليه السلام وفيها قبـره وله قبة عالية وبناء مشيد تشرفت بزيارته سـنة ١٢٨٠هـ. أما القبـر الذي يقع قرب مسـجد الكوفة فما عثرت لصحته على مأخذ يعتمد عليه والله العالم)[١٠].

والبعض يرى هذا الموقع مقامه وليس قبـره، حيث ارتحل النبـي يونس عليه السلام آخر عمره إلـى بلاده فلسـطين فمـات هناك ودفن في قرية يقال لها (حلحول) يقول ابن

العربي: (قصدت قبره مراراً لا أحصيها بقرية جلجون (حلحول) في مسيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل وبت به وتقربت إلى الله بمحبته ودرسنا كثيراً من العلم عنده)[11] وإن صح قول ابن العربي فيكون المزار في الموصل مقامه أيضاً لا مرقده والله أعلم.

إذن فالمزار المتحد مع مسجد الحمراء ليس قبراً لنبي الله يونس عليه السلام وإنما هو مقامه وقد أكد ذلك من كتب عن تاريخ الكوفة ومنهم السيد حسون البراقي حيث قال: (ومسجد الحمراء، وهو مسجد يونس بن متّى عليه السلام وليس هو قبره[12]. ويساند هذا القول الباحث الأستاذ كامل سلمان الجبوري حيث يقول: (هو مسجد النبي يونس بن متّى وليس بقبره، ثم يضيف: وهو مسجد أثري يعود تأسيسه وتاريخه إلى تأسيس الكوفة القديمة)[13].

وللمزار أعماله التعبدية حيث نقل البراقي: (إذا وردت شريعة الكوفة فاغتسل وصل عند المسجد الذي بقرب القنطرة الجديدة من الجانب الشرقي، فإنه موضع شريف روي إن أمير المؤمنين عليه السلام صلّى فيه ثم توجه إلى زيارة يونس بن متّى، واقصد مشهده وقف على الباب واستأذن عليه وقل...، قال البراقي: لا يبعد أن يكون موضع القنطرة الجديدة من الجانب الشرقي هو الآن قريب من معبر الجسر المعروف بعبرة البازول، محاذٍ للبستان الراجع إلى آل السيد رضا الرفيعي، من سدنة الحرم العلوي وإلى القصر الذي بُني فيها)[14].

والنص أعلاه أول من رواه الشيخ المفيد المتوفى سنة، ثم السيد ابن طاووس ثم الشهيد صاحب كتاب المزار، معنى ذلك ان عمارة المسجد والمشهد (مقام النبي يونس عليه السلام تعود إلى عهد الشيخ المفيد ٣٣٦هـ ـ٤١٣هـ، فهي من العمارات القديمة وقد تكون ماثلة للعيان قبل أيام الشيخ المفيد بزمن طويل، كما صرح ابن كثير في كتابه البداية والنهاية قائلاً: (في حوادث سنة ٤٧٩هـ بنا الأمير جنفل قتلغ مدرسة على الحنفية بمشهد يونس بالكوفة)[15].

مراحل تطور بناء المسجد والمقام:

قال الباحث الأستاذ محمد سعيد الطريحي: (والمسجد الحالي قائم على أنقاض بنائه القديم وكان مندثراً إلى عهد قريب إلا أنه كان واضح المعالم والحدود)[16] ولكن الباحث الأستاذ كامل سلمان الجبوري بيّن: (اندثر هذا المسجد وضاع أثره وغمرته المياه فلم يبق منه سوى بضع أحجار وصخور وسط جزرة في شاطئ الكوفة كما شوهدت في بدء تأسيس الكوفة الحديثة، ثم بدأ الناس يدفنون بعض المناطق من النهر ويشيدون عليها بيوتاً من القصب والسعف إلى أن شمله الطم عام ١٣١٤هـ فقام جماعة من جيرانه وصفوا عليه (جمّالي) من القصب و السعف والطين وفي عام ١٣١٢هـ انبرى المحسن المغفور له (آخنده علي) وشيد له غرفة من الآجر وصحن كبير على نفقته الخاصة ومن ذلك الوقت تسلم سدانة المسجد آل السيد إدريس الموسويون ولاتزال السدانة بأيديهم)[17].

وقد زار المسيو لويس ما سنيون المكان فكتب في كتابه خطط الكوفة : (يمتد هذا الجامع على مساحة مستطيلة يبلغ طولها (٣٥م) وعرضها (٣٠م))[18].

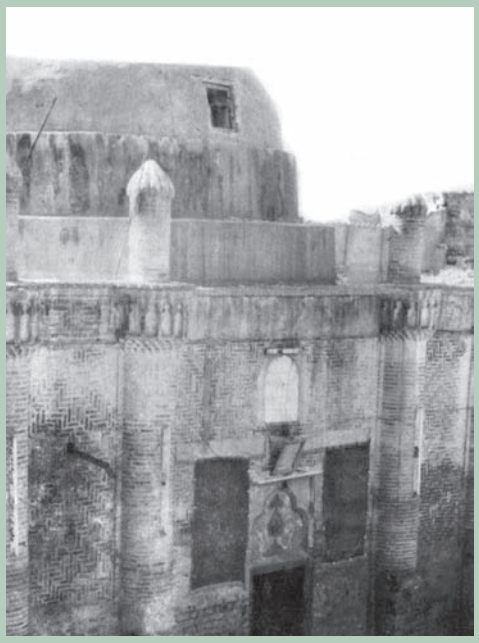

الصورة من اليمين: منارة مسجد الحمراء التي أزيلت في الثمانينيات من القرن المنصرم
الصورة من اليسار: مدخل مشهد النبي يونس عليه السلام في الكوفة وتبدو فيها القبة القديمة

نعود للطريحي حيث يواصل كلامه فيقول: (ومحرابه الأصلي ما يزال تحت محرابه الحالي المشيد سنة ١٣١٢ إذ جدد بناء المسجد في هذه السنة وممن أرخ تجديد بناء المسجد الشاعر السيد جعفر الحلي بقوله:

الحمد لله الذي من فضله
قد جددت آثار مسجد يونس
يا طالب الأعمال قد أرخته
أحيا جميل مآثر القدماءِ
بأجلّ تأسيس وخير بناءِ
(اعمل فهذا مسجد الحمراء)

والتاريخ يشير إلى سنة ١٣١٥هـ، لا إلى سنة ١٣١٢هـ.

ونقش هذا التاريخ على القاشاني المثبت في أعلى باب المسجد الشمالية الوحيدة، وعند تجديد المسجد أدخل المسجد الأصلي بحدوده البناء الجديد وجعل لبابه القديمة رسماً تحت درج سطح المسجد الذي يتاخم سور المسجد المشرف على الفرات ثم أضيف إليه مما يلي الشرق مقداراً واسعاً كان بركة ماء فألقي فيها التراب وطم الأرض الجديدة وصار مأوى للزائرين والمسافرين في السفن إبّان ذلك القرن حيث شهدت الكوفة الحديثة نشاطاً تجارياً منقطع النظير جعلها من أهم مراكز التجارة في الفرات الأوسط.

وفي سنة ١٣٤٢هـ شيدت للمسجد منارة اسطوانية يرقى إليها بسلمين حلزونيين، الأول من قاعدتها إلى سلتها

والثاني من السلة إلى مقدمها، والسلة محاطة بمقرنصات جميلة الهيئة وزينت القاعدة والوسط بنقوش على القاشاني الملون، وقد بناها المعمار جواد البغدادي الكردي (نزيل الكوفة آنذاك) مع جمع من العمال المحليين من أهل الكوفة، والمتبرع بنفقات بنائها الحاج عبد الكريم الديوان احد تجار البصرة.

حدثني بعض من اشتغل ببنائها أن عبد الكريم الديوان بات ليلة في بيت بجوار الفرات ولم يسمع أذان الفجر حيث لا توجد منارة بمسجد النبي يونس عليه السلام، وعند الصباح أمر ببناء المنارة وأنفق على عمارتها من ماله.

وأرّخ الانتهاء منها الشاعر الحاج مجيد الحلي بأبيات شعر كتبت على القاشاني المثبت على الطرف الغربي من المنارة، والأبيات هي:

رفعوا للأذان في مسجد الحمرا
ذاك عبد الكريم منه بناء
حبذا للصلاة داع فمنه
وعليه النّداء إن أرّخوا:
منارا على السها يستطيل
فتسامى له مقام جليل
لأداء الفروع قامت أصول
(فالنداء التكبير والتهليل)
١٣٤٢هـ

اللقاء مع سادن المسجد والمشهد السيد ناهض عبد الرزاق العوادي:

حدثنا السيد قائلاً: أنا السيد ناهض بن السيد عبد الرزاق بن السيد كاظم بن السيد جودة بن السيد إدريس بن السيد محمد بن السيد صياد العوادي، كان جدي السيد إدريس رئيساً لبلدية الكوفة إبّان

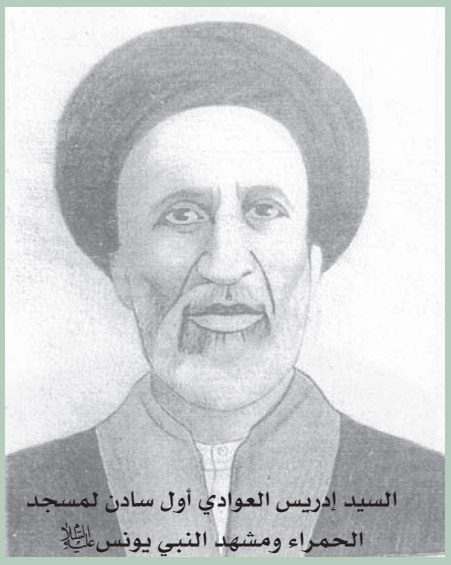

السيد إدريس العوادي أول سادن لمسجد الحمراء ومشهد النبي يونس عليه السلام

أواخر حكم الدولة العثمانية عام ١٩١٠ ثم أصبح سادناً لمسجد الحمراء ومشهد النبي يونس بعد أن كانت سدانته بيد امرأة كبيرة في السن، فلما توفيت تولى جدي المذكور زمام السدانة ولما توفي سنة ١٩١٧ أصبح ولده السيد جودة سادناً، ثم خلفه جدي السيد كاظم، ثم أصبحت السدانة دورية في ذرية السيد إدريس وكنت سادنًا تولى هذه المهمة علماً أن هذا الجامع كان له دور في التهيئة لثورة ١٩٢٠ الثورة العراقية الكبرى على عهد السيد جودة.

كان المرقد سابقاً وكما حدثنا أجدادنا بناية صغيرة عائمة على جزرة وسطية في نهر الفرات إذ كان النهر أوسع عرضاً من اليوم وأعمق، وربما كان أكثر اتساعاً من الآن، وهذا ما يؤيد فكرة إلقاء الحوت للنبي يونس على ضفاف نهر الفرات بالكوفة، لأن النهر كان واسعاً جداً ومن الممكن أن تلج في مساره الحيتان الضخمة رغم عدم وجود مصادر تاريخية قديمة

مسجد الحمراء من الداخل وتبدو فيه الأعمال النهائية من مراحله الإنشائية

تؤيد فكرة إلقاء الحوت ليونس عليه السلام في هذا المكان ورغم تتبعنا الشديد اللهم إلا ما ذكرته بعض المصادر المتأخرة التي بنت كلامها دون أساس تاريخي يمكن الاعتماد عليه، وغاية الأمر مراسيل شفوية من هذا وذاك.

ويستمر السيد ناهض بالحديث قائلاً كان بيت جدي ملاصقا للمسجد والمشهد، وكان عبارة عن بيتين أحدهما كان وقفاً للإمام الحسين عليه السلام تبلغ مساحته حوالي (٥٠) مترًا مربعًا عائد للعلوية نشمية بنت السيد محمود العوادي زوجة السيد إدريس، وهنا تداخل معنا في الحديث السيد صاحب العوادي قائلاً: (كانت جدتنا التي عمرت فوق المائة تصر على وجود قبر عبد الله بن عفيف الأزدي الذي وقف بوجه عبيد الله بن زياد واستشهد إثر مواجهته مع أزلام عبيد الله في هذا المكان) ويساندها في الرأي السيد حسون البراقي، حيث يقول: (وأما عبد الله بن عفيف الأزدي فإنه دفن بالسبخة وقبره قريب من مقام يونس عليه السلام)[١٩] ويشير لذلك أيضاً حرز الدين فيقول: (قبره بالكوفة في السبخة حيث كانت داره فيها وليس لقبره أثر)[٢٠] أما الدار الثانية فتبلغ مساحتها حوالي (٤٥٠) مترًا مربعًا فهي سكن الأسرة وقد اشتراها السيد الخوئي لكي يضمها إلى المسجد والمشهد فوهبنا أيضا دار الوقف لتدخل ضمن المسجد.

ويتابع السيد ناهض الحديث: (كان الشارع الحالي الذي يطل عليه المقام ذا ممر واحد بحيث تمر خلاله سيارة واحدة، ولما أصبحت الحاجة ملحة لتوسيعه وإضافة ممر آخر تم تهديم جزء من المقام

مشهد النبي يونس عليه السلام في مرحلة الإنشاء وتبدو القبة والمنارتان في جانبيها

وإدخاله ضمن الشارع، وكان الجزء المهدم عبارة عن أواوين محكمة البناء تم بناؤها بطريقة هندسية رائعة تضفي عليه روعة العمارة الإسلامية وكانت هذه الأواوين مأهولة بمن ليس له مأوى أو من انقطع به السبيل، كما كان بعضها مبيتاً لمن يأتي لزيارة مسجد الكوفة أو الإمام علي عليه السلام في النجف عن طريق النهر حيث يصل عادة هؤلاء في الليل فينزلون هذه الأواوين لقضاء ليلتهم ولراحتهم ليواصلوا المسير صباحاً، ولست أنسى شخصًا يدعى العم ياسين، فقد عمّر طويلاً وكان قد جاء إلى الكوفة ونزل في المقام وظل إلى أن بلغ المائة ومن ثم توفي (رحمه الله) وغيره ممن لا نعرف لهم بلدًا أو أسرة نزلوا في هذه الأواوين إلى أن توفوا.

بحكم عملي كسادن في المسجد والمشهد كنت أرى كثيراً من الزوار يأتون من أصقاع مختلفة لزيارة هذا المكان، وكان الكثير من العلماء وبحكم وجود بيوت لهم تطل على نهر الفرات يأتون المسجد، فهو مقام الإمام علي عليه السلام وموضع بيت مال المسلمين في زمانه، حيث كان خازن البيت حينها علي بن أبي رافع إضافة لقدسية هذا المسجد، وهنا أيضا وضّح السيد صاحب العوادي قائلاً: (أدركت السيد أبا الحسن الموسوي يأتي ويصلي في هذا المسجد، وكنا نأتي نقبل يديه الشريفتين فيناولنا من تحت السجادة فلسين ، وكثيراً ما كان شيخ المؤرخين أغا بزرك الطهراني يأتي المسجد فيؤم الناس في صلاة الجماعة، ولا أنسى أنه قد كانت هناك مروحة كبيرة تسحب باليد يقف شخصان يدفعا بها للترويح عن الشيخ أثناء أداء صلاته في أيام الصيف).

يتابع السيد ناهض الحديث فيقول: (كان المسجد والمقام يدخلان في حملة ترميم بين الحين والآخر، ومنذ أربعينيات القرن الماضي، وفي الثمانينيات من القرن المنصرم تَبَنّى السيد الخوئي مشروع تعمير المسجد والمشهد معاً مع إضافة سكن لطلبة الحوزة الدينية في الأعلى وبناء مدرسة للعلوم الحوزوية تحت تلك المساكن، وقد رصد مبلغاً من المال يقدّر بـ(٥٠ مليون دينار) حينها، وقد زارنا المرحوم السيد محمد تقي الخوئي بصحبة الوجيه الحاج معين جدي للتعرف على آليات بدء العمل وقد اصطحب الخرائط الهندسية التي أعدها المهندس فاضل عجينة مبيناً لنا عن أهمية المشروع، وبعد الاتفاق تم بيع بيت أسرتنا لهم وتنازلنا عن بيت الوقف كما ذكرت لكم آنفاً، فشرع العمل وبدأ بتهيئة الموقع وردم البناء في العقارات المستملكة و هكذا استمر العمل ضمن آلية بطيئة لحين نهاية الثمانينيات وفجأة توقف كلياً ولما استفسرنا عرفنا أن الحكومة وقّفت العمل بالمشروع وذلك بعد أن علمت أن العمل يتضمن بناء مدرسة دينية ومساكن للطلبة، إضافة لتجديد البناء القائم، فبقي الوضع على ما هو عليه عدا هدم المنارة الأثرية وكان ذلك بتاريخ ١٩٨٩/٣/٤ إلى أن توفي السيد الخوئي بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩٣ وبقي المسجد والمشهد في حالة من عدم التشييد.

بعد سقوط النظام البعثي باشر السيد صاحب العوادي بوضع شباك في مشهد النبي يونس حيث كانت تقصده الناس بالرغم من عدم جاهزيته لاستقبال أعداد كبيرة منهم، ولما بدأ الوقف الشيعي أعماله

منظر عام لمسجد الحمراء ومشهد النبي يونس عليه السلام كما هو في التصاميم المعمارية

تم تهديم البناء كلياً وإزالة الشباك مع ما به من وثائق ودخل ضمن خطة التعمير مرة أخرى ومازال العمل جارياً لحد الآن.

بعد سقوط النظام البعثي البائد عام ٢٠٠٣ بدأت حملة إعمار مكثفة للمقام والمسجد من قبل هيئة الأعمار في المحافظة وكانت الخرائط القديمة معتمدة أصلاً فتم إكمال إزالة البناء القديم كلياً ثم القيام بأعمال الأسس، وكانت الفكرة تنصب على بناء مقام النبي يونس منفرداً لوحده وفي خلفه مسجد الحمراء، فكان العمل يمثل المرحلة الأولى من التشييد ثم أصبح العمل بعهدة مديرية الوقف الشيعي، وقد حدثنا المهندس المنفذ حيدر صباح الخفاجي مشكوراً عن مراحل التشييد قائلاً: (كُلفت بمتابعة أعمال مشروع تشييد مسجد الحمراء ومقام النبي يونس عام ٢٠٠٧ معتمدين على الخرائط المصممة من قبل مركز العمارة العراقية الذي يديره المهندس المعماري القدير مجيد صاحب علاوي، وهي تصاميم حديثة تجمع طابع العمارة الإسلامية مع تداخل فني هندسي عصري سيضفي جمالية أكثر على المنشأ.

تبلغ المساحة الإجمالية للمنشأ حوالي ٢٩٣١ مترًا مربعًا وتتوزع على أربعة مرافق رئيسية: المسجد والمقام ومكتبة الرجال ومكتبة النساء إضافة إلى الخدمات الصحية وغرفة الإدارة وغرفة الخدمات. يطل مقام النبي يونس على الشارع حيث تنتصب قبته الشامخة بارتفاع (٥،٥٥م) وبقطر (٦،٦٥م)، وعلى جانبي المقام تطل بارتفاع (٢٧،٥م) منارتان، وفي قمة كل منارة أربع ساعات

تبدو في هذه الصورة واجهة مسجد الحمراء مع منظر جانبي لمشهد النبي يونس عليه السلام

لأربع جهات.

تبلغ مساحة المقام حوالي (١١٩) مترًا مربعًا وهي دائرية الشكل ويمكن الدخول للمقام من تحت المنارتين حيث تمثل إحداهما المدخل بالنسبة للرجال، أما الأخرى فتمثل المدخل للنساء. يفصل بين المقام والمسجد باحة مفتوحة توصل القادم بالباب الرئيسي للمسجد الذي يتقدمه سقف ربع دائري، والمسجد ينقسم إلى قسمين، احدهما للرجال بمساحة تبلغ حوالي (٥٣٢) مترًا مربعًا أما قسم النساء فتبلغ مساحته حوالي (١٧٧) متر مربع، تطوّق أعلى محيط جدار المسجد آيات قرآنية ثلاثية المستويات وقد قام بخطها الخطاط المشهور الأستاذ جاسم النجفي، حيث تكتب بالمستوى الأول آيات من الذكر الحكيم بخط معين ثم المستوى المركزي الأوسط تكتب آيات وبخط مغاير للأول وفي المستوى الأسفل أيضاً تكتب آيات وبخط يختلف عن الخطين السابقين وهي أول محاولة لعمل آيات بهذا الشكل في مساجد العراق.

ترتفع منارة قبة المسجد لتصل إلى ارتفاع يبلغ (٦،٥م) وبقطر يبلغ حوالي (١٠،٦م)، أما السقف الداخلي للمسجد فسيكون مغلّفًا بالكاشي الكربلائي ولأول مرة ستكون الزخارف بارزة مجسمة بأبعادها الثلاثة.

تحيط بالقبة المركزية قباب ثمانية، قطر الواحدة منها (٣،٥م) تتوزع بصوره دائرية تضفي على السقف جمالية رائعة، حيث تتداخل المستويات والأبعاد لتعطي

الخطاط جاسم النجفي وهو يقوم بخط الكتيبة القرآنية لمسجد الحمراء

شكلًا مميزاً كما تم تغليف المسجد بالحجر وهي أول مرة يتم فيها تغليف مسجد بالحجر.

تلحق بالمسجد مكتبتان إحداهما للرجال تبلغ مساحتها حوالي (١١٢) متر مربع وأخرى للنساء تبلغ مساحتها حوالي (٣٥) مترًا مربعًا وقد أخذنا بنظر الاعتبار حاجة طلبتنا لمثل هذه المكتبات، خصوصاً أيام الامتحانات.

ودعنا المسجد والمقام وحملة الإعمار قائمة على قدم وساق، وأملنا أن نراهما في القريب العاجل وهما يكتظان بالزائرين الذين يتوافدون إلى هذه البقاع المباركة للتقرب إلى الله تعالى.

المصادر:

(١) الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث، ٤٠٣/١.
(٢) العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ٤٣١.
(٣) المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها، ص١٧.
(٤) مختصر كتاب البلدان، ص١٧٣.
(٥) إبن الجوزي، المنتظم، ص٣٨٨.
(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٦/١٤.
(٧) الحموي، معجم البلدان، ٢٩٢/١.
(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٦/١٤.
(٩)المصدر السابق، ٢٥٣/١٣.
(١٠) النوري، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص٨٥.
(١١) أحكام القرآن، ٣٥/٤.
(١٢) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٧٥.
(١٣) تاريخ الكوفة الحديث، ١٠٨/١.
(١٤) تاريخ الكوفة، ص٧٥.
(١٥) ١٦٢/١٢.
(١٦) العتبات المقدسة في الكوفة، ص١٤٠.
(١٧) تاريخ الكوفة الحديث، ١٠٨/١.
(١٨) ص١٢٢.
(١٩) تاريخ الكوفة، ص ١٠٢.
(٢٠) مراقد المعارف، ١٣/٢.

نور علي عليه السلام

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: مر إبليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟

فقال: أنا أبو مرة.

فقالوا: يا أبا مرة أما تسمع كلامنا؟

فقال: سوءة لكم، تسبون مولاكم علي بن أبي طالب!

فقالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟

فقال: من قول نبيكم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته؟

فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته، ولكني أحبه، وما يبغضه أحد إلا شاركته في المال والولد.

فقالوا له: يا أبا مرة، فتقول في علي شيئاً؟

فقال لهم: اسمعوا مني معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين، عبدت الله عز وجل في الجان اثني عشر ألف سنة، فلما أهلك الله الجان شكوت إلى الله عز وجل الوحدة، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت الله عز وجل في السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة أخرى في جملة الملائكة، فبينا نحن كذلك نسبح الله عز وجل ونقدسه إذ مر بنا نور شعشعاني، فخرت الملائكة لذلك النور سجدا، فقالوا: سبوح قدوس، نور ملك مقرب أو نبي مرسل، فإذا النداء، من قبل الله عز وجل: لا نور ملك مقرب ولا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن أبي طالب.

الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٤٢٧ - ٤٢٨

باب حطة بين المفهومين المجازي والمكاني

ح. ش •

تشرفت في الأول من شهر رجب بزيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام فكما هو معلوم في هذا اليوم زيارة مخصوصة للإمام عليه السلام وكذلك تُزار ليلة النصف من شعبان.

استوقفتني عبارة (باب حطة) في فقرة: (السَّلامُ عَلَيْكَ يا بَابَ حِطَّة الذي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الآمنين) كما سألني عنها بعض الأصدقاء مما جعلني أنقب هنا وهناك باحثاً عنها، وهل باب حطة تعبير مجازي أم مكاني؟ بدا لي في الوهلة الأولى أنه مفهوم مجازي ولكن بعد البحث وجدته مفهوماً مكانياً إضافة للمفهوم المجازي.

أولاً: المفهوم المجازي:

قبل أن نتحدث عن المفهوم المجازي لنبين معنى كلمة حطة (على وزن فِعلة) فهي مأخوذة من الفعل حطط وحطّ الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه. كما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في الآية ﴿.. **وَقُولُواْ حِطَّةٌ**..﴾[1] أي اللهم حط عنا أوزارنا وهي موجهة لبني إسرائيل ولو قالوها لحطت أوزارهم.

ينصرف المفهوم المجازي وحسب الروايات إلى أهل البيت عليهم السلام حيث قال النبي صلى الله عليه وآله في جملة ما قاله لأبي ذر رضي الله عنه: (جعل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها غرق ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمناً)[2] كما روى عنه صلى الله عليه وآله عبد الله بن عباس قوله: (من دان بديني وسلك منهاجي واتبع سنتي فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أمتي فإن مثلهم في هذه الأمة مثل باب حطة في بني إسرائيل)[3] فكلا الحديثين يشيران إلى أن منزلة أهل البيت عليهم السلام في المسلمين بمنزلة باب حطة في بني إسرائيل.

المفهوم المكاني:

يرى المؤرخون حقيقة وجود باب حطة فيقول أحدهم: (باب كان في بني إسرائيل من دخله كان آمناً وغفر خطاياه)[4] ويحدد آخر المكان فيقول مجاهد: (قيل هو الباب الثامن من بيت المقدس)[5] وقال آخر: (قيل باب حطة باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل)[6] وقال قوم: (هو باب القرية التي أمروا بدخولها)[7] وقد فند هذا القول الجبائي حيث قال (والآية على باب القبة أدل لأنهم لم يدخلوا القرية في حياة موسى)[8].

وفي المفهوم المكاني فإن باب حطة يعد من أقدم أبواب المسجد الأقصى المبارك حيث يقع على سوره الشمالي بين بابي الأسباط وفيصل، جدد في الفترة الأيوبية زمن السلطان شرف الدين عيسى عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، ولا يعرف أول من بناه، وإن كان بعض العلماء قد قال إنه كان موجودًا

قبل دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، للآية الكريمة ﴿.. **وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ**..﴾، غير أنه لا يوجد دليل على أنه الباب المذكور في الآية.

وهذا الباب بسيط البناء، محكم الصنعة، مدخله مستطيل، وتعلوه مجموعة من العلاقات الحجرية، كانت فيما مضى تستخدم لتعليق القناديل.

يفتح باب حطة إلى حارة عربية إسلامية في القدس هي (حارة السعدية)، وهو أحد ثلاثة أبواب فقط للمسجد الأقصى المبارك يسمح المحتلون بفتحها لصلوات المغرب والعشاء والفجر، بعكس باقي الأبواب التي يتم إغلاقها خلال هذه الصلوات. غير أنه، وكغيره من أبواب الأقصى، يتعرض لاعتداءات دائمة على يد المحتلين، أبرزها منع المصلين من المرور منه، خاصة عندما تعلن قوات الاحتلال منع دخول من تقل أعمارهم عن ٤٠ عاماً إلى الأقصى. فلكونه الباب الوحيد المفتوح خلال صلاة الفجر من الجهة الشمالية، وحيث إن سريان مثل هذا المنع يبدأ من وقت صلاة الفجر، فإن أعدادا غفيرة من جنود الاحتلال يتمركزون عنده لتنفيذ أمر المنع، فتقع الكثير من المصادمات مع عشرات المصلين الشباب الممنوعين من دخول الأقصى[٩].

المصادر:

(١) سورة البقرة/٥٨.
(٢)الطوسي، الأمالي، ص٥٢٦.
(٣)المجلسي، بحار الأنوار، ١١٩/٢٣.
(٤)القاضي المغربي، شرح الأخبار، ٤٧٣/٣.
(٥)العيني، عمدة القاري، ٣٠٠/١٥.
(٦)الطوسي، التبيان، ٢٦٣/١.
(٧)المصدر السابق.
(٨)المصدر السابق
(٩) ينظر الموقع: www.foraqsa.com

يصح الوجهان

ضياء حسن •

ينابيع (يصحُّ الوجهان) باب جديد استحدث في (ينابيع)، ولاقت حلقته الأولى استحسان القرّاء لتقديمه مادة ثقافية لا تنال اهتمامًا يُذكَر في وسائل الإعلام المكتوبة أوالمسموعة أوالمرئية.

ويضيف هذا الباب أيضًا إلى جهود المتطوعين لصون (العربية) من آفات اللَّحن، نهجًا لا يعتمد تخطئة ما شاع من الأخطاء فيها، بل تصويبَ ما شاع تخطئته، كي يبحبحَ الناطقون بلغة الضاد في استعمال هذه اللغة الجميلة، دون وجلٍ من رقابة لغوية رادعة، أشاعت في أوساطهم ما يمكن وصفه بـ(فوبيا الأخطاء الشائعة)، أو (رهاب الأغلاط اللغوية)، المقترن غالبًا بصيغة الأمر: (قل) أو (لا تقل).

وبالصلاة على محمد وآله نبدأ الحلقة الثانية في هذه السلسلة:

* * * * * * *

اللهمَّ صل على محمد وآله

والصلاة بهذه الكيفية ثمة من يعترض عليها أيضًا، ولا نعني بهمُ النواصبَ على أية حال، بل بعض علماء اللغة مثل الكسائي وغيره الذين يخطِّئون إضافة (الآل) إلى ضمير لأنه يضاف إلى الاسم الظاهر، لكنَّ آخرين يصححون استخدامها مستشهدين بقول عبد المطلب عام الفيل: (اللهم إن المرءَ يمنع رحله فامنع رحالك.. وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك)/ بحارالأنوار/ ج١٥ ص٧٠.

ومستشهدين بالمعاجم التي لم تمنع إضافة (آل) إلى الضمير، إذ ورد في (النهاية) و(اللسان) و(التاج) وغيرِها نصوص متعددة أضيفت فيها (آل) إلى الضمير. وعليه يصحُّ (لغةً) أن نصليَ على أئمة الهدى، محمدٍ والآل الكرام بقولنا: (اللهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد)، أو، (اللهمَّ صلِّ على محمد وآله)، وكلاهما من الفصيح.

* * * * * * *

أئمة الهدى

وعلى ذكر أَئِمَّة الهدى (عليهم الصلاة السلام) فإن من بعض النحاة مَن يضَعِّف هذا القول، لأن الهمزةَ الثانيةَ في (أئِمَّة)

مكسورةٌ وما قبلها همزة مفتوحة، ما يوجب قلبَ الهمزة الثانية ياءً (تسهيل الهمزة)، فقد ذكر صاحب القاموس (أيمَّة)، و(أَئِمَّة) جمعًا لكلمة (إمام)، ووصَفَ الأخيرةَ بالشذوذ، وهذا غير صحيح، إذ ورد الجمع (أَئِمَّة) في القرآن الكريم خمس مرات مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ الأنبياء/ ٧٣، وعليه يصحُّ قولُنا (أيّمة الهدى) وهي فصيحة مهملة، كما يصحُّ القول (أَئِمَّة الهدى) وهي فصيحة.

* * * * * * *

أثاب اللّه الناصبي على نصبه

أي جازاه. يرفضها بعض اللغويين بحجَّة أن الإثابةَ تستخدم في الخير فقط، ويردُّ آخرون هذا الرفض لأنَّ: الفعل (أثابَ) يستخدم في الخير وفي الشَّرِّ أيضًا، إلا أنه في الخير أخصُّ وأكثرُ استعمالًا. ففي التاج: (الثواب: الجزاء، مُطلقٌ في الخير والشَّر، لا جزاء الطاعة فقط)، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين/ ٣٦.

وعليه يصحُّ قولنا: أثابَ اللّهُ الناصبيَّ على نصبه. كما يصحُّ القول: جزى اللّه المؤمنين على إيمانهم.

* * * * * * *

أكد على وجوب موالاة آل البيت عليهم السلام

يشيع في اللغة المعاصرة استعمال (أكَّدَ على). ويرفض علماء اللغة تعدية فعل (أكَّدَ) بحرف الجر (على)، لأن العرب استعملوا هذا الفعل متعديًا بنفسه، فقالوا: أكَّدَ العهدَ والعقدَ، وقد أكَّدتُ الشيءَ. والتأكيد هو التوثيق والتثبيت، والوارد في المعاجم تعدية هذا الفعل بنفسه. ولا صحة لقولهم أكَّدتُ على الأمر والصحيح أكَّدتُ الأمر، ففي نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين عليه السلام (مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بهم وبين معرفته). وقال المرزوقي في (شرح الحماسة): (ويؤكد المقرّرَ على المخاطَب). فالمؤكَّد عليه هو الشخص المخاطَب

وليس المقرّر.

وتعدية الفعل (أكَّدَ) بـ(على) انتقلت إلى العربية بفعل الترجمة الرديئة من التركيب الأجنبي، فالفعل الأجنبي في هذا المعنى يتعدى بهذا الحرف. (أكَّدَ على نقاط معينة)، وهو في الفرنسية:

(Il a insiste sur certains points).

وفي الإنكليزية:

(Strained relaitions).

وحاول بعض الباحثين تخريج هذه العبارة بما يلي: أنَّ مفعول أكَّدَ محذوف وتقدير الكلام: أكَّدَ الأستاذ التنبيهَ، أو الحثَّ على حضور الطلاب، وأنَّ الفعل (أكَّدَ) يتضمن معنى (نبَّهَ)، يقال: (نبَّهَ) الأستاذُ على الحضور، أي أوقفه عليه، وأعلمه به، وبهذين التخريجين للتعبير المرفوض أخذ مجمع اللغة المصري، وجوّز استخدامه بعد شيوع تعديته بـ(على)، وبهذين التقديرين يصحُّ الوجهان في قولنا:

(أكَّدَ القرآنُ الكريمُ على وجوب موالاة آل البيت عليهم السلام).

وفي قولنا: (أكَّدَ القرآنُ الكريمُ وجوبَ موالاة آل البيت عليهم السلام)، مع التنويه بفصاحة القول الثاني.

* * * * * * *

أمر (هامٌ)

أي يسترعي الاهتمام ويدعو إلى اليقظة والتدبّر. ولقد أنكر بعض خبراء اللغة، ومنهم المرحوم مصطفى جواد، هذا القول لأنَّ (الهامَ) مذكّر (الهامّة) بمعنى: (الدَّابّة، وكلّ ذي سُمٍّ قاتل).

وفي المعاجم يردُ استعمالُ (هَمَّ) بمعنى (أَهَمَّ)، ففي المصباح: (وأهمَّني الأمرُ، بالألف، أقلقني، وهَمَّني مثلُهُ)، كما نقل اللسان عن أبي عبيد في باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه: (همُّك ما همَّك، ويقال: همُّك ما أهمَّك). فالتبادل بين الصيغتين وارد، ومن ثَمَّ يجوز استخدام اسم الفاعل من أيهما.

كما نص (المصباح) و(القاموس) و(التاج) على أن (همَّه) كـ(أهمَّه). وجاء في (اللسان) همَّهُ الأمرُ وأهمَّهُ واهتمَّ به. فالهامُّ اسمُ فاعل من هَمَّ، والمهمُّ اسمُ فاعلٍ من أهمّ، وقد أشار الرضيُّ الاستراباذي في شرح الشافية إلى أنه إذا جاء (فَعَلَ) بمعنى (أفعَلَ) ففي المزيد لفظًا، زيادةٌ في المعنى تعني التأكيد والمبالغة. ومن أجل هذا قال العرب (المهمّ) للأمر الشديد، ولم يقولوا (الهامّ) وهذا فرق بينهما مع جواز الوجهين: (أمر هامٌّ)، و(أمر مهمٌّ). وكلاهما من الفصيح.

* * * * * * *

التلميذُ متوسطٌ من حيث ذكائه

يرفض رأيٌ هذا القول بسبب إضافة (حيث) إلى المفرد، وحقها أن تضاف إلى الجمل الفعلية أو الاسمية. و(حيثُ) ظرفُ مكانٍ مبنيٌّ على الضمِّ، في محل نصبٍ أو جرٍّ، يلزم الإضافة إلى جملة فعلية مثبتة مثل: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ البقرة/ ١٤٩. أو منفية مثل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق/ ٢-٣. أو إلى جملة اسميّة مثل: (جلستُ حيثُ الجلوسُ مريحٌ).

لكنها مع ذلك تضاف إلى المفرد (أي ما ليس جملة)، وهذا نادر، فيبقى

مرفوعًا بعدها (وهو الفصيح)، ويعرب مبتدأ محذوفَ الخبر: مثل: (مكثا حيثُ الظلُّ)، أي مكثا حيث الظِّلُّ ممتدٌّ، أو يُجرُّ بالإضافة (وهو صحيح رغم عدم فصاحته) مثل: (أنا مقيمٌ حيثُ الأمانِ، وحيثُ الاطمئنانِ)، استنادًا إلى إجازة بعض النُّحاة ـ ومنهم الكسائي ـ الذين احتجوا بأمثلةٍ مسموعة، كقول الشاعر:

يطعنهم تحت الحُبا بعد ضربهم
بِبِيْضِ المواضي حيثُ ليِّ العمائمِ

وقولِ شاعرٍ غيره:

أما ترى حيثُ سهيلٍ طالعًا

وقد أجاز مجمع اللغة في القاهرة إضافة (حيث) إلى المفرد، قياسًا على أخواتها من الظروف المكانية، وجرَّ مابعدها.

وعليه يصحُّ الوجهان في قولنا: (التلميذُ متوسطٌ من حيث ذكاؤُه). و(التلميذ متوسّطٌ من حيث ذكائِهِ).

****

حقوق الغير:

يشيع في لغة العصر الحديث إدخال (أل) على لفظ (غير) ويخطِّئُ كثيرون ذلك استنادًا إلى ما ورد في كتب اللغة والنحو مانعًا من ذلك، لأن (غير) لا تُعَرَّف بـ(أل)، فقد ذهب بعضهم إلى الشكّ في صحة دخول (أل) على (غير)، كما منعوا دخولها على (كلّ) و(بعض)، لأنها لا تتعرف بالإضافة فلا تتعرف باللام، بل منعوا كذلك تثنية (غير) وجمعها.

ولكن ذهب آخرون إلى جواز تعريف (غير) بـ(أل) ومنهم من ثنّاها وجمعها، كالراغب صاحب (المفردات) فقال: (إن الغَيرَيْن قد يكونان متفقَيْن في الجوهر بخلاف المختلفَيْن). وقال الشاطبي: (فعَلَ الغيرُ ذلك). وجَمَعَ الجوهريُّ (غيرًا) على (أغيار). لذا فإن إدخال (أل) على (غير) ليس استعمالًا حديثًا، فقد خطَّأه الحريري، كما أن تصحيح إدخال (أل) عليها ليس رأيًا جديدًا كذلك، فقد نادى به الشهاب الخفاجي في (شرح الدرّة): تعليقًا على منع الحريري، وذلك حين قال: (ما ادَّعاه من عدم دخول (أل) على (غير) وإن اشتُهِرَ فلا مانع منه قياسًا).

وفي (تهذيب الأزهري): (قال ابن أبي الحسن في شامله: عندي أن لا مانع من ذلك لأن اللام ليس فيها للتعريف. وقد يُحمَل (الغير) على معنى (الضِدّ)، فيصحُّ دخولُ اللام عليها بهذا المعنى). وقد أقرَّ ذلك مجمعُ اللغة المصري في القاهرة. وعليه يصحُّ القول:

(حقوقُ الغير)، أو: (حقوقُ غيرنا)، وكلا الوجهين من الفصيح .

****

عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ثلاثمئةٍ وثلاثة عشرَ رجلا

يرفضها بعضهم، بسبب حذف ألف (مائة)، ففي كتب الإملاء أن (الألف) تزاد وسطًا في كلمة (مئة) مفردةً ومثناةً ومركبةً نحو (مائة) و(مائتين) و(ثلاثمائة) إلى (تسعمائة)، والحكمة في زيادة الألف منع الالتباس بين (مئة) وبين (منه)، حين كانوا يتركون النَّقْط، فيلتبس قولك: (أخذتُ مائة) بقولك: (أخذتُ منه)، لو لم تزد الألف في مئة، كما قال ابن قتيبة.

ويرجِّح بعض فقهاء اللغة من المعاصرين حذفَ الألِف، لأن الأصل أن

تكتب (مئة) كذا، كما تكتب (فئة)، لاسيما وأن زيادة الألف في كتابتها قد أورثت الخطأ في النطق بها. ولأنه لم يبقَ الآن ثمة كتابة بلانُقْطٍ (أي إعجام). على أن هؤلاء لا يخطِّئون من يزيد الألف، ففي لغات العالم حروف زائدة تتخلل بعض الألفاظ، وتدل على تاريخ كتابتها، وهي تُرسَم ولا يُنطَق بها، علمًا بأن الأصل في (مئة): مِئْية، وقد حكى أبو الحسن قولهم: (أخذتُ منه مِئْيًا)، وهو يريد (مئة) كما جاء في (التصريف) لابن جنّي.

وقد أوصى مجمعُ اللغةِ العربيةِ في القاهرة بحذف ألف (مائة) مراعيًا في هذا نوعًا من التيسير الإملائي. مع جواز كتابتها منفصلة عن العدد أو متصلة به.

وعليه، فسواءٌ كتبنا الألف في عبارة: {عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ثلاثُمائة (ثلاثُ مائة) وثلاثةَ عشَر رجلًا}، أو حذفناها: {عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ثلاثُمئة (ثلاثُ مئة) وثلاثةَ عشَر رجلًا}. فالوجهان صحيحان.

المصادر:

(١) النحو والأساليب اللغوية المعاصرة/ تأليف د. مزيد نعيم - د. شوقي المعري- د. محسن العبيد/ منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٥.
(٢) معجم الصواب اللغوي - دليل المثقف العربي/ د. أحمد مختار عمر- منشورات عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٨.
(٣) معجم الأخطاء الشائعة/ محمد العدناني - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٣.
(٤) معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة/ محمد العدناني - مكتبة لبنان - بيروت ٢٠٠٩.
(٥) معجم تصحيح لغة الإعلام/ د. وليد النجار - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٧.
(٦) معجم تعدي الأفعال في اللغة العربية/ أنطون قيقانو - دار الراتب الجامعية - بيروت ٢٠٠٥ .
(٧) اللغة العربية بين الخطأ والصواب/ أحمد طهطاوي - محمد البنا - مركز الإسكندرية للكتاب - إسكندرية ٢٠٠٨.
(٨) معجم أخطاء الكتّاب/ صلاح الدين زعبلاوي - دار الثقافة والتراث - دمشق ٢٠٠٦.
(٩) أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيّين/د. أحمد مختار عمر /عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٦.
(١٠) معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية/ محمد محمد حسن شراب - دار المأمون للتراث دمشق ١٩٩٠.
(١١) قل ولا تقل/ د. مصطفى جواد - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق ٢٠٠١.
(١٢) ٢٠٠٠ خطأ شائع بين العامة والخاصة/ د. فهد خليل زايد - دار النفائس - عمّان - ٢٠٠٦.
(١٣) معجم الهمزة/ أدما طربيه - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ٢٠٠٧.
(١٤) نحو إتقان الكتابة باللغة العربية/ أ.د. مكي الحسني - النسخة الإلكترونية.
(١٥) معجم تصحيح لغة الإعلام العربي/ أ.د. عبد الهادي بوطالب - النسخة الإلكترونية.

ننوه لقراء مجلة (ينابيع) الكرام أنه وقع سهواً ورود اسم السيد (كاظم القزويني) في موضوع (الشيعة في استراليا) في العدد الماضي (٤٦) والصحيح هو السيد (كاظم الموسوي)، نعتذر للقراء الكرام وللسيد (كاظم الموسوي) عن هذا الخطأ الطباعي.

السجع في..
كلام أمير المؤمنين عليه السلام

أ. م. د عباس علي الفحام •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع السجع هو (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)[1]. فهو (في الكلام كمثل القافية في الشعر)[2]، (والأصل في السجع انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام،والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع، مع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد، إذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديبٍ من الأدباء سجاعاً، وما من أحد منهم ولو شدا شيئاً يسيراً من الأدب إلا ويمكنه أن يؤلف ألفاظاً مسجوعة ويأتي بها في كلامه، بل ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارةً طنّانة رنانة، لاغثّةً باردةً، واعني غثّةً باردةً أنّ صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا إلى تركيبها وما يشترط لها من الحسن)[3].

ومن هنا تبدو صعوبة السجع في الكلام، لما فيه من صنعة مقصودة قد يبدو فيها المعنى مقهوراً عليها مأتياً به لأجلها. ومما زاد الامر صعوبة قصور هذا اللون من السجع الموروث الذي كان شائعاً على ألسنة الكهان عن تقديم ما جاء به الإسلام من معانٍ ومفاهيم جديدة، ولهذا أنكره الرسول بسبب ما فيه من كلفة وقهر للمعاني فقال: (أسجعاً كسجعِ الكهّان)[5].

ولهذا نجد الإحجام عن السجع في خطابة هذا العصر، لا لعيبٍ فيها إلا في صعوبة التوفيق بين صنعته المقصودة وبين عرض المفاهيم الجديدة من غير أن يكون لهذه الصنعة تأثير يخلُّ في أداء المعنى، فتجيء ألفاظه كما يقول ابن الأثير (غثة باردة).

وكيف يكون في مطلق السجع عيْب وقد جاء القرآن جلُّه مسجوعاً، وجاءت أحاديث النبي فيها الكثير من السجع (حتى إنه غيَّر الكلِّمة عن وجهها إتباعاً لها بأخواتها من أجل السجع)[5]، كقوله: (خيرُ المالِ سكّةٌ مأبورةٌ، وفرسٌ

مأمورة)[٦] فقوله (مأمورة) من أجل إتباع (مأبورة) و(القياس مؤمرة)[٧] ومنها أنه صلى الله عليه وآله (عوّذ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام فقال أعيذُهما من السامة والهامّة وكلِّ عين لامّة) وإنما أراد ملمة فلاتباع الكلِّمة أخواتها في الوزن قال (لامة)[٨].

أهمية السجع في كلام الإمام علي عليه السلام:

وكان السجع العلامة البارزة في خطب الإمام علي عليه السلام فقد كان يؤثره ويتكلف إدخاله في خطبه، ولكنّه كما علل ابن أبي الحديد (تكلّف مستحسُن كما إنّ الشعر متكلّف في وزنه وقافيته)[٩].

يقول العلوي في سجع الإمام عليه السلام (فأما الأمثلة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فهي كثيرة وله فيه اليد البيضاء والقدم السابقة)[١٠]، بل يمكن القول إنّ الذي حفظ للإمام عليّ خطبه من الضياع هو السجع لكثرة احتفائه به. يروي الجاحظ أنه (قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي، لمَ تؤثر السجع على المنثور، وتلازم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إنّ كلامي لو كنت لا آمل فيه إلاّ إسماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكن أريد الغائبَ والحاضرَ والراهنَ والغابرَ، فالحفظ إليه أسرع والأسماع لسماعه أنشط وهو أحق بالتنُّبه وبقلة التلفّتْ، وما تكلّمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلّمت من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره)[١١].

ولهذا (فإن الكلاّم المنثور الخالي من الوزن والقافية يراد به في الأغلب إقناع المخاطبين، أمّا التفكير في الحاضرين والغائبين فيوجب كلاماً مصنوعاً يستاهل البقاء وكانت الصنعة أظهر ما تكون في القوافي والأوزان)[١٢].

ووسم السجع خطب الإمام عليّ عليه السلام جلّها، فقد كان يعمد إليه في كل حالاته لتحقيق الإيقاع، يقول عليه السلام من خطبة في التوحيد: (واحدٌ لا بعَدَد، ودائمٌ لا بأَمَد، وقائم لا بعَمَد)[١٣]. فهذا التكرار لحرف الدال المفتوح ما قبلها قد أكسب الكلام إيقاعاً وأثراه قصر الجمل فيها.

ويقول عليه السلام في إثبات الوحدانية: (فانظُرْ إلى الشمسِ والقَمَرِ، والنباتِ والشَجَرِ، والماءِ والحَجَرِ، واختلافِ هذا الليلِ والنهارِ، وتفرُّق البحارِ، وكثرةَ الجبالِ وطُولِ هذه القلالِ، وتفرُّق هذه اللغاتِ، والألسُنِ المختلفاتِ، فالويلُ لِمَنْ جَحَدَ المقدِّر، وأنكَرَ المدبِّر، زعموا انهم كالنبات، مالهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجّةٍ فيما ادعَوْا، ولا إلى تحقيقٍ لما أوْعَوْا، وهل يكونُ بنايةٌ من غيرِ بانٍ، او جنايةٌ من غير جانٍ)[١٤]. ولاريب في أن الموسيقى قد غمرت الصور في هذه الخطبة فقد توافرت على عناصر أثرتها بالإيقاع، لعل من أبينها السجع، غير أنْ لقصر الفقرات في إيراد الفواصل الموزونة على كلمتين أو ثلاث كلمات في الأغلب وتوافرها على التجنيس كقوله (ادعوا) و(اوعوا) وقوله (بناية) و(جناية) أثراً لا يخفى في تكثيف الموسيقى.كما أن لاشتمال السجعات في (الشجر) و(الحجر) و(اوعوا) على لزوم ما لا يلزم[١٥] دوراً آخر في تركيز الإيقاع وتكثيفه في الصورة.

ويقول عليه السلام في خطبة واعظاً يصف الدنيا: (ألا وهي المتصدِّيةُ العَنون،

والجامِحَةُ الحَرون، والمائنةُ الخؤُون، والجَحُوُد الكنّود، والعَنود الصَدود، والحَيود الميُود)[١٦].

فالموسيقى في هذه الصور متحققة من السجع المتكرر المقام على التوازن فضلاً عن قصر الجمل وترصيع بعضها كما في الفاصلة الأخيرة.

وقال الإمام عليه السلام في أهل النفاق: (قلوبُهم دوّيةٌ، وصفاحُهم نقيّة، يمشون الخَفاء، ويدبّون الضَّرَاء، وصفُهم دواء، وقولُهم شِفاء، وفعلُهم الداء العَياء، حَسَدة الرَّخاء، ومؤكّدوا البلاء، ومُقنّطوا الرجاء، لهم بكلّ طريقٍ صريعٌ، وإلى كلّ قلبٍ شفيعٌ، ولكلّ شجوٍ دموعٌ، يتقارضون الثناءَ، ويتراقبون الجزاء، إنْ سألوا ألْحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حَكَموا أسرفوا، قد أعدّوا لكلّ حقٍّ باطلاً، ولكلّ قائم مائلاً، ولكلّ حيٍّ قاتلاً ولكلّ بابٍ مفتاحاً ولكلّ ليلٍ مِصباحاً)[١٧].

والسجع في هذه الصور متنوع الحروف، فقد جاء بحرف الياء والهمزة والعين والفاء واللام والحاء، ولا ريب في أن لذلك أثره في تنويع الإيقاع على النفس، كما أن لذلك دلالته في عفوية السجع وعدم أسر المعنى له.

ومن ذلك قوله راثياً زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام: (أمّا حزنيَ فسرمدُ، وأما ليلي فمسهَّد)[١٨].

وقد جاء السجع في (سرمد) و(مسهد) على أساس من التوازن في الكلّام وهذا اللون (أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه)[١٩].

ومثله قوله عليه السلام حين نُعيَ إليه محمد بن أبي بكر: (وكان إليَّ حبيباً وكان لي ربيباً)[٢٠].

وقد أقيم السجع في (حبيب) و(ربيب) على الموازنة كما أن التزامه ما لا يلزم ركّز من موسيقاه.

فالسجع ـ إذن ـ قد طبع كلام الإمام عليه السلام جلّه، إذ لم يقتصر على موضوع دون موضوع فهو واحدٌ من أدوات الإمام عليه السلام الفنية الرئيسة في صياغة موضوعاته ومعانيه، يؤثره كلما قصد إلى الأداء الفني في التعبير، ويتوخاه حتى لو اضطر إلى التغيير في بنية الكلِّمة المسجوعة.

كقوله عليه السلام يصف الدنيا: (إنْ جانبٌ منها اعذوذبَ واحلَوْلى، أمرّ منها جانبٌ فأوْبى)[٢١].

فقد خففت الهمزة من الفعل (أوبأ) فأصبحت (أوبى) لإحداث السجع مع (احلولى) التي جُعِلَت نهاية للفاصلة الأولى للسبب نفسه.

وفي موضع آخر للكلِّمة نفسها يقول الإمام عليه السلام: (مالي أراكم عنِ اللّهِ ذاهبين، وإلى غيره راغبين، كأنكم نَعَمٌ، أراحَ بها سائمٌ إلى مرعىً وبيٍّ ومشربٍ دويٍّ)[٢٢].

فإنما هي (وبئ)[٢٣]، ولكنّ الإمام عليه السلام ليّنها لإحداث الإيقاع الصوتي بينها وبين (دوي) الخالية أصلاً من الهمز.

على أنه عليه السلام أظهر الهمزة على الكلمة نفسها من أجل السجع وذلك في قوله: (إنّ الحقَّ ثقيلٌ مريء، وإنّ الباطل خفيفٌ وبيء)[٢٤]، وليس ثمة ما يدعو إلى الإبقاء على الهمزة في (وبيء) غير التماس القرينة السجعية مع كلمة (مريء).

وفي صورة أخرى يقول الإمام عليه السلام واصفاً قدرة الله سبحانه بأنه: (مُذِلُّ من ناواه، وغالب مَنْ عاداه)[٢٥].

وأصلُ (ناواه) (ناوأه)[٢٦] ولكنّها لُيِّنت من أجل إحداث السجع بينها وبين كلمة

(عاداه).

بدا من ذلك أن للسجع أثراً كبيراً في إشاعة التنغيمات الصوتية في كلام الإمام عليّ عليه السلام، ويمكن تلخيص خصائصه بما يأتي:

١. عفويته، على الرغم من أنه جاء مصوغاً لمفاهيم جديدة، كالوحدانية والعالم الآخر والتشريعات الأخرى، وذلك يدل على شدة انصهار الإمام عليه السلام في هذه المعاني لأن جدتها لم تصرفه عن الإتيان بالصنعة في أدائه الفني.

٢. أقامته على التوازن أبداً، وكثيراً ما يقرن السجع بالازدواج.

٣. اشتماله على الترصيع ولزوم ما لا يلزم وذلك يكسب الكلام مزيداً من الإيقاع ويثريه بالموسيقى.

٤. توخي السجع القصير: وكما بدا فإن الإمام عليه السلام يتوخى في أسلوبه السجعي الفقرات القصيرة الجمل (وكلّما قلّتِ الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع)[٢٧] وهذا أوعر السجع مذهباً، (لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عزّ مواتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه)[٢٨].

ويقول العلوي إن السجع القصير في كلام الإمام عليه السلام (أكثر ما يكون في الكتب والمواعظ في الخطب المنسوبة إليه وهو أضيق مسالك السجع كما مر بيانه ولكنّه غير ضيق عليه لما خزن من كنوز البلاغة ما إن مغالقه ليصعب على أكثر الخلق فتحها)[٢٩].

ولاريب في أن اجتماع هذه الخصائص في سجع الإمام عليه السلام أثرى كلامه بالموسيقى، لأن مجرد التوازن في الكلام يحدث في النفس قبولاً فكيف لو أقيم السجع المشتمل على الترصيع ولزوم ما لا يلزم والتجنيس على فواصل متوازنة قصيرة؟

الهوامش:

(١) المثل السائر ، لابن الأثير، ج١، ص٢٧٥.
(٢) البرهان في وجوه البيان، ص٢٠٩.
(٣) المثل السائر، ج١، ص٢٧٥ـ٢٧٦.
(٤) البيان والتبيين، ج١، ص٢٨٧.
(٥) المثل السائر، لابن الأثير، ج١، ص٢٧٣.
(٦) البيان والتبيين، ج٢، ص١٩، وفي مقاييس اللغة لابن فارس (مهرة مأمورة وسكة مأبورة)، ج١، ص١٣٨.
(٧) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، ص٤٢.
(٨) المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.
(٩) شرح النهج، ج١، ص١٣٠.
(١٠) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي، ج٣، ص٣٠.
(١١) البيان والتبيين، ج١، ص١٥٨.
(١٢) النثر الفني، زكي مبارك، ج١، ص٩٥.
(١٣) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٣، ص٤٤.
(١٤) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٣، ص٥٦.
(١٥) لزوم ما لا يلزم هو (أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً)، المثل السائر، لابن الأثير، ج١، ص٣٦٥.
(١٦) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٣، ص١١٦.
(١٧) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٠، ص١٦٤.
(١٨) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٠، ص٢٥٦.
(١٩) المثل السائر، لابن الأثير، ج١، ص٣٣٣.
(٢٠) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج٦، ص٥٣.
(٢١) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٢٦.
(٢٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٠.
(٢٣) ينظر: لسان العرب، مادة (وبأ).
(٢٤) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٩، ص٤٥.
(٢٥) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج٦، ص٣٩٥.
(٢٦) ينظر: لسان العرب، مادة (نوأ).
(٢٧) المثل السائر، لابن الأثير، ج١، ص٣٣٦.
(٢٨) المصدر نفسه.
(٢٩) الطراز، ليحيى بن حمزة العلوي، ج٣، ص٣١.

قراءة في تراث..
مصطفى جواد

د. زهير غازي •

كان لقاء الدكتور مصطفى جواد حلمًا يراودنا قبل انتظامنا في الدراسة الجامعية. كانت أخباره وأحاديثه الإذاعية تملأ نفوسنا شوقًا للتلمذة على يديه، وتحقق ذلك الحلم سنة ١٩٦٠ من القرن السابق. لقد التقينا بمن نحلم أن نلتقي به وسمعنا صوته في قاعات الدرس بكلية التربية، جامعة بغداد، ومرت أربع سنوات ونحن نتابعه ونحاوره في مادة الأدب في السنة الأولى وفقه اللغة في الرابعة ثم الدراسات العليا مادة تحقيق النصوص سنة ١٩٦٤.

كنا نسمع صوتًا وعلمًا يختلف عما نسمعه من غيره من الأساتذة الآخرين معرفة وحفظًا واجتهادًا، وكان الأستاذ الآخر الذي أفدنا منه وأثر فينا هو الدكتور أحمد عبد الستار الجواري رحمه الله.

مصطفى جواد عالم لغوي محقق كان همه وغايته التي سعى لها طيلة حياته الحفاظ على سلامة العربية وإشاعتها على ألسن الناطقين بها. كان لذلك سعيه في قاعات الدرس وفي المؤتمرات العلمية وفي نشر مقالاته إذاعة، وأحاديثه حتى ابتدع وسيلته الإعلامية لإيصال صوته إلى كل بيت بوساطة الإذاعة والتلفاز ببرنامجه البديع (قل ولا تقل) فجعل اللغة حديث المجتمع نخبتهم وعامتهم ،وهو منهج جعل مصطفى جواد يتردد على كل لسان يسمعه ويسمعه بشوق وانتظار برنامجه الذي كان يؤديه ببراعة نافذة أثرها في قلوب السامعين بكل طوئفهم[1].

بقينا نتابعه ونستمع أحاديثه ونراسله لمعرفة ما يلتبس علينا من اللغة والتاريخ حتى جاء نعيه صدمة لمريديه ومحبيه،فودعناه بكلمة تأبينية ألقيت على جثمانه في ركن سادن الصحن العلوي الشريف في النجف الأشرف عصر يوم ١٩ كانون الأول ١٩٦٩.

ثم ووري الثرى فكان قبره في بداية شارع كربلاء العام يضم أكبر أعلام الحضارة في العراق في القرن العشرين.

اللغة وسلامتها لديه:

لقد انشغل النصف الأول وما بعده من القرن العشرين في الدعوة إلى إصلاح العربية، وهذه كانت ثمرة نشاط النهضة الثقافية التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر، فقد ظهرت ونمت حركة لغوية للنهوض بالعربية نحوها وصرفها ومصطلحها وإملائها في مصر والشام والعراق،فكانت دعوات الإصلاح أهم مكونات الثقافة اللغوية والأدبية، فظهرت مؤلفات في تاريخ الأدب وارتفع صوت طه حسين لإصلاح منهج دراسته كما ظهرت دعوة إصلاح نحو العربية وتيسير قواعدها للدارسين.

ظهر اتجاهان: أحدهما إصلاح الكتاب النحوي فألفت كتب في ذلك في النحو الواضح والبلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين والنحو الميسر إضافة إلى الكتب المدرسية.

والاتجاه الآخر إصلاح المنهج اللغوي فكانت حركة تيسير النحو على يد علماء من مصر ولبنان والعراق مثل إبراهيم مصطفى وزارة المعارف المصرية ثم الدكتور مهدي المخزومي وأحمد عبد الستار الجواري في العراق وأنيس فريحة بلبنان وغيرهم .

كما ظهرت حركة إصلاح المعجم العربي والمصطلح وتأليف الجديد فيه، فكانت الدعوة إلى تأليف المعجم التاريخي والمعجمات العصرية، كما قويت حركة تحقيق التراث العربي ونشره بالصورة اللائقة، فكان محققون بارعون في مصر والعراق وباقي البلاد العربية، كما ظهر علماء اهتموا بإصلاح العربية في هذه المجالات كافة يحملون الثقافة الموسوعية الشاملة في مقدمتهم الأب أنستاس مادي الكرملي في العراق، والدكتور مصطفى جواد. في هذا الجو من الحركة العلمية ظهر مصطفى جواد حاملًا الثقافة الموسوعية في التاريخ واللغة والبلدان والأدب بفنونه

وعصوره المختلفة.

فالكتابة عن مصطفى جواد ليست سهلة تكتنفها أسئلة مهمة: هل هو لغوي؟ نعم لقد كان يمتلك المعرفة اللغوية وفلسفتها والتبحر فيها .هل كان أديباً؟ نعم، فقد نظم الشعر وكتب في قضايا الأدب وتاريخه. هل كان مؤرخاً؟ نعم،فقد كان واعيًا التاريخ وأحداثه وحقق كتبًا مهمة فيه هل كان محققًا؟ نعم، لقد امتلك كل خصائص التحقيق العلمي، أمانته، فقد استخدم فكره وملكة حفظه النادرة وفطنته، وإبداعه في التعبير ومعرفته اللغوية والتاريخية وذاكرته الحادة ومعرفته اللغوية والتاريخية في تحقيق النص.

لقد كان منهجه في اللغة وتحقيق النص واحدًا وأهم خصائصه إشاعة المعرفة والأمانة العلمية والدقة في التتبع والاجتهاد في الرأي.

لقد كان مصطفى جواد علما من أعلام الحضارة العربية ومبدعًا في حفرياته اللغوية والتاريخية للوصول إلى هدف البحث، فهو أديب لغوي مؤرخ محقق شملت ثقافته كل هذه المعارف لكن اللغة وتحقيقها غلبت عليه، فاتخذ من اللغة عالمه ومن التحقيق مجاله الذي أبدع فيه، ومنهجه الذي سار عليه ولم يفارقه. فكان مكتبة تمشي وقاموسًا ينطق.

يعد كتابه (المباحث اللغوية في العراق) ومقالاته في سلامة اللغة العربية ووسائل نهوضها أهم ما صدر في القرن العشرين في العراق في دراسة أصول العربية نحوها ومفرداتها ومصطلحاتها، ويقرن كتابه المباحث اللغوية في العراق بكتاب العالم الألماني برجستراسر (التطور النحوي للغة العربية) لتشابه منهجهما التاريخي المقارن في تنقيبهما ومتابعتهما أطوار العربية التاريخية نحوها وأصول مفرداتها وأساليبها، ويزيده مصطفى جواد في اجتهاده واقتراحه وسائل النهوض بها.

لقد كان يتابع التطور العظيم الذي أصاب حياة العصر وأيقظ الأفكار والعيون على أسبابه ومخترعاته ووسائله المادية وتطوره الاجتماعي وماجدّ فيه من أفكاره، فبالرغم من الجهد في تنمية اللغة بقيت العربية غير مستوعبة لوسائل العصر وقضاياه الاجتماعية والفكرية (مع أنها من اللغات المنطوية على عناصر الحياة الكامنة فيها قوة النماء والإثراء والانتشار والازدهار)[٢].

لقد تفاجأت العربية بسيول من أسباب المدنية لم تعهدها من قبل، وبأمواج من العلوم والفنون والصناعات لم تعرفها (لقد أنقض ظهر اللغة العربية ديون قرون من الاصطلاحات، وفاتها أزمان اصطلاحات عدة، وتخلفت عن ركب الحضارة الحافل بتخلف أهلها وذهاب سلطانهم وتضاؤل إيمانهم بحقهم في الاستقلال.

ولولا هذا القرآن العزيز وهذا الدين المتين لطوحت بها الطوائح وقامت عليها النوائح وصارت كاللغات التاريخية)[٣].

لقد وجب على علمائها أن يتداركوا ما فاتها إذ تراكمت إزاءها ما لا تعرف تسمية لذلك حدد مصطفى جواد مشكلاتها ليضع العلاج كما يرى بما يأتي:

الحاجة الكبرى إلى المصطلحات لصلتها بالسيرة العلمية والعملية.

مشكلة المعجمات والمفردات.

مشكلة النحو والصرف.

مشكلة أساليب التعبير.

مشكلة رسمها وإملائها.

لقد عالج هذه المشكلات في (المباحث اللغوية) وظل يتابع معالجتها واقتراح وسائل إصلاحها في بحوثه ومقالاته الأخرى المنشورة.

مشكلة المصطلح وحاجة العربية إليه:

واجهت العربية في عصرها الحديث سيلًا هائلًا من المصطلحات والألفاظ للعلوم والفنون والآداب لم تكن تعرفها، فهي وإن كان لها قديمًا مجموعة كبيرة من المصطلحات في اختلاف العلوم والفنون لم يحسن المؤلفون جمعها وتنظيمها، وتلك الاصطلاحات تحمل قسمًا كبيرًا من حضارة العربية والإسلام وتعين على فهم كثير من الأمور المستبهمة علينا في تراث الأمة العلمي وتراثها الأدبي وتراثها الفني[٤] قد أصابها الجمود قرونًا فتختلف عما كان من تقدم حضاري في العلوم والفنون والآداب فصار فرضًا على علماء الأمة أن يتداركوا هذه المشكلة.

كانت بداية العناية بالمصطلح في العراق في النهضة اللغوية الحديثة بجهود الأب أنستاس ماري الكرملي وإصداره مجلة (لغة العرب) في تموز ١٩١١م عالج فيها اللغة والأدب والمصطلحات والتاريخ)[٥] وواصلت المجلة في مرحلتها الثانية عنايتها بالمصطلح العربي إلى جانب عنايتها بالمفردات والتاريخ والأدب حتى غلقها سنة ١٩٣١.

ومن الذين عنوا بالمصطلح العلمي والفني أيضًا في العراق الدكتور أمين المعلوف فقد وضع مصطلحات عسكرية للجيش العراقي تقابل الإنجليزية المستعملة، ووضع فيها معجمًا كما وضع في النبات، وكذا جهود السيد عبد المسيح وزير في وضع المصطلحات التي سهلت تعليم الجيش العراقي بالعربية سواء أكان في المدارس العسكرية المختلفة أم الثكنات[٦] ثم ألفت وزارة المعارف ما سمي في حينه بـ(المجمع اللغوي) سنة ١٩٢٦ وكان الشاعر معروف الرصافي وأنستاس الكرملي نواة له، مع انتخاب أعضاء آخرين. قام هذا المجمع بوضع كثير من المصطلحات في العلوم والآداب في مجال التعليم على وفق خطة اختطها أعضاؤه لوضع المصطلحات العلمية والأدبية ولكل ما يجد ويحدث من الكلمات في العربية وخاصة في الاصطلاحات التي تستعمل في المدارس والكتب المدرسية، وجعل النحت وسيلة من وسائل وضع المصطلح وقد اعترض الكرملي على وسيلة النحت إذ قال (لا أرى حاجة إلى النحت لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجهم إلى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية. هذا فضلًا عن أن العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم فكان ذلك سببًا للنحت[٧]. وقد أيد الدكتور مصطفى جواد اعتراض الكرملي هذا كما سيأتي الحديث.

لقد كان نشاط مصطفى جواد اللغوي في عهد مبكر من حياته مع الأب أنستاس الكرملي في مجلة (لغة العرب) وغيرها من المجلات ثم المحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية ومشاركته في الترجمة أيضاً. ثم استخدم الحديث الإعلامي والإذاعة والتلفاز وبهذه الوسيلة نقل القضية اللغوية إلى آفاقها الواسعة، فمشكلاتها وصراعها مع الوافد اللغوي والشائع الملحون لم يعد حديثها وحوارها منحصرًا في قاعات الدرس أو قاعات

المؤتمرات اللغوية وإنما شارك العامة والخاصة فيه من الناطقين بالعربية.

إن المصطلحات من أعمال الخاصة من علماء اللغة، أما العامة فيستعملون المسمى من الآلات والأشياء بأسمائها التي تأتي معها من الخارج وقد كثرت النقاشات في مجمع اللغة العربية في القاهرة، فكان على المجامع العلمية والمؤسسات اللغوية أن تضع الأسماء والمسميات قبل أن تشيع بين العامة بأسمائها الأجنبية والذي يجري العكس من ذلك، فبعد أن يشيع الاسم الأجنبي على الألسن يوضع الاسم العربي، ولذا يعاني اللسان العربي هذا الصراع اللغوي بين الفصيحة والعامية والمصطلحات الأجنبية والأسماء التي غزت اللسان العربي من الصعب تغييرها بعد شيوعها وإن كان الحسّ اللغوي أو الملكة اللغوية لدى العرب تضع المصطلح المناسب للجديد فتستعمله كما كان في وضع مصطلح (السكة الحديد) أو (سكة الحديد) عند دخولها مصر وغيرها. وأحياناً تشيع الأسماء الأجنبية على الألسن ثم يمحوها ما يضعه اللغويون من الأسماء الخفيفة على اللسان. فعندما دخل القطار والسيارة واللاسلكي (ريل) والهاتف شاعت بأسمائها الأجنبية في كل قطر أو تومبيل أو موتوركار والوايرلس أو تلفون، ولما وضعت أسماؤها المذكورة قبلها العامة ونسيت الأسماء الأجنبية ماعدا اسم التلفون مع الهاتف فوضع مصطلح القطار بدلاً من الريل والسيارة بدلًا من تومبيل أو موتوركار لكن هذا لا يحدث دائما فآلاف الأشياء دخلت بأسمائها الأجنبية وبقيت، وما وضع لها من أسماء في العربية أما كان وضعه متأخراً أو أن مصطلحه لم يكن موحدًا. فكل بلد يضع مصطلحًا خاصا به فوحدة المصطلح مفقودة وهي مهمة للحفاظ على وحدة اللغة كما اختلفوا في مصطلح (علم اللغة واللسانيات والألسنية وعلم اللسان) وربما يكون من جهل المترجمين للعربية فلم يحسنوا وضع المقابل من الأسماء المترجمة.

لقد عني الدكتور مصطفى جواد بذلك قائلًا: (إن شيوع الأسماء الغربية من المصطلحات لا يعنى عجز اللغة العربية بل تهاون أبنائها وتقصير علمائها وضعف المترجمين في نقلهم واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية)[٨].

وعانت العربية من هذا الأمر ومازالت تعاني خصوصًا في تعريب العلوم وتدريسها باللغة العربية في جامعاتها.

كان الدكتور مصطفى جواد يؤمن باجتماعية اللغة وتطورها وبالاجتهاد بوضع المصطلحات والألفاظ، وإن اللغة (لم تبق وقفًا على ما سمع من العرب الأولين ولا مقصورة عليه) وللعربية قابلية طبيعية لمجاراة الزمن والتطور تطورًا معتمدًا على طبيعتها في الاشتقاق والتعريب والنحت، ومعرفة هذه الطبيعة واجبة على من عني بها ووكل إليه الحفاظ على سلامتها)[٩].

وقد قال: (ان القدماء لم يسدوا باب المجاز .. فأهل هذا العصر يحق لهم استعمال عدد من الكلم على سبيل المجاز ويحق لهم الاتساع في التعبير على شرط أن لا يؤدي إلى المسخ والتغيير)[١٠].

إن هذا الشرط في قوله الأخير (أن لا يؤدي إلى المسخ والتغيير) جعل له موقفين في كثير من الأحيان:

الأول: إبداعه في وضع المصطلح

وقبولــه إذ كان موافقًا لما اختزنته حافظته من أصول الألفاظ واستعمالاتها في أطوار مختلفة من التاريخ. وموقفه هنا يريد به أن لا يتناقــض معناها الجديد ومعناها القديم أوله علاقة به.

وقــد جعلــه هذا مــن نــوادر اللغويين الحفــاظ العارفين بطبيعــة اللغة وباطلاعه واســتقرائه اســتعمال المفــردات فــي مختلــف عصورها،وهــذا جعله منســجمًا مــع مــا يعتقده مــن وســائل تنمية اللغة وأولها الاشــتقاق فطبيعة اللغة العربية أنها لغــة اشــتقاقية، وكان يتخــذ مــن القرآن الكريم المصــدر الأول والأفضل لإتباعه، والقياس على اســتعمالاته وبعد القرآن ما يثــق بفصاحته من كلام العــرب من النثر والشــعر. وهو يــرى أن اللغوي الذي يوكل إليــه الحفاظ على ســلامة اللغــة ينبغي له أن يعــرف هذه الخصيصة فــي اللغة، وإلا وقــع في الاختــلاط الذي قد يشــوّه اللغة فالمصطلح الجديد أو الكلمة يرجع بها إلى العربية فإذا كانت مســتعملة وأهملت أجاز قبولها أو يمكن اشــتقاقها على وفق الصيغ العربية وإلا كان ردّ قول من قبلها.

قــال: (جــواز الرجــوع إلــى الكلمات القديمة المهملة مــن المصطلحات العلمية والمصطلحــات الفنية الحديثــة مع بعض التصرف أو الاشتقاق إن دعت الحاجة إلى أحدهما)[١١].

هذه قاعدته فــي قبول الجديد أو رده، وبهذا جاء اقتراحه لكثير من المصطلحات وقبولــه لكثير من الكلمــات المقترحة من اللغويــين والمجمعيين، كاقتراحه مصطلح (دائــرة المعــارف) مقابل الاســم الأجنبي (انسكلوبيديا) وعدم قبوله اقتراح الكرملي (معلمــة) فالدائــرة قــد اســتعملها كبــار المسلمين للعلوم، ومن الشواهد التي ذكر قولها شمس الدين الذهبي في ترجمة أبي الفرج بــن الجوزي(ت٥٩٧هـ): (ومع تبحر ابن الجــوزي فــي العلوم وكثــرة اطلاعه وســعة (دائرته) لم يكن مبرزاً في علم من علــوم وذلك شــأن كل من فرق نفســه في بحــر العلوم) كما ذكر كلامًا لابن رجب قد استعمل الدائرة في العلوم[١٢].

واقتراحه على مجمع اللغة في القاهرة بإجازتــه مصطلــح (عضوة) بتــاء التأنيث لمشاركتها الواسعة في النشاط الاجتماعي والأدبي والعلمي ليطابق الموصوف صفته وسرد مجموعة حجج واستعمالات قديمة تســوغ هذا المصطلح بدلًا مــن بقائه على التذكير، وهــو ترجمة للكلمــة الإنجليزية ويــراد به واحد أو واحــدة، وأقدم الحجج مجيء قول الرسولﷺ لأبي بن كعب وقد أعطاه الطفيل بن عمرو الدوســي قوسًــا جزاء علــى إقرائه القرآن: (تقلدها شــلوة من جهنم) والشلو العضو فأنثها على معنى تأنيث القوس[١٣].

ووضعــه مصطلــح (القــلاب) لمرض القلــب قياسًــا على دلالــة صيغــة (فُعال) كالصداع والدوار.

هــذا مبــدؤه فــي الاشــتقاق ووضــع المصطلح وقبــول الجديد. فالفعل (تنازل) المســتعمل لدى أهل العصــر بمعنى تخلّى وترك، اعترض على قبوله في أول الأمر، لأن دلالته المعجمية: تنازل القوم نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم للقتال أو نزلوا إلى ساحة القتال فالفعل لا يدلّ على الاشــتراك بين اثنين أو أكثر، لكنه وجد الفعل مســتعملًا في شــرح قصيدة ابن عبــدون لعبد الملك بن بدرون مســتعملا بمعنــى (تخلى وترك وخلع نفســه) فقبلــه قائلًا: ثم بــان لي أنه

مولد مستعمل في لغة أدباء من الأندلس لا يستهان بهم.

كذلك الفعل (استلم) بمعنى أخذ وتناول في استعمال أهل العصر قد خطأه أسعد داغر متذرعًا بأن أصل استعماله بمعنى اللمس والتقبيل والصواب تسلم[١٤].

لكن الدكتور مصطفى جواد صوّب الاستعمال المعاصر للفعل إذ وجده مستعملًا عند أدباء الأندلس منذ المئة السادسة من الهجرة، وجعله محمولًا على المجاز المفتوح الباب في لغة العرب، فتقل معنى الملامسة إلى المباضعة والمضاجعة، والتسلم والاستلام يجمع بينهما اللمس، فيستعار الاستلام للتسلم[١٥].

كان يرى أن (للكلمة العربية قيمتين دائمًا: قيمة معجمية وهي قيمة جامدة لا حياة فيها ربما تؤدي إلى سوء فهمهما، وقيمة استعماليه وهي القيمة القابلة للتطور، لأنها تؤخذ لها من صميم كلام العرب أو كتبهم على تعاقب الأزمان واختلاف البلدان)[١٦].

هكذا كان قبوله أو وضعه المصطلح أو الكلمة، فالمولد مقبول ما وافق العربية اشتقاقًا واستعمالًا.

٢- رده مالم يوافق مبدأ الاشتقاق والاستعمال على سبيل الاتساع والمجاز .

فقد ردّ تخطئة إبراهيم البازجي من قال: (هذا أمر يأنفه الكريم (والصواب يأنف منه الكريم)[١٧].

وقد صوبه الدكتور مصطفى جواد، لأن صيغة (فَعِل) يجوز تعديلها لغير العيوب والعاهات الظاهرة بنفسه وبحرف الجر ،مثل أمن منه وأمنه وخاف منه وخافه. وأنف منه وأنفه وسرد مجموعة من الشواهد من قديم الشعر ومولده ومتأخره تثبت استعمال (أنف) متعديًا بنفسه. فاتفق السماع والقياس، وقد عدّ حذف حرف الجر من الإيجاز البلاغي[١٨].

وبهذا المقياس كان رده وتصويبه كثيرا مما استعمله الكرملي في كلامه في هوامش كتاب المباحث اللغوية، كما رد تخطئة جملة من المصطلحات التي تضمنها مجلدات مجلة (لغة العرب) ومجموعاتها السنوية .

من ذلك تخطئة الكرملي جرجي زيدان في قوله (وقد تعاصر البابليون والمصريون قائلا: والأصح: وقد عاصر البابليون المصريين لأن (كذا)[١٩] لا وجود للتفاعل في مادة (ع ص ر)... أراد أن يقول: فلا وجود.

قال مصطفى جواد: من البديهي أن المفاعلة للمشاركة تؤدي في الغالب إلى التفاعل (وصوب كلام جرجي زيدان مستشهدًا بمجموعة من الشواهد من النثر لأدباء ومؤرخين منذ العصور الإسلامية القديمة ثم قال معلقًا: (إن الأب المذكور كان أعلم بالمصلحات العلمية والفنية منه بالنحو والصرف العربيين)[٢٠].

وبهذا المقياس أيضًا كان قبوله أو رده لواحد وخمسين كلمة من مصطلحات أهل العصر قدمها الأستاذ أحمد حسن الزيات إلى مجمع اللغة العربية بمصر، فما وافق مبدأه في الاشتقاق وموافقة المصطلح الصيغ العربية واستعمالاتها قبله وما لم يوافق رده واقتراح مقابلًا له. أذكر بعضها:

(دخان ودخَن) (فالدخان) يدل على التبغ و(دخَن) على احترافه من قبيل المجاز المرسل، وذكر مجموعة شواهد من الشعر والنثر تناقض معناها الشائع، ثم قال: الصواب أن يشتق فعل جديد لهذا

الضرب من استعمال الدخان على صيغة (افتعل افتعالًا) أي أدخن إدخانًا بمعنى اتخذ دخانا.

وكذا مصطلح (التأميم) بمعنى التملك اقترح لها مصطلح (التأمّم) أي تسليط الأمة على الشيء[٢١].

لقد كان كثير النقد على اللغويين خصوصًا في سهوهم وتعجلهم الأحكام من دون خبرة في معرفة أساليب العربية وأصول المفردات والاستعمال ثم في عدم انتباههم لما تؤديه الصيغ الصرفية من دلالات يمكن استغلالها في إيجاد المصطلح الجديد بقبول أو رفض الاستعمال المعاصر.

لقد كان الاشتقاق عنده أكثر الوسائل فائدة لنمو اللغة وإيجاد المصطلح للمسميات الجديدة لحل مشكلة المصطلحات المحتاج إليها حديثًا (فالعلم بالاشتقاق والاستفادة منه أمران ضروريان في التحقيق الاصطلاحي) على شرط أن تستفيد المجامع والمؤسسات العلمية منه كما ينبغي له، لكن المجامع اللغوية لم تستطع أن تستفيد منه استفادة تامة واقتصرت على إقرار قواعد اشتقاقية أكثرها بديهية)[٢٢] ثم سرد مجموعة من الصيغ التي يمكن الاستفادة منها في مئات من أسماء الآلات والأدوات فيما يسمى في اللغة تعدد الدلالة للصيغة الواحدة مثل (فِعال) ومؤنثة (فِعالة) فهو أقدم في العربية زمانا من صيغة (مِفْعل) ومؤنثة (مفعلة) وأكثر استعمالًا وأخف لفظًا وأرشق صيغة، واتخذ من القرآن شاهدًا على ذلك من قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾[٢٣] ولم يستعمل المخيط مع وجوده في اللغة.

وكذا صيغة فاعل وفعّال المعروف أنه من صيغ المبالغة وما يستخرج منهما من أسماء الآلات والأدوات ثم تحويل صيغة (فاعل) إلى ((فاعَل) بفتح العين للإفادة منه في الآلات والأدوات كالخاتم والطابَع...).

هكذا أخذ يسرد الصيغ التي يمكن الاستفادة منها في وضع المصطلح والاسم للدلالة الجديدة التي يحتاج إليها المجتمع.

لقد أثنى على مساعي المجمع اللغوي المصري وماله من فضل في جهوده ومساعيه اللغوية خصوصًا في وضع المصطلح وتمحيص القواعد وإصلاح العبارة العصرية وتقويمها بطرق علمية قائلًا: ولم يفته في ذلك إلا القليل

وذكر أمثلة من مصطلحات البناء لم يضع لها المجمع مقابلًا وهو في العربية:

(الحضرة) قال الزمخشري في أساس البلاغة: وجمع فلان الحضرة يريد بناء الدار، وهي عُدّة البناء من الآجر والجص وغيرها.

كما ذكر استعمال المجمع (السائل) مكان (المائع) والسوائل مكان المائعات مع أن العرب استعملت المائع وجمعه السالم. وكانت بديهته حاضرة في ذكر الشواهد القديمة في استعمالها.

إن موقفه في علاج مشكلة المصطلح في عصرنا يمثل في الآتي:

جواز الرجوع إلى كلمات عربية قديمة غير مستعملة أو كلمات قديمة منقولة بطريق المجاز والاتساع مع بعض التصرف.

الاشتقاق بحسب طرق الاشتقاق في العربية والتوسع في مصادر اللغة والاستشهاد منها.

ترجيح الفعل الثلاثي على الرباعي

من الأفعال إذا كانا في معنى واحد، لأن الثلاثي أفصح وأقدم.

باب المجاز مفتوح في العربية بشرط أن لا يتدافع المعنيان الحقيقي والمجازي.

ولهذا لم يجوز استعمال الفعل (هدف إلى الشيء) بمعنى قصد إليه كما يستعمله أهل العصر[٢٤].

قال: الفعل (هدف) في عامة معانيه يفيد (الوصول والدخول) وقول الناس: هدف إليه بمعنى قصد إليه يدافع ذلك المعنى، فالمعنى الأول انتهاء، والمعنى الثاني شروع، فاستعماله بالمعنى الجديد غلط، لأنه كاستعمال (وصل) بمعنى (ذهب) وهو من ضرب التغيير الذي يؤدي إلى تسوية اللغة، ويورث الالتباس في قراءة الكتب العربية،ويقلب المعاني في أذهان الدارسين، ولا يجوز التفريط في اللغة والاستهانة بها بدعوى أن هذه المصطلحات جديدة، وأن اللغة قديمة ولاسيما أن اللغة العربية هي أوسع اللغات الحية اشتقاقًا وأرخاها نطاقًا)[٢٥].

وأما استهدف بمعنى جعله هدفًا أو طلب أن يكون هدفًا فقد سمع في كلام العرب الفصحاء وأجاز في القياس، وذكر له شواهده قديمة فصيحة.

وكذا الفعل (فشل) يسعمله المحدثون بمعنى خاب لم يجوزه. فالفعل (فشل) لا يقوم مقام (خاب وأخفق) ولو مجازًا، لأنه بمعنى كسل وضعف وتراخى يدل على عدم مباشرة العمل أو عدم الاستمرار عليه مع أن الخيبة والإخفاق مباشرة للعمل باءت بالخسران، وتكون الخيبة أحيانًا بعد تمام العمل، ثم ذكر الشواهد عليه من الكلام الفصيح[٢٦].

فواضع المصطلح والناظر في استعمال المعاصرين اللغوي ينبغي له أن يكون عارفًا في تاريخ الكلم العربي وأطواره مطلعاً على مختلف الكتابات في العربية زيادة على ما هو مذكور من شروحها في المعجمات اللغوية[٢٧].

التعريب والترجمة:

كان الدكتور مصطفى جواد يعد التعريب الوسيلة الثانية من وسائل تنمية العربية بعد الاشتقاق، لسدّ حاجتها من المصطلحات العلمية والفنية، وحاجة العربية شديدة في هذا العصر إلى المصطلحات العلمية والفنية.

التعريب في الأصل أخذ الكلمة غير العربية وإحداث بعض التغيير اللفظي فيها بحسب ما يقتضيه النطق العربي من قلب أو تغيير، وصب الكلمة المستعارة في قالب عربي. وكان يرى في القرآن كلمات معربة فإن (الكلمة وإن كان أصلها من لغة أخرى فإنها إذا عرّبت في العربية واستعملها أهلها فقد صارت عربية كسائر ما تتخاطب عليه العرب من كلامها، لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب)[٢٨].

لقد أجاز المجمع اللغوي المصري التعريب في قراراته الأولى بقوله (يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم)[٢٩].

وكانت هذه الضرورة هي موضع الخلاف بين اللغويين فمنهم من يضيقها ومنهم من يتسع بها وكان المحافظون يخشون فتح باب التعريب على اللغة من تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على العربية لغة القران الكريم.

كان الدكتور مصطفى جواد يري جواز

التعريب كما جاء في قرار المجمع اللغوي ورد على الكاتب الذي احتج على إجازة التعريبة مقالته: (إن العلماء أجمعوا على أن التعريب سماعي لا يقاس) مظهرًا خشيته على العربي من أن تنقرض.

ويستغلق القرآن ويبدو كل ما (دوّن) باللسان العربي من العلوم أو الآداب... ردّ الدكتور قول هذا المحتج قائلًا: (في ذلك شيء من المبالغة فالكاتب نفسه استعمل الفعل (دوّن) وهو مشتق من الديوان الكلمة الفارسية وقد استعملت كلمة الديوان في اللغة العربية حقيقة ومجازًا... واشتق منه فعل هو (دوّن يدون تدوينًا) وصار الاسم والفعل من كلام العرب...)

كان يرى وجوب التعريب وإباحاته لنقل الأسماء الأعجمية إلى العربية بسبب أن العربي يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية، لكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدودًا مشروطًا بالاضطرار، فأسماء الأعلام واللباس والشراب والطعام والأثاث ويلحق بباب الأعلام أسماء الأمراض الجديدة والأدوية الجديدة وأسماء الحيوانات التي لم يعرفها العرب وأسماء كل ما لم يعرفه العرب من الماديات الساذجة أي الخام والأسماء الخفيفة أصلًا.

وذكر أمثلة منها تعريب كلمة (Term) ويقابلها (الأجل) وقد عربت في عصر الحروب الصليبية في المئة السادسة من الهجرة[٣٠] وجعل ذلك من تساهلهم في التعريب لما يخف على اللسان.

لقد كان يرى فيمن يقوم على تعريب المصطلح العلمي والفني أن يعتمد على المعرفة بلغات الحضارة الجديدة، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية مع إتقان اللغة العربية الفصيحة (وأن أكثر من أحدثوا الغلط الشائع في لغتنا العصرية كانوا من النقلة أعني التراجمة ومن الذين ساعدوهم على وجدان مفاريد العربية المقابلة لمفاريد اللغات الغربية ،على ما همموا إليه وتحققوا بمعرفته، ومن الحق علينا أن نعترف بصعوبة اتفاق لغتين اتفاقًا مستويًا بحيث يستطيع متقنهما أن يؤدي إحداهما بالأخرى حق الأداء)[٣١].

ثم أنحى على النقلة وتخلفهم في العربية وإتقانهم اللغة الغربية باللوم، لأن ترجمتهم كانت (مسخاً من المسوخ أو ضربا من التدليس والتزوير).

كانت للدكتور مصطفى جواد ملاحظات في التعريب. ذكرت أنه أوجب أن يكون االتعريب واضح المعالم، فأعلام البلاد أو أعلام الرجال ليس في تعريبها جدال، أما الأشياء الأخرى فينظر في تعريبها مقدار الفائدة، وهذا لا يوجب إباحة التعريب، فالعالم باللغة الأجنبية لا يحتاج إلى تعريب الاسم، لأن يقرؤه بلفظة في مظانه، والجاهل للغة الأجنبية لا تغنيه التسمية دون موضوع العلم أو الفن... أما المصطلحات الغربية ففي ترجمتها فائدة لغير العالم باللغة الغربية لما بين الاسم العربي وما اصطلح له من صلة في المعنى واللفظ وهذه الفائدة لا تحصل ببقاء المصطلح بلفظة الأجنبي، وضرب مثلًا بمصطلح (البنج) وقد سمّي ما يقوم مقامه في أزمان كثيرة (المرقد) والمرقد يوحي معناه إلى قارئه أو سامعه قبل أن يطلع على تعريفه ووصفه، لأنه مأخوذ من الرقود وهو النوم)[٣٢].

فهو لا يرى فتح باب التعريب فتحًا كاملًا وإنما يفتح لما يحقق الفائدة ليكون

كثير من الكلمات العلمية أممية أو شبه أممية مما يخفف على طالب العلم شيئًا كثيرًا عند مراجعته الكلمة العلمية كما يعد الذين يميلون إلى اللغات الأجنبية حربًا للغة العربية، ويكفي أن يكون الاسم الأجنبي في كتب العلم المترجمة الكلام.

لقد تطور اللسان العربي في الأزمنة المتأخرة فأصبح من السهل النطق بحروف أجنبية كان النطق بها صعبًا عسيرًا عليه، لاختلاط العرب بالأمم الأجنبية وألفتهم لغتهم، فالأصوات الأجنبية والحركات المولدة تفيد العربي في نطقه بالأسماء المعّربة، ويقتضي الحفاظ على صورة المعربات اللفظية ما أمكننا ذلك.

وقد أجاز الاشتقاق من المعربات واستغرب قول أبي بكر بن السراج في منع الاشتقاق في استعمال المعربات رآها من باب المبالغة، وقد استشهد بكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نقلًا عن القاموس للفيروز آبادي في قوله: (والنيروز أول يوم من السنة معرب نوروز، قدّم إلى علي بن أبي طالب شيء من الحلوى فسأل عنه فقالوا: للنيروز، فقال: (نيرزونا كل يوم) وفي المهرجان قال (مهرجونا كل يوم).

والسبب في ذلك أن النيروز والمهرجان لما دخلا في العربية واستعملا في صدر الإسلام استلزما اشتقاق فعلين لهما فسبق الإمام غيره إلى اشتقاقهما، ولم ينكر عليه أحد ذلك الاشتقاق، لأنه جرى على طبيعة العربية فمعنى (نيرزونا ومهرجونا).

قدموا لنا حلوى النيروز والمهرجان... كما قالت العرب: (زوّدونا وعسّلونا وتّمرونا) أي أعطونا زادًا وعسلاً وتمرًا. (فإذا كان في الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس بإتيانه)[٣٣].

وقد لام الذين عربوا الفسيولوجي والسيكولوجي بـ(الفسلجة والسكلجة) ولم يجرؤ على اشتقاق (فسلج يفسلج وسكلج يسكلج).

وإلى هذا ذهب أنستاس الكرملي أيضًا، قبول الألفاظ المعربة أو المنحوتة الغربية الأصل والاشتقاق منها،مثل :تلفن من تلفون ونورز من نوروز، ولكن بشرطين: أحدهما: أن تكون الألفاظ خفيفة النطق والصيغة.

الثاني: أن تكون مادتها تشبه المادة العربية وإلا فإنك لا تقول فوطغرت يغو طغرف، اشتقاقًا من الاسم الغربي المنحوت (فو طغراف)[٣٤].

فالمصطلحات يجب أن تكون باللغة العربية، والتعريب يجب أن يقتصر على ما يكون فيه فائدة، وإذا كان هناك تقصير في إعداد المصطلحات فذلك راجع إلى المجامع العلمية والعلماء واللغويين لا إلى العربية، فباب اشتقاقها جعلها أوسع اللغات وأكثرها قدرة على التسمية.

النحت:

مرّ بنا ذكر إنشاء وزارة المعارف في العراق مجمعًا لغويًا ١٩٢٦ كانت نواته الأب أنستاس الكرملي والشاعر معروف الرصافي وانتخبا أعضاء آخرين لينضموا إليهما ووضع هذا المجمع خطة لوضع الاصطلاحات العلمية والأدبية ولكل ما يحد من الكلمات وخصوصًا ما تحتاج إليه المدارس والكتب المدرسية، وقد عُدّ النحت من وسائل وضع المصطلح ومنهم من جعل التوسع فيه من أهم حاجات اللغة العربية.

اعترض الكرملي على ذلك قائلًا: (لا

أرى حاجة إلى النحت لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجاتهم إلى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية.هذا فضلاً عن أن العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم فكان ذلك سببًا للنحت أما التي لا يكثر ترددها على ألسنتهم فلم يحلموا بنحتها)[٣٥].

وقد رأى الدكتور مصطفى جواد صواب هذا الرأي وقد أعلن رأيه في محاضرة ألقاها في مؤتمر أدباء العرب بلبنان في بيت مري عند الكلام على ترجمة الطب النفسي الجسمي (psychoso matic) ولا يصح النحت في هذا الاسم خشية التفريط في الاسم بإضافة شيء من حرفه كأن يقال (النفسجي) أو (النفسجمي) مما يبعد الاسم عن أصله فيختلط بغيره، وتذهب الفائدة المرتجاة منه... وأود أن أشير إلى أني لا أركن إليه في المصطلحات الجديدة لأنه نادر في العربية ويشوه كلمها)[٣٦].

وقال (وكل ما ثبت عندي منه عدة رموز جملية مثل سَبْحل فلان أي قال سبحان الله وحو قل... وطلبق... ودمعز... ولم يقولوا في العادة (اعتاد فلان السبحلة والحو قله) فالمصدر لم يكن مرادًا في استعمالهم النحت مع أن وضعنا للمصطلحات يعني الأسماء قبل غيرها، فإذا احتجنا إلى الأفعال اشتققناها من المصطلح نفسه)[٣٧].

لقد كان لا يرى الصعوبة في مشكلة المصطلحات قائمة في إيجادها، فالمصطلحات رموز الى مسمّياتها وكنايات عنها... وليس من مصطلح في كل لغة يدل على جميع ما في مسماه[٣٨] وإنما الصعوبة في توحيد المصطلح وأعمامه على الأقطار العربية متفقا على استعماله، ومن أجل ذلك يقال في كثير من العلوم المستحدثة والفنون الجديدة (هذا الاسم لغة معناه كذا واصطلاحًا معناه كذا)[٣٩].

فهو يجيز النحت لكنه يعدّه آخر وسيلة حين تلجئ إليه الضرورة العلمية[٤٠]. وإلى هذا ذهب الكرملي أيضًا في النحت كما مر ذكره وكذلك قال: (ولغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب، كما هو مدون في مصنفاتهم والمنحوتات عندنا عشرات أما عندهم فمئات بل الاف... فساغ لهم النحت أما عندنا فاللغة تأباه وتبرأ منه) وقبل قليل ذكرت قبوله قلة من الألفاظ المعربة أو المنحوتة والاشتقاق منها بشرطين.

وفي هذا المعنى كان موقف مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد أصدر قراره بإجازة النحت (عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية)[٤١].

الهوامش:

(١) كان هذا عنوان البحث اللغوي الذي نشره منذ سنة ١٩٤٣ في مجلة عالم الغد كما ذكره هو في المباحث اللغوية في العراق ١٠٥.

(٢) المباحث اللغوية في العراق ٣.

(٣) المباحث اللغوية٤ في العراق.

(٤) المباحث اللغوية في العراق ٣

(٥) المباحث اللغوية٤ في العراق.

(٦) المباحث اللغوية في العراق ٣

(٧) المباحث اللغوية٤ في العراق.

(٨)

(٩) مبحث في سلامة اللغة العربية، د.مصطفى جواد رقم (٢) مجلة المجمع العلمي العراقي الثاني، ١٩٥٢، ص٢١٥.

(١٠) السابق ٢١٥، وهذا أيضا موقف مجمع اللغة في القاهرة في إقراره جواز السماع من المحدثين تأييدا لما قدمه احمد حسن الزيات انظر مجلة الرسالة المصرية، عدد

٩٣٢ ص٥٦٠.
(١١) مبحث سلامة اللغة العربية (٢) ص٢٠٥.
(١٢) المباحث اللغوية في العراق٦٧.
(١٣) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ م١٩٥٤ ص١١٥ ـ ١١٦.
(١٤) ينظر تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٣٠، وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابها د.مصطفى جواد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد، ٣٢ج١ ص١٤٧ـ١٤٨.
(١٥) ينظر تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٣٠، وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابها د.مصطفى جواد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٢ج١ ص١٤٧ -١٤٨.
(١٦) وسائل النهوض باللغة العربية ...١٤٦.
(١٧) انظر لغة الجرائد لليازجي ٢٦ط القاهرة، المباحث اللغوية ٤٦،٤٧.
(١٨) المباحث اللغوية ٤٦، ٤٧ كما خطأ اسعد داغر لمتابعته اليازجي بتخطئته الاستعمال .
(١٩) كان من عادته ان يضع (كذا) إلى جانب كل تعبير لا يراه فصيحا،وهنا صوب التعبير بقوله أراد أن يقول: فلا وجود.
(٢٠) المباحث اللغوية ٥٩ ،٦٠ والأب المذكور، هو الكرملي .
(٢١) انظر تفصيل ذلك في مبحث سلامة اللغة العربية رقم ٢، ٣ مجلة المجمع العلمي العراقي م٣ ج١ ١٩٥٤.
(٢٢) وسائل النهوض باللغة العربية ...مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٣٢ج١ ص١٢٩.
(٢٣) الأعراف/٤٠.
(٢٤) هذا من الكلمات الواحدة والخمسين التي قدمها احمد حسن الزيات إلى المجمع اللغوي المصري وقد مر ذكرها.
(٢٥) مبحث في سلامة اللغة العربية، رقم ٢ ص٢١٦، ٢١٧.
(٢٦) السابق ٢٢٥.
(٢٧) انظر المباحث اللغوية. ٤٣
(٢٨) هذا جواب صاحب كتاب (المباني لنظم المعاني في علوم القران ص١٢٤ من سأله: كيف يجوز أن يكون في لغة القران في لغة العربي؟ انظر المباحث اللغوية ١٠٤.
(٢٩) مجموع القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية في القاهرة ص٦٣، كتاب في أصول اللغة مجمع اللغة العربية بمصر ص٤٩.
(٣٠) انظر مبحث وسائل النهوض باللغة العربية ١٣٦، ١٣٧،مبحث سلامة اللغة العربية رقم (٢)، ص ٢٠٨.
(٣١) القول الناجح في الغلط الشائع- مصطفى جواد – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٤ ج٣ ص٣٩٥، ٣٩٦.
(٣٢) مبحث في سلامة اللغة العربية ...رقم (٢)، ص ٢٠٩، ٢١٠.
(٣٣) انظر مبحث في سلامة اللغة العربية رقم(١)، ٢٣٤، ٢٣٥، مجلة المجمع العلمي العراقي السنة الأولى ج١، ١٩٥٠، وانظر القاموس المحيط (نيروز)،كتاب النيروز لأحمد بن فارس (في ضمن نوادر والمخطوطات)، ١٨/٢ تحقيق، هارون.
(٣٤) مجلة لغة العرب م٥ نيسان ١٩٢٨ ص٢٩٣، المباحث اللغوية ١٠٤ وانظر إجازة الاشتقاق من المعربات الخفيفة في أصول اللغة- مجمع اللغة العربية بمصر ٢٥١ ،٢٥٢.
(٣٥) مجلة لغة العرب مج ٤ ص٣٩، المباحث اللغوية..٨٨.
(٣٦) المباحث اللغوية ٨٨.
(٣٧) السابق ٨٩.
(٣٨) المباحث اللغوية ٩٤.
(٣٩) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (٢)، ص٢١٤.
(٤٠) المباحث اللغوية ١٠٥ وانظر ص٩٩، ١٠٠.
(٤١) مجلة مجمع اللغة العربية م٧ ص١٥٨، كتاب في أصول اللغة - مجمع اللغة العربية بمصر ص٤٩.

بين العلماء والسلاطين

دخل السلطان شاه عباس الثاني الصفوي المتوفى سنة ١٠٧٧هـ مدرسة المولى ملا عبد الله التوني المتوفى سنة ١٠٧١ هـ صاحب (الوافية في الأصول) ـ وكان معاصراً للسيد الدماد ـ فرأى أن المدرسة خالية من طلبة العلوم، فسأل من المولى عبد الله عن السبب في ذلك.

فقال له: إني أجيب حضرة السلطان بعد أيام، فلما كان بعد أيام، حضر المولى مجلس السلطان فأكرم قدومه.

وقال له: اطلب مني ما يهمك، فقال المولى: ما يهمني شيء. فأصر عليه السلطان.

فقال له: لي إليك حاجة واحدة وهي أني أركب فرس السلطان والسلطان يمشي قدامي راجلاً حتى يجتاز الميدان الفلاني.

فسأله السلطان عن الحكمة والغرض من ذلك.

فقال المولى: أبين لك ذلك بعد أيام ففعل السلطان ما سأله، وبعد أيام عاود السلطان إلى المدرسة فرآها مملوءة من الطلاب ومشحونة بالتلاميذ، وهي مجدّة في التحصيل غاية الجد، فسال السلطان عن السبب في تغيّر الحالة.

فقال المولى: السبب فيما يراه حضرة السلطان وما طلبته منه. إن الناس ما كانوا عارفين قدر العلم وفضيلة العلماء حتى إذا رأوا بعيونهم من فعل السلطان مع العالم، ومشيه قدامه راجلاً وهو راكب، فعلموا من ذلك أنّ مرتبة العالم في الدنيا أعلى من مرتبة السلطان، وطلباً لهذه المرتبة وطمعاً في الجاه والجلالة وجمع المال السريع الزوال اجتمعوا في المدرسة وجدوا في تحصيل العلم، وإذا تم لهم ذلك وبلغوا بعض المراتب العلمية تتبدل نياتهم وتصلح سرائرهم وتحصل لهم القربة في سائر العبادات كما ورد في الخبر: اطلبوا العلم ولو لغير الله فإنه ينجر إلى الله.

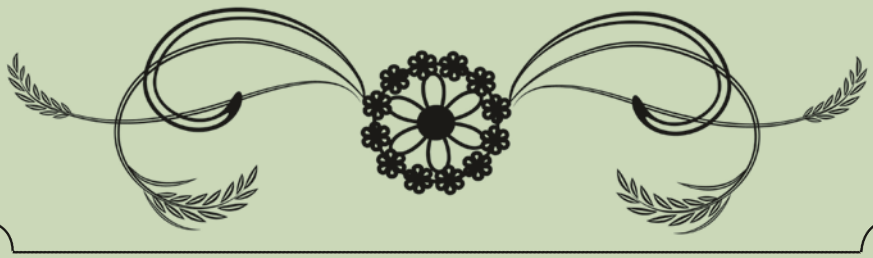

قصة قصيرة

نقاء القلوب

بنت العراق •

ينابيع

تمتمت مع نفسها... الحمد لله الذي وهبني العافية.. وذلك بالرغم من كونها على أعتاب السبعين عامًا فهي تعيش لوحدها في منزل واسع.. تزوجت بناتها الثلاث من أمد طويل ولكنها لم تشعر بالوحدة حقًا إلّا يوم قرر ولدها (كمال) الانتقال إلى منزله الجديد مع زوجته وأطفاله.. دعاها للعيش معه.. رفضت .. بل إنها رفضت أصلاً فكرة انتقاله (لم يبق من عمري إلّا عام أو أقل اسكن معي أموت، كانت تريده قربها .. إلّا أنه انتقل.. وعاد في اليوم التالي يبغي رضاها .. فطردته وهي تبكي وتولول.. كرر ذلك عدة مرات.. وقابلته بنفس الحال وأخيراً خرج من عندها ولم يعد.. عندها انفطر قلبها حقًا .. كانت تأمل أن تراه كل يوم يتودّد إليها لترضى عنه .. لكنه ربما انشغل بدنياه ونسيها...

وهي في كل صباح تبكي.. إنها ترى كل ما حولها موحشًا.. تبكي وهي تعد إفطارها بيد مرتجفة تبكي وهي تصلي وتدعو.. تبكي وهي تجالس جارتها وتشكو لها.. وأخيرًا تبكي وهي تغفو على الوسادة.. قالت لها جارتها (إن هذا حال الدنيا وإن عليها أن تدعو لأولادها ولا تدعو عليهم..) ولكن ما تصنع بقلبها المكلوم..؟!.

كانت الجارة أم سعيد هي ملاذ العجوز الوحيد.. كان قلبها طيبًا كبيرًا وإيمانها عميقًا .. ودائمًا ترسل لها الطعام .. وتتفقد حالها .. وتجالسها في أوقات الفراغ حتى ألفتها .. وكانت تواسيها وتقول لها كلامًا كالبلسم الذي يشفي الجروح.. كانت تقص لأم سعيد حياتها التي قضتها بالألم والحسرة. زوج توفي سريعًا وأربعة أطفال كابدت لترعاهم ثم وتحرص على إعادة قصص كفاحها في تربيتهم.. حتى حفظت أم سعيد ذلك.. حفظت كل قصة بتفاصيلها التي تنتهي بنوبة بكاء شديد وتحسّر.. فتعود وتصبرها.. (في الشهر مرّة يأتين يا أم سعيد!؟ .. قلت لهن كل أسبوع وعندما ألححت عليهن لم يعد يأتين ضاع التعب والسهر) كانت أم سعيد تسعى في الخير وغالبًا ما طلبت منها أن تصالحها على ولدها أو تدعو بناتها وتتحدث إليهن.. إلا أنها لا ترفض بشدة لم تعد تريد أحدًا (ليجزيهم الله فحسب) ثم وبعد أن اعتادت على جارتها سخطت أكثر على أولادها فلم تعد ترد على مكالماتهم أبدًا... وفي يوم ما جاءت أم سعيد بفكرة! لم لا تذهبين للعمرة يا أم كمال .. قالت العجوز إنها لا تستطيع السير أو تحمّل الطريق .. ثم إنها تخاف ركوب الطائرة!

إلّا أن أم سعيد ظلت تلح وتلح وتتحايل على العجوز حتى أقنعتها..

كانت كأي عجوز تحتفظ بين أغراضها بمبلغ لا بأس به (جمعته مما تبقى من راتب زوجها التقاعدي) عندما أخرجت النقود وراحت تسلمها لأم سعيد قالت: (هذي فلوس الفاتحة والدفن ولا أملك غيرها). إلّا أن أم سعيد قالت لها عمرك طويل وستجمعين غيرها.. ثم قالت لها سنذهب معًا نحن الثلاثة أنا وأنت وولدي سعيد.. فقالت في تحسر: سعيد ولد بار حسبي الله على كمال وأخواته.

قبيل الرحيل أخبرتها أم سعيد بوجوب إخبار أحد أولادها بسفرها .. إلّا أنها أقسمت عليها بكل عزيز ألّا تعيد هذا الكلام وراحت تبكي بشدة.

وهكذا أخرجت من تلك الجدران الموحشة إلى عالم رحب.. ومن بيتها الحزين إلى أعظم بيت.

وانطلق لسانها مع بقية الحجاج بالتلبية والتهليل والتكبير .. لم تحتج إلى عصا تتوكأ عليها ولا إلى يدٍ تسندها.. كأن الله وهبها القوة في تلك اللحظات.. راحت تؤدي مراسم العمرة بروح ملؤها الإيمان وشعرت أن عمرها الذي ضاع ما ضاع ما دام نهايته كان رؤية بيت الله وزيارة قبر الرسول ﷺ. كانت تذرف الدموع بسخاء ولأول مرّة عدلت عن فكرة التحسب على أولادها وراحت تدعو لهم.

رؤيتها لبيت الله الحرام كأنه حلم بأجواء روحانية تفوق الجسد المادي وحمدت الله كثيرًا أنها كانت ترى هذا اليوم..

بعد انتهاء المراسم قالت لجارتها إن هذه أحلى أيام حياتها وإنها تتأسف لأنها لم تأت من قبل وتزيل الهم والأسى، كأن هناك رحمة أو شيئًا غسل الأدران من روحها وقلبها فإذا به نقيًا صافيًا.. قالت بصوت متردد وهم في الفندق وهي تمسك الهاتف (شتكولين أم سعيد.. اتصل بيهم؟!) فرحت أم سعيد لهذا التغيير السريع وقالت طبعًا..

وهكذا اتصلت بأولادها واحدًا واحدًا ومن بين الدموع السخية والبكاء كان الحديث... أخبرتهم أنها تدعو لهم وأنها في ضيافة الرحمن.

وبهذا أزالت كل الهموم عن كاهلها.. شعرت أن روحها خفيفة .. وأن لا شيء يهمها.. ولا شيء يدعوها لأن تبكي وتتحسر من أجله..

في طريق العودة أسرت لها أم سعيد أن بِر الأولاد يحتاج من الأم أن تتنازل أحيانًا وإن في هذا الزمان لم يعد هناك أولاد مثاليون إلا ما ندر وأن علينا أن نداري ونتحمل لنكسبهم ونحظى بحبهم .. لم تكن هذه نظرتها ولكنها أصبحت تقتنع بها بعد ما حكت لها أم سعيد عن ولدها سعيد الذي يبدو تقيًا وبارًا أشياءَ وأمورًا لم تكن تتوقعها.

وتوالت اللحظات الفرحة أم كمال وأروعها..

يوم عودتها .. وبيتها الموحش مملوء بضحكات أحفادها.. وقد بدا مرتبًا ومرممًا نظيفًا.. استقبلها أولادها الأربعة بالبكاء والتوسل..

كانت تنظر إليهم غير مصدقة. بيت مملوء بالأنباء والأحفاد وطعام واحد يجمعهم.. حتمًا حياتها ستكون أجمل بتقديم بعض التنازلات.

السيد حسين القمي الحائري

١٢٨٢-١٣٦٦هـ

د. سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

هو أحد أولئك الجهابذة العظام الذين ملؤوا الأسماع والأبصار والأفئدة عظمة وجلالة. آية الله العظمى السيد أغا حسين القمي الحائري، ذلك العلم الفرد والشخصية الكبيرة اللامعة التي زينت جيد المدرسة العلمية في كربلاء، وانتهت إليه الزعامة الدينية في القرن الرابع عشر الهجري. فهو مرجع العارفين وأحد كبار المراجع والعلماء الذين برهنوا على سمو مقامهم في العلم وضربوا بسهم وافر في الفقه والأصول، فلا بدع إذا ما قدمناه إلى قرائنا الكرام معتزين بهذه الشخصية الفذة.

اسمه ونسبه:

هو السيد حسين بن السيد محمود بن السيد محمد بن السيد علي الطباطبائي القمي الحائري[1].

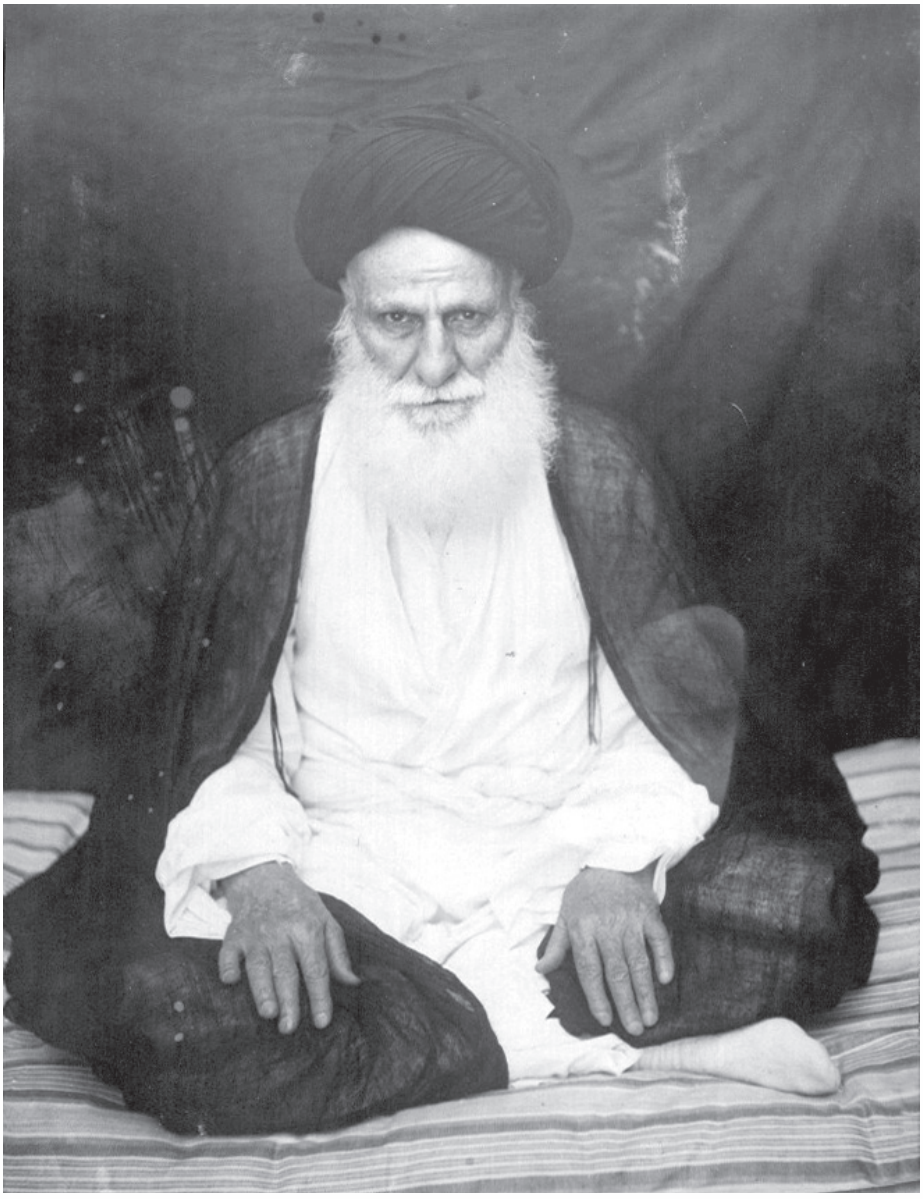

ولادته ونشأته:

ولد يـوم ٢٨ رجب سـنة ١٢٨٢هـ في مدينـة قم المقدسـة، ونمـا وترعرع في ظل أسرة علوية ورثت اهتماماتها الثقافية عن آبائها منـذ أجيال، وتربى في أحضان الفضل والورع، ونشـأ منذ نعومة أظفاره على حب العلم، وراح يعتمر العمة السوداء لأنه ينحدر من بيت علوي، ويسلك سلوك

آبائه، وينخرط في الحوزة العلمية طالباً، فيبذل كل الهمة في تحصيل العلوم العقلية والنقلية لينال بذلك أعلى المنازل الشريفة عند الله.

أساتذته:

واصل الدرس والبحث على جملة من الأساتذة الكبار والعلماء والأعلام في عصره فدرس المقدمات من نحو وصرف وبلاغة وقرأ السطوح. وفي سنة ١٣٠٣هـ حج بيت الله الحرام، وعاد عن طريق العراق فبقي في النجف ثم ذهب برهة من الزمن إلى سامراء حضر بها بحث المجدد السيد محمد حسن الشيرازي، وفي سنة ١٣٠٦هـ عاد إلى طهران فجدّ في الاشتغال من العلوم العقلية والنقلية فدرس على السيد الميرزا أبي الحسن جلوه والشيخ علي المدرس النوري والميرزا محمود القمي وغيرهم. وقرأ الفقه والأصول على الميرزا محمد الاشتياني والشيخ فضل الله النوري وغيرهم. وفي سنة ١٣١١هـ هاجر إلى النجف لإكمال دروس العلوم الشرعية فأدرك بحث الميرزا حبيب الله الرشتي وحضر على المولى على النهاوندي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي وغيرهم. لازم أبحاث هؤلاء الأعلام فترة قصيرة حاز فيها درجة سامية. وفي سنة ١٣٢١هـ هاجر إلى سامراء فحضر فيها بحث الشيخ محمد تقي الشيرازي عشر سنين[٢] فحصل على ثقافة إسلامية وعلوم عربية غزيرة، بالإضافة إلى تبصرة بالشعر واطلاعًا على كتب التراث. وفي سنة ١٣٥٤هـ هبط مدينة كربلاء فسكنها وقام بالوظائف الشرعية حتى ازدهرت به الحوزة العلمية وقام بخدمات جليلة، وأصبح المرجع للطائفة الشيعية في الأقطار الإسلامية. وقد انضم إليه جمع من العلماء والمراجع كآية الله السيد مهدي الشيرازي وآية الله السيد محمد هادي الميلاني والسيد صدر الدين الجزائري فاستفادوا من محضر درسه[٣].

تلامذته:

درس على سماحته رعيل من أهل الفضل والمعرفة، يحضرون كل يوم مجلسه العامر فيناقش أصحاب العقول النيرة والمدارك الثاقبة والهمم الصادقة في شتى الدروس، فمنهم:

١ـ السيد مرزا حسن بوجنوردي.
٢ـ الشيخ محمد علي الكاظمي.
٣ـ الشيخ عبد اللطيف السمامي الحائري.
٤ـ السيد زين العابدين الكاشاني الحائري.
٥ـ الشيخ محمد حسين صدقي المازندراني.
٦ـ الحاج أغا بزرك أشرفي شاهرودي.
٧ـ الشيخ محمد علي سرابي.
٨ـ الشيخ حسين راشد تربتي.
٩ـ السيد محمد بن السيد رضا لنكراني.
١٠ـ ميرزا مهدي حكيم.
١١ـ سيد حسين الموسوي نسل.
١٢ـ السيد عبد الله الطباطبائي الطهراني.
١٣ـ الشيخ ذبيح الله قوجاني.
١٤ـ حاج أغا صدر الجزائري.
١٥ـ شيخ يوسف الخراساني.
١٦ـ الشيخ محمد رضا الأصفهاني.
١٧ـ شيخ حسين علي طوبائي الشيرازي.
١٨ـ حاج أغا حسن القمي.
١٩ـ حاج أغا مهدي القمي.
٢٠ـ حاج أغا باقر القمي.
٢١ـ شيخ محمد تقي عندليب.

السيد حسين القمي قدس سره يؤم المصلين في الصحن الحسيني المطهر

٢٢ـ شيخ محمود جلي خراساني.
٢٣ميرزا مهدي الشيرازي.
٢٤ـ شيخ الأميني[٤].

إن السيد حسين القمي يسترعي ذهنية هذا الجمع الحاشد من فحول العلماء إلى الاستزادة من النمير العذب، وإلزام النفس بالجد والغذاء العقلي والتحصيل الواقعي في حاضرة كربلاء، لا يذكر عنه إلا ويذكر معه جهده العلمي الجبار وعزيمته الصادقة ورغبته الأكيدة في رقي العلم والوطن، ويضيء للطلاب درب المعرفة والوعي والثبات على الحق، وامتلاك الإرادة. عرف مفكرًا ومحققًا لا يطوى له كتاب، فقد تميزت محاضراته القيمة بالأسلوب العلمي الرصين وتميزت باختراقها لنفوس الناس ومواكبتها مشاعرهم وأهواءهم، فشهرته جابت الآفاق وذكره طبّق الخافقين

انبعاث الحوزة العلمية في كربلاء:

مع غياب آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي بدأت الحوزة العلمية في كربلاء طريقها نحو الاضمحلال، وفقدت تلك الشهرة العلمية كما فقدت ثقلها السياسي أيضًا. ولكن مع وصول آية الله القمي كربلاء عاد نشاط الحوزة من جديد وانبعث فيها الروح مرة ثانية، فبعد استقراره في مدينة كربلاء وجه دعوة إلى بعض الأساتذة وعلمائها للتدريس في كربلاء والتعاون على بعث النشاط العلمي فيها، وقد لبى جميع الفضلاء دعوة القمي المخلصة في طليعتهم: آية الله السيد محمد هادي الميلاني المتوفى سنة ١٣٩٥هـ، آية الله العظمى السيد علي البهبهاني المتوفى سنة ١٣٩٥هـ، آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي المتوفى سنة ١٤١٢هـ، ومن الجدير بالذكر أنه جعل قدوم الخوئي بمثابة الحكم الشرعي الذي لا مقر منه، وقد امتثل السيد لذلك، آية الله السيد الميرزا مهدي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ وأصبح من أخلص مريدي القمي. آية الله السيد صدر الدين الجزائري المتوفى سنة ١٣١٨هـ وهكذا أحدثت هذه الخطوة انعطافاً من مسار الحوزة العلمية في كربلاء بل وتاريخها أيضاً. وهكذا شهد الصحن الطاهر لمرقد الإمام الحسين عليه السلام استئناف الحياة العلمية والفكرية وانتظمت حلقات الدروس التي كان يعقدها القمي بعد صلاة العشاءين[٥].

موقفه من شاه إيران:

امتاز الدور الذي مارسه سماحة القمي بمقاومة الأنظمة المستبدة في إيران والعالم الإسلامي بطابع من التحدي والشمولية ومواجهته بكل إمكانياته، فهناك سلطة مغلقة، وثقافة تقوم على قمع حرية الرأي، وترسم حدودًا للمعتقد لا تسمح لأحد أن يتخطاها، فكان صراعاً وكان اضطهاداً. ولما كان السيد حسين القمي شعلة وهاجة متعطشة إلى العدالة ونصرة قضايا الشعب وحريته، فقد انبرى للتصدي ومحاربة السلطنة في إيران، وكان رضا بهلوي ملك إيران يسعى لهلاك العلماء ومحاربة الدين وإماتة السلطة وإحياء البدع[٦] وكان السيد حسين شديد الصراحة في كلامه وأقواله، والصراحة من شيم الأحرار، وسجية الصادقين، فهو لا يهاب ولا يخشى في نصرة الحق لومة لائم. يقول نور الدين الشاهرودي: (لقد اشتهر القمي رحمه الله إلى جانب

علمه وفضله وعدله وتقواه بتحمسه الشديد لإصلاح حالة المسلمين والنهوض بشجاعة في وجه أي مجرى منحرف أو مسار يراه فاسدًا، وفي هذا المجال عرف منهم المرحوم الميرزا مهدي الشيرازي حيث قام بتعبئة الرأي العام الإسلامي ضد الخطوات والإجراءات الحكومية في ذلك الوقت والتي رأى فيها ما يخالف شرعة الدين الإسلامي الحنيف، وقد سافر إلى إيران وهو عازم ومصمم على الإصلاح والنهوض في سبيل ذلك حتى الموت، وقد طالب السلطة الرسمية الحاكمة في حينه وإصلاح ما أفسدته السلطة، وحينما رأى الفتور وعدم الاستجابة الكافية، قرر الوقوف موقف التحدي بوجه السلطة الحكومية، وقد ساعده وأيده في ذلك علماء كربلاء الأجلاء وعلى رأسهم المغفور له آية اللّٰه العظمى الحاج أغا حسين البروجردي الذي أعلن هو الآخر بأنه يريد التحرك على رأس عشائر الأنوار القاطنة في محافظة لارستان والزحف نحو طهران العاصمة لدعم مطالب السيد القمي المشروعة الإسلامية، وقد أصدر مجلس الوزراء برئاسة علي سهيلي رئيس الحكومة الإيرانية آنذاك بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٤٣ بيانًا رسميًا أعلن فيه موافقته الحكومة على كل ما طلب به السيد القمي من إجراءات وخطوات إصلاحية ترتبط بحجاب النساء والموقوفات الإسلامية في إيران وتدريس مبادئ الشرع الإسلامي في المدارس والمعاهد الحكومية ومنع أي اختلاط بين الفتيان والفتيات في المؤسسات التعليمية، وإعادة بناء البقاع الطاهرة في وادي البقيع بالمدينة المنورة، والعمل على توفير أرزاق الناس واحتياجاتهم الأساسية وقد خيرت الحكومة آية اللّٰه القمي بين البقاء في محلة إقامته والانتقال إلى مدينة أخرى شرط أن لا تكون مشهد، أما اللقاء بالشاه فقد عد مستحيلًا، واختار القمي الهجرة إلى العراق ووافق رضا خان على ذلك، وأرسل رضا خان أحد المسؤولين حيث قدم إلى القمي شيكًا مفتوحًا يسجل فيه المبلغ الذي يريده ولكن القمي رفض ذلك بشدة قائلًا: أنا أرفض استلام الأموال من الحكومة وحتى لو جاء رضا خان بنفسه[٨].

أقوال العلماء فيه:

أطري علمه ومدحه جماعة من العلماء والمؤرخين وغيرهم وبالأخص شيخنا أغا بزرك الطهراني الذي قال: (كانت لي معه مودة في النجف على عهد الخراساني وفي معهد تدريسه وكان منذ ذلك الحين معروفًا بالصلاح والتقى والنسك والزهد وكثرة العبادة، أما هو في الفقه والأصول فقد كان فاضلًا للغاية وخبيرًا جدًا له سلطنة واستحضار وتضلع وبراعة)[٩] وترجم له السيد شهاب الدين المرعشي ترجمة مفصلة وكتاب (المسلسلات في الأجازات) حيث قال: (ولما عاد من مشهد واستقر بكربلاء توسعت دائرة مرجعيته وشملت الأقطار الشيعية داخل العراق وخارجه، وانتشرت رسالته العملية العربية والفارسية وطبعت الآن النسخ، ولما توفى الزعيم الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني في سنة ١٣٦٥هـ واتجهت إليه المرجعية العامة واتفقت الكلمة عليه وانتقل إلى كربلاء وبدأ يتولى الشؤون بأحسن ما يكون وكانت مشيئة اللّٰه تعالى قضت عدم إتمام هذا الأمر له فانتقل إلى جواره عز شأنه بعد شهور وخيب الآمال

فيه...)[10].

عاد السيد القمي إلى كربلاء، وكانت الحوزة العلمية في مدينة كربلاء المشرفة تفتخر وتتباهى بأنها تضم في جنباتها صنوًا له ومن يوازيه علمًا وفصلًا وورعًا وتقى، هو وزميله المولى كاظم الخراساني.

هذا كله يعني أن السيد القمي رحمه الله تعالى كان آية بليغة في الأخلاق الحميدة، ومن أبرز صفاته التي حبّبته للنفوس وأكسبته منزلة سامية هي عطفه وحنوه على المحتاجين من ذوي الفقر والفاقة وكذلك عبادته عبادة فكرية وثقافية وعلمية.

آثاره العلمية:

لقد ظهر من رشحات قلم آية الله السيد حسين القمي العلمي عدد من الأعمال التي أنجزها وهي تعكس آراءه الفقهية، وثبت أنه من ذوي القابليات الدينية والملكات الاجتهادية، وهذه الآثار هي كالآتي:

١ـ مجمع الوسائل.
٢ـ الحاشية على العروة الوثقى.
٣ـ الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات.
٤ـ مختصر الأحكام.
٥ـ طريق النجاة.
٦ـ منتخب الأحكام.
٧ـ مناسك الحج (عربي).
٨ ـ مناسك الحج (فارسي).
٩ـ ذخيرة العباد.
١٠ـ هداية الأنام.
١١ـ حواش على رسائل المولى هاشم الخراساني[11] وأضاف صديقنا الفاضل الشيخ أحمد محمد رضا الحائري أعمالاً أخرى هي:

منظر عام لاجتماع مشيعي جثمان السيد حسين القمي في كربلاء

١٢ـ الرسالة الرضاعية.
١٣ـ الرسالة الإرثية.
١٤ـ الوجيزة.
١٥ـ رسالة في الربا.
١٦ـ تعليقه رسالة صحة المعاملات[١٢].

لقد أدركتُ آية الله العظمى آية الله العظمى السيد أغا حسين القمي سنة ١٩٤٦م وهو يخرج من داره الكائنة في محلة الطاق (عقد القمي) راكبًا حمارًا أبيض مرتديًا قباءً أبيض تسدلُ عليه لحيته الناصعة البياض وعلى رأسه عمامة سوداء، ويقودُ الحمار شخصٌ يوصله إلى الصحن الحسيني بالقرب من باب مدرسة حسن خان الدينية الملاصقة للصحن من طرف الشمال الشرقي، وبعد نزول السيد يربط الحمار بعمود قرب الباب، ثم ينزل السيد من سلّم باب الصحن حيث يستقبله الجمهور الغفير من المصلّين، وهم ينادون بأعلى أصواتهم بالصلاة على محمد وآله. وبعد أن يؤدي صلاة الجماعة للمغرب والعشاء، يبدأ الحوار بينه وبين السائل، فيجيب سماحته على كل من يسأل من أجل تقريب وجهات النظر، وكان الحوار مثمرًا وبناءً ثم ينهض ويعود إلى داره بعد أن يمتطي حماره، وكنت ألاحظ أحيانًا أنّ المرجع الديني آية الله السيد ميرزا مهدي الشيرازي يرافقه من باب الدار إلى الصحن مشيًا وهما يتجاوران في المسائل الفقهية. وكان السيد القمي يعتني بإعاشة الكثير من طلبة العلوم الدينية في كربلاء والنجف الأشرف، حيث دانت له الزعامة. وذلك هو الإنسان الذي قدّم باقة لا تذبل من خدمات إنسانية للعالم الإسلامي.

وفاته:

مرض سماحة آية الله القمي، وظهر الحزن على وجهه، وظل يتمتم، واشتد به المرض فنقل إلى المستشفى الملكي ببغداد، حيث وفر له المستشفى العناية الطبية الفائقة والرعاية الإنسانية.

وفي يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول عام ١٣٦٦هـ المصادف لسنة ١٩٤٦م[١٣] وافاه الأجل المحتوم وودع الحياة الفانية وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد عمر ٨٤ عامًا قضاها بالعلم والعمل والجهاد، فشيع جثمانه في بغداد والكاظمية ونقل إلى كربلاء ومنها إلى النجف الأشرف في رحاب جده الأعظم ودفن في الصحن الحيدري الشريف في مقبرة أستاذه شيخ الشريعة الأصفهاني في يوم الجمعة، وعطلت من أجله الدروس والأسواق وأقيمت عشرات الفواتح وألقيت فيها القصائد والكلمات ونشرت له حفلة تأبينية حضرها العلماء والعظماء والزعماء، وخلّف عدة ذكور أكثرهم من أهل العلم والفضل وأجلّهم السيد أغا حسن وكان إلى وقت قريب من علماء مشهد، والسيد أغا مهدي وكان من أئمة الجماعة في كربلاء. وقد أرخ وفاته السيد محمد حسن الطالقاني بقوله:

هذي شريعة الهدى يوم النوى
قد أصبحت وقد علا انتخابها
مضى (الحسين) للنعيم أرخوا
(بجنة تفتحت أبوابها)[١٤]
١٣٦٦هـ

هذه صفحة من حياة العالم الرباني السيد حسين القمي الحائرين الذي كرّس حياته للدرس والتدريس والجهاد والوقوف بوجه الطغاة المستبدين، فكان أحد الرجال

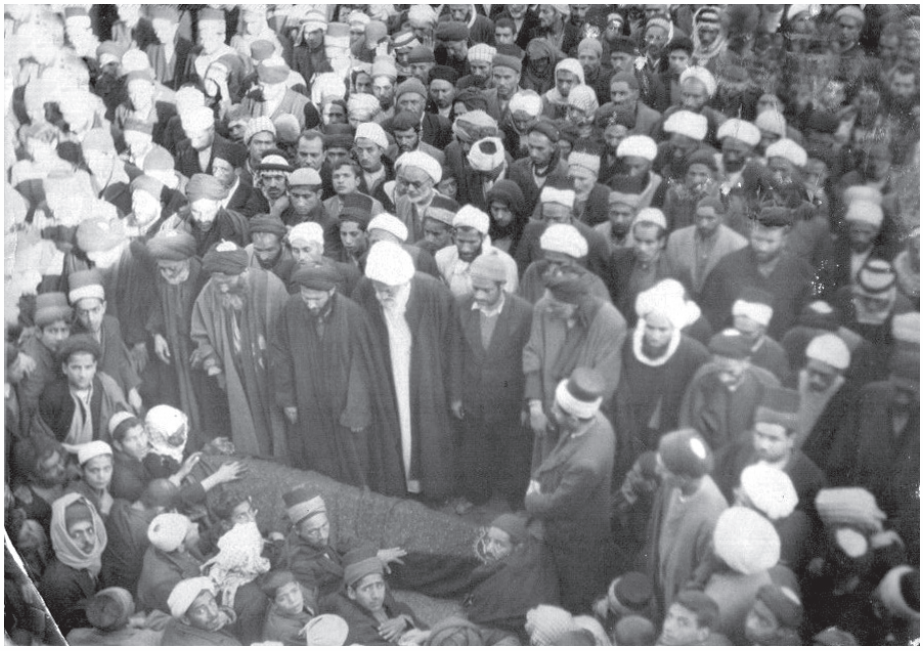

أحد العلماء الكرام يصلى على جثمان السيد قدس سره

المجتهديــن الذين اســتقلوا في الرأي إلى جانب علمه الجم.

لابــدّ لنا مــن القول أخيــرًا إن العلماء والحــوزات العلميــة لــم تعطــه حقــه من الكريم والإتمام لشــخصه الكريم، وإنه لم يحــظ بالعناية المطلوبة مــن لدن الباحثين على الرغم من إســهاماته الكبيرة وخدماته الجليلة، فقد أضحت مساهماته على الرغم من غزارتها وتنوعهــا مجهولة تقريباً، إلا عند البعض من تلامذته وزملائه، وإذا كان التاريخ لم ينصفه، وقد تجاهل قدره، فكم تجاهل قدره غيره أعاظــم الرجال ونوابغ الدهر!

الهوامش:

(١) السـيد حسـين القمي رجل الثـورة ـ محمد باقر بور أميني ـ ترجمة: كمال السيد ص٢٧.

(٢) نقباء البشــر في القرن الرابع عشــر ـ الشيخ أغا بزرك الطهراني ج٢ ص١٠٨٦.

(٣) عنصر فضيلة وتقوى حضرة آية الله القمي ـ عباس حاجياني دشتي (فارسي) ص٣٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) السيد حسين القمي رجل الثورة ص٣٩.

(٦) نقباء البشر ج٢ ص٦٥٣.

(٧) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ـ نور الدين الشاهرودي ص١٩٨.

(٨) السيد حسين القمي رجل الثورة ص٨٠.

(٩) نقباء البشر ج٢ ص٦٥٤.

(١٠) المسلسـلات فـي الأجازات السـيد شـهاب الديـن المرعشـي. جمعها السـيد محمود المرعشي. ج٢ ص١٤٦.

(١١) نقباء البشر ج٢ ص٦٥٤.

(١٢) من أعلام كربلاء الشـيخ أحمد محمد رضا الحائري ص٥٢.

(١٣) المسلسلات في الأجازات ج٢ ص١٤٦.

(١٤) نقباء البشر ج٢ ص٦٥٥.

أبيات بين التخميس والتشطير

الشيخ محمد الجاسم

الأصل:

يـا غائبـاً طـال انتظـار محبـه ... لـظـهـوره وخـصـومـه تـؤذيـه
عجّـل فديتـك والمصـاب جمّـةٌ ... مـنـهـا نـكـتّـم ضـعـف مـا نبديه

التشطير:

يـا غائبـاً طـال انتظـار محبـه ... فمتى يـلـوح ضـيـاك فـي نـاديـه
مـازال يختـرم الزمـان رجـاؤه ... لـظـهـوره وخـصـومـه تـؤذيـه
عجـل فديتـك والحـوادث جمّـةٌ ... خلعت رداء الصبر عـن أهليه
قسـراً نبـوح ببعضهـا لكنمـا ... مـنـهـا نـكـتـم ضـعـف مـا نبديه

التخميس:

أو هـل لـه حـظٌّ برحمـة ربـه ... صـبٌّ يـدمـدمُ والـجـوى فـي قلبه
يهـوى وصالك لـو مـررت بقربه ... يـا غـائـبـاً طـال انـتـظـار محبه
لظهـوره وخصومـه تؤذيـه

* * * * * * *

مـا كان فـي حلـك الزمـان ملمة ... شـربـت بـهـا كـاس المنية أمـة
مثـل التـي هتكـت بها لـك حرمة ... عجل فديتك والمصائب جمة
منهـا نكتـم ضعـف مـا نبديـه

* * * * * * *

مع الشيخ محمد حسين المظفري..

في رحلة الفكر والصلاح والإصلاح

حيدر المالكي •

ينابيع

مازال التاريخ يبث في قنواته الإبداعية أثيراً خالداً لأمجاد رجال رحلوا عن هذه الدنيا وطوت المنية بيمينها أعمارهم وأجسادهم ولكن بقي فكرهم جذوة متقدة لا يخبو نورها ولا يضمحل أثرها هي والزمان كفرسي رهان، ويصطف بين هؤلاء المبدعين أنموذج جدير بالدراسة والبحث، حاز من كل علم جانباً، ونحى في كل مسلك طريقة فجمع من الفضائل ما أهّله ليكون رائداً من رواد الصلاح والإصلاح ومعلماً من معالم مدرسة النجف العريقة التي كانت ومازالت وستبقى بعون الله تعالى ينبوعاً متدفقاً يفيض بالعلم والعلماء.

هو الشيخ محمد حسين المظفر أو المظفري كما كان يحب أن يُلقّب بذلك،

العلم المرفرف في سماء العلم، الذي لامس بسيرته وحياته وعلمه سيرة الصالحين وهو من قبل سليل العلماء فجمع بين نجابة الأسرة ووقادة الفكر وطيب المعشر وسلامة النفس وهذا دأب المصلحين.

فهو محمد حسين بن الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مظفر بن الشيخ عطاء الله بن الشيخ أحمد بن قطر بن الشيخ خالد بن عقيل من آل مسروح[1].

تعد أسرة آل المظفر من الأسر العلمية التي أنجبت فطاحل العلماء ممن أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم ومنهم من تصدى لتحمل مسؤولية كبيرة في العمل الحوزوي فأصبح إماماً للجماعة ومرشداً وواعظاً وقد اتخذوا من البحث والدراسة مسلكاً لهم مع نجابة وزهد وحسن سيرة.

يقول علي الخاقاني: وآل المظفر من عرب آل علي المضريين القاطنين في أرض العوالي بالحجاز، وقد هاجر مظفر بن عطاء الله جد الأسرة الأعلى من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قبل القرن العاشر الهجري وقصد النجف فقطن فيها واختلف على علمائها واستفاد منهم أما وجودهم بالبصرة والمدينة (من توابع البصرة) فيتصل بالقرن الحادي عشر[2].

أما والد الشيخ محمد حسين فهو الشيخ محمد المظفر ، كان رحمه الله من علماء النجف ومراجع التقليد فيها، ولد سنة ١٢٥٦هـ في النجف

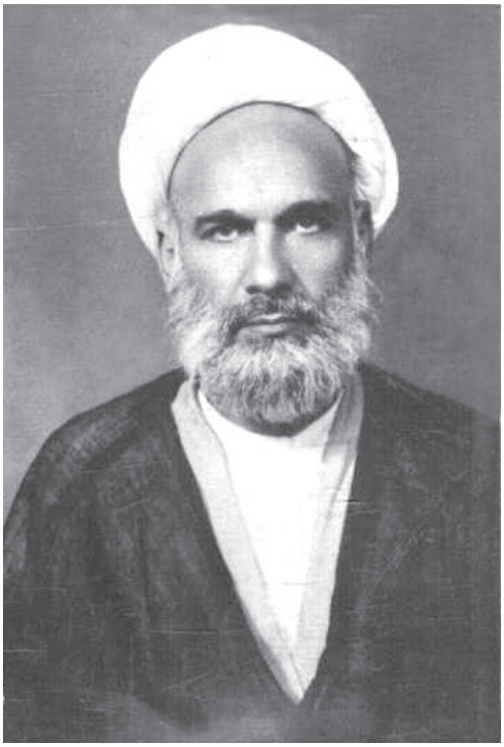

نشأ وترعرع فيه وأخذ من الدروس حظاً وافراً منقطعاً إلى الجد والتحصيل والتدريس إلى أن برع في الفقه وعرف بجودة التحقيق فيه، وألف موسوعة فقهية جليلة شرح فيها كتاب ـ (شرائع الإسلام) وسماها (توضيح الكلام) وقد استقصى فيها الفقه من مبتدئه حتى منتهاه ـ، كما أقام الشيخ محمد المظفر صلاة الجماعة في مسجد المسابك ويعد أول من أقام الصلاة من هذه الأسرة المكرمة[3].

ولد الشيخ محمد حسين في ٥/شوال/١٣١٢هـ أي في السنة التي توفي بها السيد المجدد محمد حسن الشيرازي في دار طافحة بنوابغ وفطاحل ولا

غرو أن يسير محمد حسين نحو ارتقاء سلم المجد ذلك السلم الذي ارتقاه من قبل آبائه وإخوانه الذين برعوا في التحصيل والاجتهاد فبلغوا ما بلغوا إليه من مرتبة عالية مع نفس يغمرها الزهد ويعلوها البشر ويغوص في أعماقها حب الخير، فكانوا بحق مفخرة ليس للأسرة المظفرية فحسب بل مفخرة للشيعة جمعاء ولنقل للمسلمين أجمع.

وما كاد شيخنا المظفري أن يضع رجله في السن العاشرة حتى رمى اليتم عليه ثوبه فأفجعه بفقد أبيه العلم الشيخ محمد المظفر وذلك عام ١٣٢٢هـ، ليبدأ مرحلة جديدة يكن رائده فيها أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي المظفر حيث قام بتربيته فكان يحنو عليه ويعامله معاملة الوالد لولده، ثم عكف على رسم معالم شخصيته العلمية فاختار له طريق آبائه وغذاه الفضل والأدب والأخلاق الفاضلة بأحسن الأساليب وأنجح الطرق.

كان الشيخ محمد حسين ثالث الستة الأفاضل حيث كان الأكبر الشيخ عبد النبي ثم الشيخ محمد حسن ثم محمد حسين ثم الشيخ محمد رضا ثم الشيخ محمد علي ثم الشيخ عبد الله.

يُعد الشيخ محمد حسن أشهرهم حيث واصل دربه العلمي ليبلغ درجة الاجتهاد فصار مرجعاً بارزاً وقلده جمع من المؤمنين، ألف كتباً عديدة أهمها دلائل الصدق بأجزائه الثلاثة وكتاب وجيزة المسائل وهو رسالته العملية وكتاب الحج من شرح القواعد وهو مجلد واحد طبع من بين سبعة مجلدات في العبادات لم تتح الفرصة لطبعها كاملة[٤].

أما الشيخ محمد رضا المظفر فهو كما يقال (أمة في رجل واحد)، حيث تنوعت مشاريعه وتزاحمت أفكاره حتى طارت شهرته في الآفاق، فأصبح صاحب المنطق بلا منازع لكونه ألف كتاب المنطق الذي يعد من أفضل ما كتب في علم المنطق سهولة وسلاسة ومادة. وهو المحور في فكرة إقامة المنتدى(منتدى النشر) تلك المؤسسة الضخمة التي أسس لها صفوة من الرجال الذين تحملوا المسؤولية وكان الشيخ محمد حسين مسانداً ومؤسساً مع تلك الصفوة.

نشأ الشيخ محمد حسين نشأة علمية كما بينا وكانت النجف حينها تضج بالحركة العلمية فبين مدرسة ومسجد ومنتدى وملتقى وديوان (برّاني) كما يُقال، دروس ومحاضرات، جدليات وفرضيات،أخذ ورد، حجج وبراهين، تعليقات وتقريرات، نفي وإثبات، والشيخ محمد حسين ينتقل بين هذه وتلك ينظر ويسمع ويحلل بفكره الذي يحمله شاب منفتح الذهن اتكأ في مقدمات دروسه على السيد موسى الجصاني وفي قراءة سطوح الفقه على أخيه الشيخ محمد حسن المظفر، فولج العالم الذي رآه حيث حضر دروس البحث الخارج على أساطين الحوزة العلمية كالميرزا محمد حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني مع ملازمة لأخيه المرجع الشيخ محمد حسن المظفر[٥].

ولما بلغ درجة عالية في التحصيل العلمي والنبوغ الفكري في الفقه

والأصــول و الأدب وألمّ بمــادة التاريخ الإســلامي مســتوعباً الأحداث بصورة كاملة، ولج عالم الكتابة والتأليف فأخرج يراعه كتباً مهمة أضافت للمكتبة العربية نفائــس أبكاراً لم تُناقــش أو تُدرس من قبل.

مؤلفاته:

ترك لنا مجموعة من الكتب المهمة[٦] منهــا ما هــو مطبوع ومنهــا المخطوط الــذي نأمل مــن ذريته أن يعملــوا على إخراجها ووضعها بيد القرّاء والباحثين، فمن المطبوع في حياته:

١. تاريخ الشــيعة (النجف ١٣٦١هـ) طبع عدة طبعات.
٢. الإمام الصادق عليه السلام، بجزئين، (النجف ١٣٦٥هـ) طبع عدة طبعات.
٣. ميثــم التمار (النجــف ١٣٦٤هـ) طبع عدة طبعات.
٤. الثقلان:الكتــاب والعتــرة (١٣٦٧هـ) تُرجم إلى الفارسية.
٥. الشــيعة والإمامــة (١٣٦٥) وطبعــات لاحقة.
٦. كتاب الألفيــن للعلامة الحلي تحقيق وتعليــق (النجف ١٣٧٢هـــ) وكان قد قدم له عميد المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي.
٧. الشعار الحسيني (بغداد ١٣٤٧هـ).
٨. الفرحة الإنســية في النفحة القدسية (النجف ١٣٤٥هـ).
٩. نمــاذج من شــعره (النجف ١٣٧٦هـ) مستل من كتاب شعراء الغري.

آثاره المطبوعة بعد وفاته هي:

١. مؤمن الطــاق (أبو جعفــر محمد بن النعمان) (النجف ١٣٨٤هـ).
٢. الإســلام نشــوؤه وارتقــاؤه (النجف ١٣٨٤هـ).
٣. علم الإمام عليه السلام (النجف ١٣٨٥هـــ)

آثاره غير المطبوعة هي:

١. الشيعة وسلسلة عصورها.
٢. هشام بن الحكم.
٣. دعــاء الإمام الصادق عليه السلام أو الصحيفة الصادقية.
٤. الآيــات الثــلاث (التطهيــر والولاية والمنزلة).
٥. الأوصياء.
٦. القرآن تعليمه وإرشاده.
٧. موجز حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.
٨. موجز علم الكلام.
٩. كتاب الصلوة من تذكرة المعلمين في شرح تبصرة المتعلمين.
١٠. دعوة النبي والمكائد.
١١. العترة أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله.
١٢. بنو أمية.
١٣. ديوان شعره.
١٤. رســالة عملية وجدت له مؤخراً وقد كتب جزءاً منها فــي ما يخص كتاب الطهارة.
١٥. العراق أدواره وأطــواره وهو عبارة عــن مقالــة سياســية كتبها الشــيخ عندما وجد العراق بلده وهو أســير مراهنــات الحاقدين والمحســوبين عليه، وهذا الكتاب قيد التحقيق.

أسفاره:

أمــا أســفاره فقد تنوعــت وتعددت وكانــت ســورية مقصده الدائــم الذي ألقــى فيه رحاله غير مــرة، فتارة قصد

اللاذقية وحلب بعد أن راسله بعض أبناء عمه كما ادعوا ذلك وطلبوا منه الرواح إليهم فذهب هناك وبحث في سيرتهم فلم يجد ما يؤيد دعواهم، ولكن علاقته ظلت قائمة بهم فقد رأوا فيه المصلح المرشد فالتفوا حوله فانتهز الفرصة لبيان حقيقة التشيع فاهتدى على يديه نفر منهم حيث أعلنوا تشيعهم وتمسكهم بمبادئ أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم المشرقة الحقّة، وإلى ذلك أشار السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي في رسالته التي بعثها إليه[٧] قائلاً: (أخي في الله تعالى. وليي فيه عز وجل. الداعي إلى الله بالحكمة والبرهان. والمجاهد المظفر في جهاده بحسن البيان وفق الله قادة الأمة المخلصين لله في قيادتها لاقتصاص أثرك والجري على منهاجك ووفقك لحملهم على جادتك والجري على أسلوبك في النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم .

وأهلا بك اليوم من قادم
به نقعت زفرات الغلل

ولله هذه الفترة ـ فترة اصطيافك في سورية ـ ما أجل فوائدها وعوائدها على المؤمنين فليهنك ما قدره الله لك من ذلك وحسبك قول رسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) أي تملكها فتبذلها في سبيل الله.

فكن لله أبوك فيما أنت من الدعوة إلى الحق على جمام من نفسك ونشاط من عزمك شرح الله صدرك للإرشاد وأرهف طبعك للنصح لله تعالى وللعباد وبودّي السعي إلى زيارتك وهذا من الواجبات لولا موانع الصحة فأسأل الله من فضله رفع المانع لأسارع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
٦ شعبان سنة ١٣٧١

المخلص
عبد الحسين
شرف الدين الموسوي

وتارة أخرى قصد الشيخ الشام بعينها بعد وفاة السيد محسن الأمين العاملي ليحل محله في إرشاد الناس وتوجيههم، وفي هذا الشأن جرت مراسلات أيضاً بينه وبين السيد شرف الدين فقد جاءت رسالة السيد على هذا النحو: (سألتني أيدك الله عن الثلمة بفقد المقدس السيد المحسن الأمين وعمّن يسدها.

أما أنت فجذيلها المحكك وعذيقها المرجب بشرط أن تتفق عليك وجوه الطائفة في دمشق وقد يتوقف هذا على أن يكتب السيدان الإمامان البروجردي والحكيم كلاهما أو أحدهما إلى إخواننا في دمشق كتاب تعزية بالسيد المبرور وفيها ترشيحكم لمقامه بأسلوب يوجب ذلك، وبودي لو يكون لي القول الفصل في هذه المهمة على إن في إخواننا هناك شحًا يحول بينهم وبين سد هذه الثلمة. إلا أن يقوم بلوازمها من يقيضه الله لذلك من عالم مقلد كسيد قم أو حكومة كالإيرانية ولهذا قد يكتفون بمن يؤمهم في الصلاة ويلقي عليهم دروس الرسالة العملية ويقرأ لهم التعزية كما كانوا في أواخر حياة السيد رحمه الله هذا خلاصة ما عندي في هذه المهمة

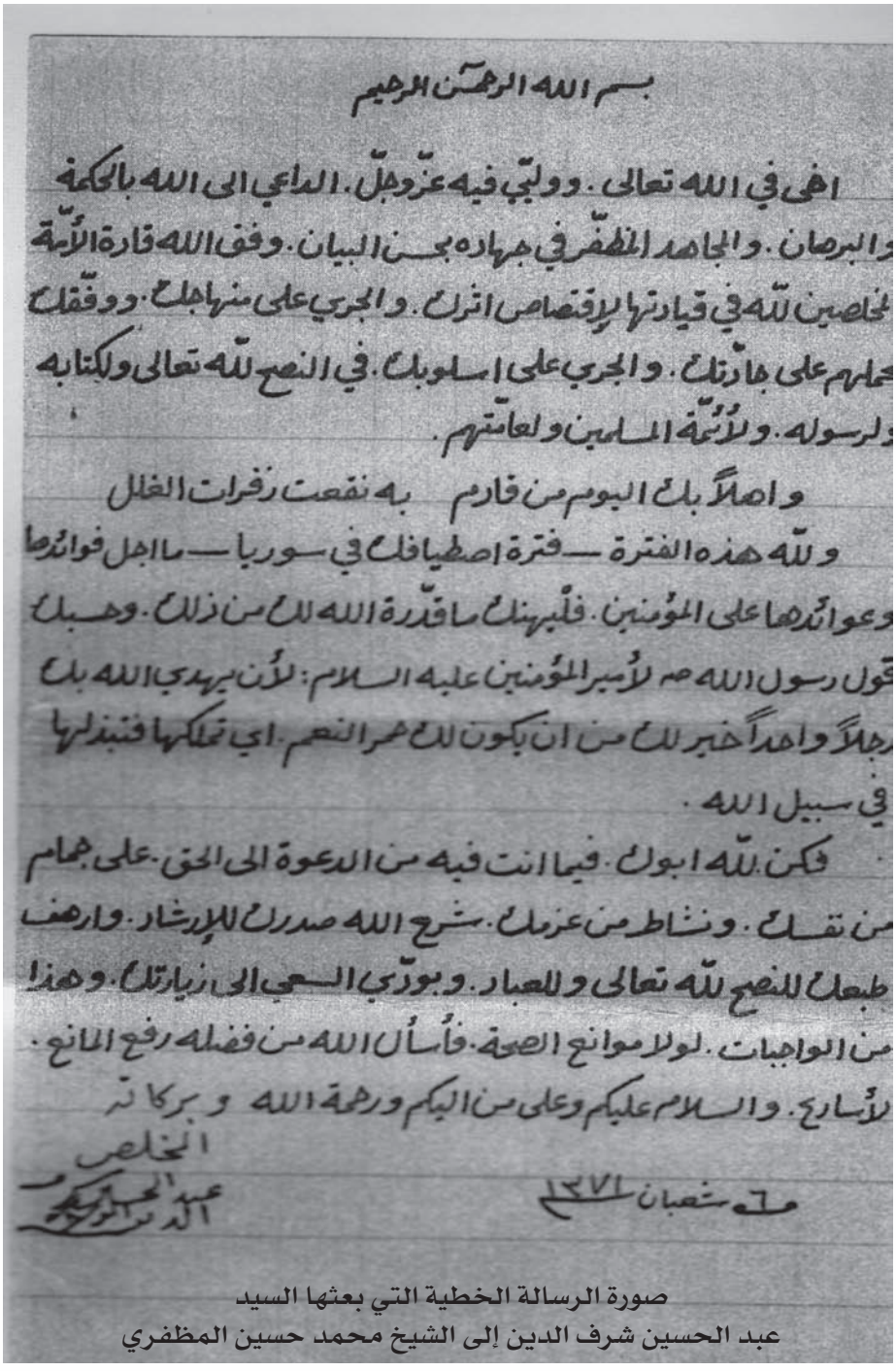

بسم الله الرحمن الرحيم

اخي في الله تعالى. ووليّي فيه عزّ وجلّ. الداعي الى الله بالحكمة والبرهان. والجاهد المظفّر في جهاده بحسن البيان. وفق الله قادة الأمّة المخلصين لله في قيادتها لإقتناص اثرك. والجري على منهاجك. ووفّق علمائهم على جاذبتك. والجري على اسلوبك. في النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله. ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم.

واصلاً بك اليوم من فارس به نفحت زفرات الغلل

ولله هذه الفترة — فترة اصطيافك في سوريا — ما اجل فوائدها وعوائدها على المؤمنين. فلتهنك ما قدّرة الله لك من ذلك. وهنيئاً لك قول رسول الله ص لأمير المؤمنين عليه السلام: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من ان يكون لك حمر النعم. اي تملكها فتبذلها في سبيل الله.

فكن لله ابوك. فيما انت فيه من الدعوة الى الحق. على جمام من نفسك. ونشاط من عزمك. شرح الله صدرك للإرشاد. وارهف طبعك للنصح لله تعالى وللعباد. وبوّبك السعي الى زيارتك. وهذا من الواجبات. لولا موانع الصحة. فأسأل الله من فضله رفع المانع. لأسارع. والسلام عليكم وعلى من اليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

عبد الحسين الموسوي

في ٦ شعبان ١٣٧١

صورة الرسالة الخطية التي بعثها السيد
عبد الحسين شرف الدين إلى الشيخ محمد حسين المظفري

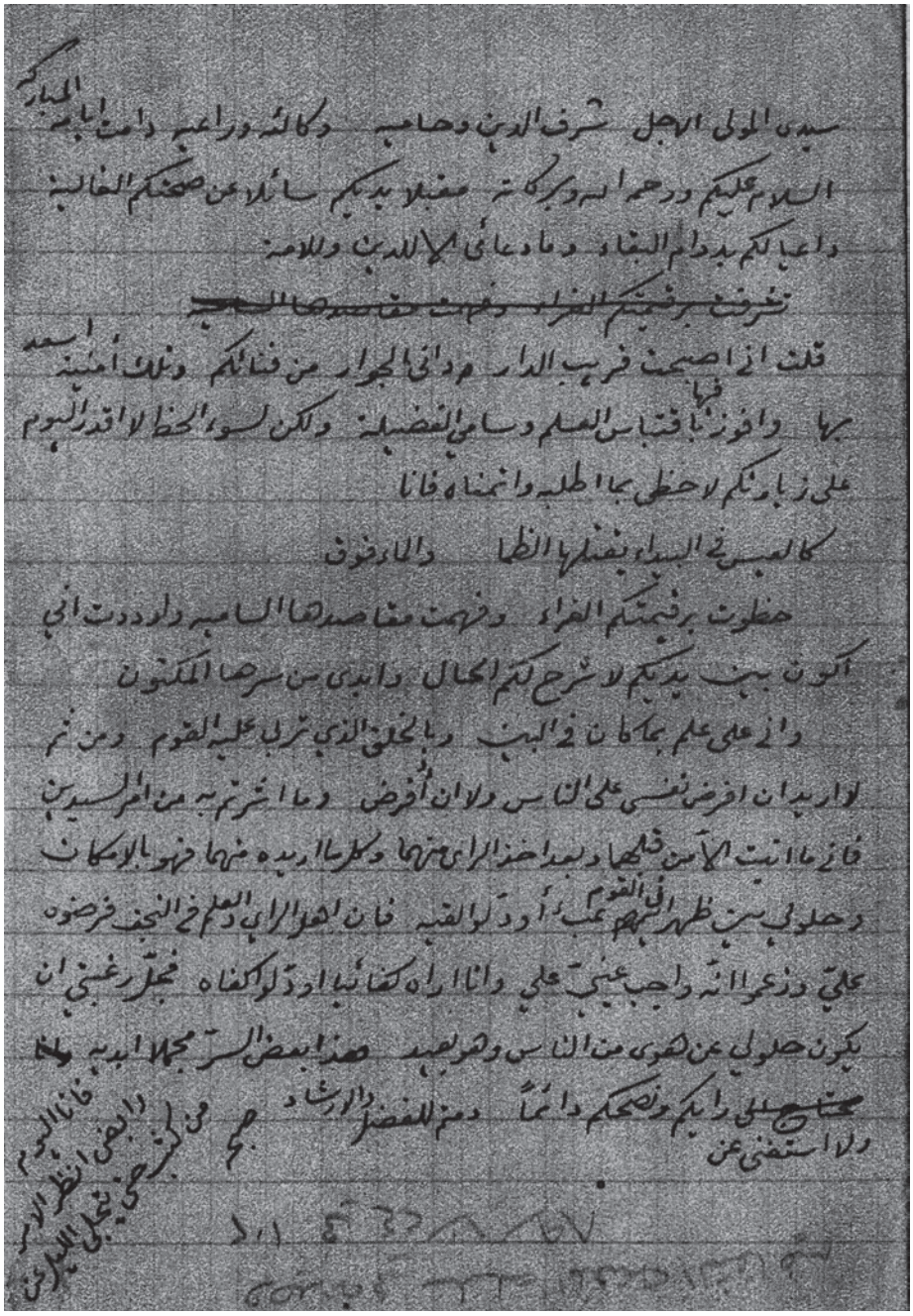

صورة الرسالة الخطية التي بعثها الشيخ محمد حسين المظفري
إلى السيد عبد الحسين شرف الدين

وقد أوسعتها تأملاً وتدبراً ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فتجدني عند حسن ظنك إن شاء الله تعالى) فأجابه الشيخ المظفري في رسالته (سيدي المولى الأجل شرف الدين وصاحبه وحاميه وكالئه وراعيه دامت أيامه المباركة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مقبلاً يديكم سائلاً عن صحتكم الغالية داعياً لكم بدوام البقاء وما دعائي إلا للدين والأمة

قلت: إني أصبحت قريب الدار وداني الجوار من فنائكم وتلك أمنية أسعد بها وأفوز فيها باقتباس العلم وسامي الفضيلة ولكن لسوء الحظ لا أقدر اليوم على زيارتكم لأحظى بما أطلبه وأتمناه فأنا:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق[٨](ظهورها محمول)

حظوت برقيمتكم الغراء وفهمت مقاصدها السامية ولوددت أني أكون بين يديكم لأشرح لكم الحال وأبدي من سرها المكنون

وإني على علم بما كان في البيت وبالخلق الذي تربى عليه القوم ومن ثم لا أريد أن أفرض نفسي على الناس ولا أن أُفرض وما أشرتم به من أمر السيدين فإني ما أتيت إلا من قبلهما وبعد اخذ الرأي منهما وكل ما أريده منهما فهو بالإمكان وحلولي بين ظهراني القوم عبء أود لو ألقيه فإن أهل الرأي والعلم في النجف فرضوه علي وزعموا أنه واجب عيني علي وأنا أراه كفائياً أود لو أكفاه فجل رغبتي أن يكون حلولي عن هوى من الناس وهو بعيد هذا بعض السر مجملاً أبديه فأنا اليوم رابض أنظر الأمر من كثب حتى ينجلي الليل عن صبحه ولا أستغني عن رأيكم ونصحكم دائماً دمتم للفضل والإرشاد).

من خلال المخاطبات أعلاه نجد ما يلي:

١. كفاءة الشيخ المظفري دفعت المرجعية المتمثلة بالسيد الحكيم قدس سره والسيد البروجردي قدس سره لاختياره كي يكون محل السيد محسن الأمين قدس سره وهو محل خطير حيث كان السيد الأمين مرشد بلاد الشام الأول والأب الروحي.
٢. مباركة السيد شرف الدين للشيخ المظفري تدل على مكانة الشيخ الرفيعة عند السيد نفسه فقد شجعه وحثه على مواصلة دربه وتحقيق مطلب المرجعية.
٣. توجس الشيخ المظفري من عدم تقبّل الشاميين شخصيته باعتباره ليس منهم مما دعاه لينظر في الأمر جيداً ويستشير ممن يثق بأفكارهم مما جعله يقفل راجعاً إلى النجف ليقضي فيها بقية عمره المبارك.

الشيخ المظفري ومنتدى النشر:

أما دوره في منتدى النشر فقد كان مسانداً حيث تعالت الأصوات بوأد هذه المؤسسة الفتية التي أرادت لمناهج الدرس الحوزوي مواكبة التطور الحاصل في الحياة العامة فانبرى الشيخ المظفري ليعلن في تاريخه الشعري هدف تأسيس المنتدى عام ١٩٣٥ بقوله[٩]:

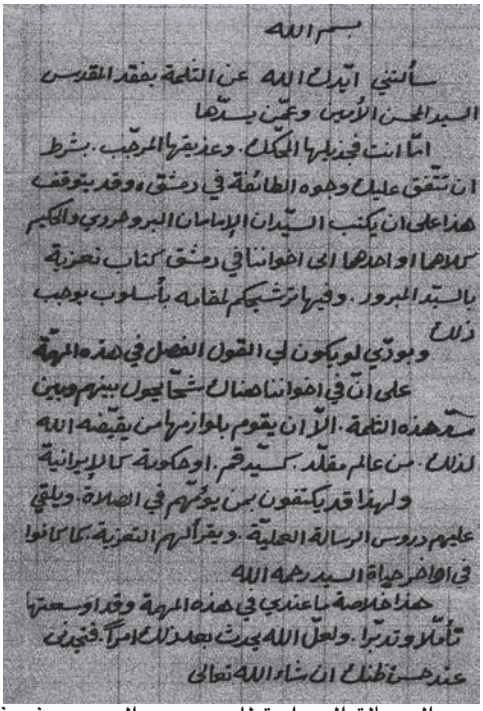

بسم الله

سألتني أيدك الله عن التلحة بفقد المقدس
السيد الحسن الأمين، وعمّن يسدّها
أما أنت فجديرها الحكل. وعذيرها المرهّب. بشرط
ان تتفق عليك وجوه الطائفة في دمشق، وقد يتوقف
هذا على ان يكتب السيدان الإمامان البروجردي والحكيم
كلاهما او احدهما الى اخواننا في دمشق كتاب تعزية
بالسيد المبرور. وفيرا ترشحكم لقيامه بأسلوب يوجب
ذلك
وبودّي لو يكون لي القول الفصل في هذه المهمة
على ان في اخواننا ضئال شحايحون بينهم وبين
سدّ هذه الثلمة. الآن يقوم بلوازمها من يقيضه الله
لذلك. من عالم مقلّد كسيد قم، او محكوم كالإيرانية
ولهذا قد يكتفون بمن يؤمّهم في الصلاة. ويلقي
عليهم دروس الرسالة العملية. ويقرأ لهم التعزية كما كانوا
في اواخر حياة السيد رحمه الله
هذا فلاصة ما عندي في هذه المهمة وقد اوسعتها
تأمّلا وتدبّرا. ولعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا. فنحن
عند حسن ظنك ان شاء الله تعالى

صورة من الرسالة الجوابية للسيد عبد الحسين شرف الدين

يـا بنفسـي عصابـة أخذتهم
غيـرة الديـن مـذ رأوه تفرنج
فأقامـوا لـواءه لبنيـه
فهو مـن طيب نشـرهم يتأرج
بلـوا ديننـا الحنيفـي أرخ
(منتدى النشر جاء للحق منهج)

ولما عصفت بجمعيـة المنتدى هزات حددت من نشـاطها لسـنوات كان شـيخنا المظفـري في مقدمة مجموعـة من رجال الدين طلبوا إجازة فتح الجمعية عام ١٩٥٤ وبعد سلسلة من الرفض والقبول والمماطلة من قبل الدولة صدرت الموافقة على إجازة جمعية منتدى النشر[١٠].

وفاته:

وبعد عمر ملـيء بالعطاء وفد المظفري علـى ربه الكريـم عام ١٣٨١هـ ١٩٦١ م[١١] إثـر مرض عضال كـدر صفو حياته لبضع سنوات وبذلك الرحيل خبا نجم كان عمره وقفاً على الإسلام والمسلمين.

المصادر:

(١) الخاقاني، شعراء الغري، ١٦١/٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ٣٧٥/٣.
(٤) المظفر، الشيخ المظفري في سطور،ص٩.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) نسخ المراسلات زودنا بها مشكوراً الأستاذ زيد نجل الشيخ محمد حسين المظفر.
(٨) أورد الشـيخ مـن البيت الشـطر الأول مع جزء (والماء فوق) من الشطر الثاني.
(٩)الخاقاني، شعراء الغري، ٩٩/٨.
(١٠)الجنابـي، تاريـخ النجـف الاجتماعـي، ١٩٣٢ـ١٩٦٨، ص٣٧٥.
(١١) المظفـر، الشـيخ المظفري في سـطور، ص٦.

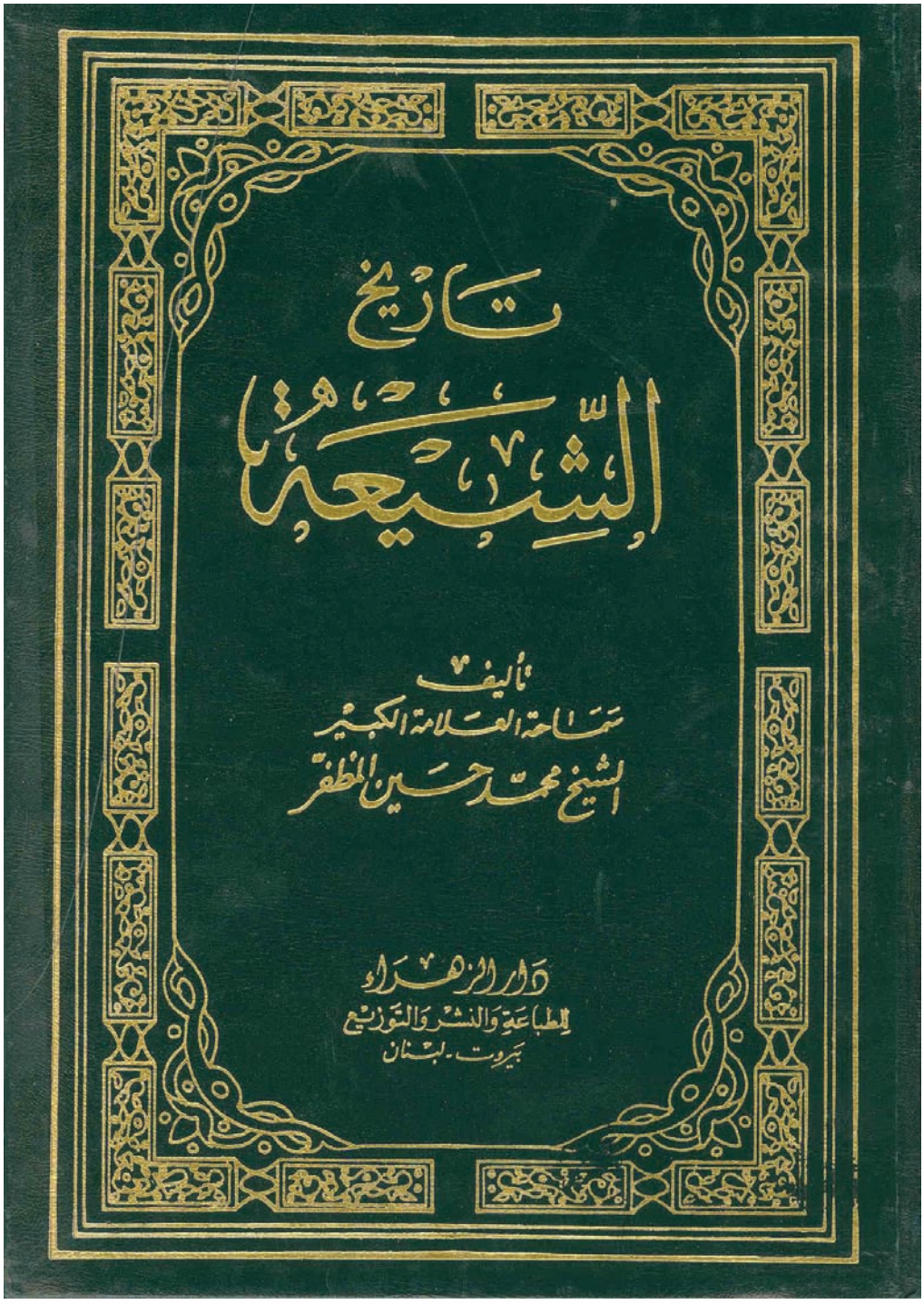
تاريخ
الشيعة
تأليف
سماحة العلامة الكبير
الشيخ محمد حسين المظفر
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ملامح من البعد الاقتصادي في عهد مالك الأشتر

حسين جودي كاظم •
المكتبة الفقهية والقانونية المختصّة

ينابيع

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المؤسس الأول للدولة الإسلامية وأضع قواعدها في مختلف المجالات التي يحتاجها المجتمع، وكان النبي صلى الله عليه وآله بوجوده بين الناس يعزز من تشريع وصياغة وتطبيق النظريات الإسلامية بأبعادها المختلفة لكونه مبعوثًا من الله تعالى وكان بدوره صلى الله عليه وآله قد أوصى بهذا الدور القيادي إلى الإمام علي عليه السلام المختار لهذا التنصيب الإلهي بمقتضى حديث الغدير وغيره من الشواهد والنصوص، فكان الإمام عليه السلام هو الحاكم ومسؤول الدولة آنذاك وهو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله فهو يمثل مدرسة متكاملة من الناحية الفقهية وغيرها من كل ما يسير عجلة الحياة والحكم، لأن قضية الحاكمية إضافة إلى كونها استحقاقًا إلهيًا فهي مسؤولية نابعة من قدرة واكتفاء ذاتية للحاكم وكفاءة لشخصه حتى يستطيع إيجاد الحلول والتطبيق الذي لعله يخضع لظروف معينة تختلف من وقت لآخر. وهذه القدرة والكفاءة هي التي جعلت له مدرسة فقهية وسياسية واجتماعية وحتى اقتصادية نابعة من الكتاب والسنة وكانت موضوعًا لإفادة المفكرين عبر التاريخ وإلى ذلك يشير مصنف مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي بقوله: (يمثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مدرسة فقهية مستقلة قامت بنقلها بعد ذلك أغلب

المدارس الفقهية، وقال أيضًا: وفقه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مجالات الحياة، وخطابه للأشتر النخعي حاكم مصر دليل على ذلك، وكذلك خطاباته الأخرى الموجهة إلى الولاة والحكام، وعلي أقضى الناس، والصحابة يشهدون بهذا، ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب بصدره ذات مرة ودعا له، وكان عمر يتعوذ من قضية ولا أبا الحسن لها، ومشاهده معروفة في القضاء ومشهودة، والمطالع لما كتب العلماء ضمن مؤلفاتهم عن قضاء الإمام علي عليه السلام يعرف قيمة فقهه وفهمه)[1].

ومن هنا يتضح أهمية ما صاغه أمير المؤمنين عليه السلام، وكونه (أقضى) يعني هو أعلم الناس في مختلف العلوم لأن القضاء يستلزم الاطلاع أو المعرفة في بقية العلوم والمعارف المختلفة، وهو كاشف عن قدرة وكفاءة منقطعة النظر من بقية الصحابة، هذه القدرة هي التي أسبغت القيمة لما صدر عنه عليه السلام وكان موضعًا للاقتداء. وأيضًا بهذا الصدد يقول صاحب المناهج: (إذن فقه الإمام علي عليه السلام فقه له أهميته كيف وقد قام ولاة الأمر في عهده بتنفيذ وصاياه في جميع المجالات واستفاد منه الفقه المذهبي بعد ذلك وتأثر به.. أثرًا كبيرًا في المذاهب بصفة عامة ولاسيما فيما يتعلق بالقضاء)[2].

وأما بالنسبة لعهده عليه السلام الذي كتبه لمالك الأشتر عندما كان عاملاً على مصر فهو يحتوي على قواعد وأصول في الحكم وغيره ونحن نقتبس منه بعض المعالم الاقتصادية التي أبرزها الإمام عليه السلام.

عهد مالك الأشتر:

كتب عليه السلام كورقة عمل وزود بها صاحبه الجليل مالك الأشتر، وهو مروي في نهج البلاغة[3] رقم (٥٣) من رسائل الإمام علي عليه السلام وتعرضت له كتب الأسانيد

والرجال، وذكره الشيخ الطوسي في فهرسه ص٦٢.

واكتسب هذا العهد أهمية كبرى عبر عمر الإسلام المبارك وحظي باهتمام المسلمين ومصلحي الأمة والمفادين بالعدالة والإنسانية، فهو يرسم الخط المستقيم للحكام وولاة الأمور ويشخص أهم المشاكل، ويتحسس برفق مواطن الألم في أوساط المجتمع ويصف لها الدواء الناجح والحل الصائب فهو (كتاب تضمن نصائح غالية ودستورًا ماليًا واقتصاديًا وإداريًا واجتماعيًا..)[٤].

وأما مالك فهو ابن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة النخعي كان من فرسان العراق وزعمائها، شخصية نادرة في التاريخ الإسلامي ومن الأبطال البارزين، جمع الفصاحة والشجاعة، وهو من شيعة علي المخلصين، شهد وقعة اليرموك وشترت عينه، أي استرخى جفنها، وقيل: شترت في حروب الردة، سكن الكوفة، ولد قبل الإسلام بقليل وتوفي سنة (٣٩هـ) في محاولة اغتيال دسها معاوية وبوفاته قام معاوية خطيبًا: (أما بعد فإنه كان لعلي يمينان فقطعت إحداهما بصفين ـ يعني عمار بن ياسر ـ وقطعت الأخرى ـ يعني الأشتر ـ)[٥].

ورد في أول هذا العهد: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله عليٌ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولّاه مصر. جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها)[٦].

في هذا المقطع يبين أمير المؤمنين عليه السلام وظائف الحاكم الإسلامي وأهم ما يدور عليها رحى الحكم بالإسلام فمن المعلوم أن الحكم وسيلة لتحقيق حكم الله عزّ وجل ونشر العدالة الاجتماعية عبر نظام يرعى جميع الطبقات وينظم الحياة للدولة ويحل جميع مشاكلها، وما ورد هنا هو تأكيد على أمور مهمة يجب أن تكون نصب عين الحاكم عند التسليم مقاليد السلطة وهي:

١ـ جباية الخراج والحقوق المالية التي عينها الله تعالى.

٢ـ جهاد الأعداء والعمل على حماية الأمة وتأمين البلاد.

٣ـ تربية الأمة وإصلاحها على مختلف الأصعدة.

٤ـ تعمير البلاد وتنمية الثروات وتوفير العيش الكريم للناس[٧].

وعند النظر في هذه الأمور نجد أنها أركان مهمة يقوم عليها وضع البلد وانتعاش أموره الاقتصادية ومن ثم استقلاله سياسياً وقيامه بدون تبعية لأي ضغط خارجي كما نشاهده الآن في العصر الحاضر، وهذه المذكورات تمثل أركان تنمية وأدوات لنمو الحياة في المجتمع، فزيادة دخل الدولة من الخراج وغيره له الأثر في التنمية الاقتصادية وعمارة البلد: وأيضًا إن دخل الدولة وبيت المال له دور في تقويم التكافل والتوازن الاجتماعي عند عدم كفاية مساندة أفراد المجتمع لبعضهم البعض الآخر[٨]، والمعنى الأصلي للاستصلاح هو عمارة الأرض وحسن استثمارها، فالأرض مصدر الخيرات وحسن الاستغلال لها والتشجيع على الإفادة مما أودع الله تعالى فيها من موارد باعتبارها من أهم مصادر الثروة الطبيعية، هو مما يعود بالنفع العام على الحكم والحاكمين[٩]، أما جهاد العدو فهو يحتاج إلى العدة والعدد فيقود الوضع

المالي لبلد معين يتمكن من زمام أموره وتطوره حضاريًا لأن القوة والاستعداد والتمكين يجعل البلد حصنًا منيعًا وفيه خيرات وأمن واستقرار. وللحديث عن الرعية وطبقات الناس والجيش ورد في مقطع آخر من العهد الشريف قوله عليه السلام: (واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل..، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة..)[10]، وقد تحدث الإمام عليه السلام حول هذه الطبقات، فطبقة الجنود وهم الجيش أو القوات المسلحة التي هي حصن البلاد ووسيلة من وسائل تدعيم الأمن. ونحن نعلم أن الانتعاش الاقتصادي لا يكون في بلد مضطرب أمنياً لأن رؤوس الأموال لا استقرار لها وبالتالي لا فرص للاستثمار في هذا البلد، وكذا وجود الأمن يعني سيادة القانون وبالتالي إشباع حاجات الناس ورغباتهم بالعدل والإنصاف لا بسيطرة الغلبة والقوة والتناحر كما يحدث في العصر الحالي أحيانًا من حروب أهلية تشرد المئات من أهالي البلاد، والنزوح خارجها مما قد يسبب مجاعة وتدهورًا اقتصاديًا واجتماعيًا، فلذا قال الإمام عليه السلام بحقهم: (فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم)[11] إذن الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والحضاري وعدم تفشي الاستغلال بين الناس والاختلاف ومحق الثروات لا يكون إلا بوجود الأمن وسيادة القوانين، أي وجود السلطة، ولعل ما نقلناه قبل قليل من أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض هو إشارة منه عليه السلام إلى تداخل لبنات المجتمع بل إن قيام المجتمع والناس فلا يكون نظام حاكم إلا من خلال تلك الوسائل التي عدها الأمير عليه السلام.

وورد في موسوعة الاقتصاد الإسلامي (ص٧٨) يرى ابن خلدون أن استقرار الأمور في الدولة وانتشار العدل والأمن له أثر كبير في الإنتاج فكما تواتر ذلك للدولة ساعد على تقدم الانتاج وتطوره لما يكلفه من الحماية فيعم الاطمئنان إلى جني ثمار العمل ومن ثم يقوى إلى الانتاج وزيادته كمًا وكيفًا.

وقوله عليه السلام: (ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس).

ومن تلك الطبقات التي ذكرت أيضًا هم أهل الجزية، والجزية هي نسبة مالية يدفعها الكتابيون للدولة الإسلامية والمشاركة في ميزانيتها التي يعيشون في ظلها وتوفر الدولة الحماية الكاملة لهم واعتبروا شريحة اجتماعية يجب الاهتمام بهم وتوفير كافة حقوقهم، ولهم في عنق ولي الأمر من الحقوق والواجبات مثل ما عليهم، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه مرّ بشيخ كبير مكفوف يسأل الناس فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني فقال عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتوه أنفقوا عليه من بيت المال[12].

وورد ذكر الخراج وجبايته في بداية العهد على أنه من مهمات الحاكم الإسلامي، والخراج هو ما تحصل عليه الدولة من واردات سواء من حصتها من استثمار الأرض العامة بيد المسلمين

وغيرهم أو ما يشمل الضريبة والفي والجزية وغيره[١٣].

ونظرة الإمام عليه السلام إلى هذا العنصر لمهمته في إصلاح طبقات المجتمع وهي نظرة مثالية اقتصادية تجعل الخراج سبب كل إصلاح تريده الحكومة، وهو أساس كل عمران وحضارة بالدنيا.

ومن الطبقات المذكورة أيضًا طبقة التجار وأهل الصناعات فقال فيهم عليه السلام: (استوصِ بالتجار وذوي الصناعات، وأوصِ بهم خيرًا..)[١٤] أي أصدر الأوامر والتعليمات لجميع المسؤولين ولعموم الأمة بالاهتمام بالتجار والصناع وتوفير الضمانات المشجعة لهم وسن التكريمات التي تغريهم وبقية المجتمع بالعمل وبمزيد من الجهد واستثمار الطاقات البشرية ورؤوس الأموال وضمها للخبرات التجارية والصناعية التي تؤدي لا محالة إلى رفاه المجتمع واستقراره[١٥].

ولا يخفى أنّ تقدم الشعوب وتطورها ماديًا يقاس بمدى تطور صناعتها وآلياتها كما هو بالعصر الحاضر حيث نجد سيطرة الدول المتقدمة صناعيًا على الدول المتخلفة وأصبحت تابعًا للقوى العظمى نتيجة للتخلف الاقتصادي الذي ارتبط به القرار السياسي.

وفي موضع آخر من العهد الشريف قال عليه السلام: (فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه)[١٦].

هنا إشارة إلى الاحتكار المحرم ومضرته للعامة من الأمة وهو إلفات نظر للحاكم لنظام مراقبة مالية، فبعد أن أوصى بالتجار وذوي الصناعات ألزم عامله مالك الأشتر بالضرب على أيدي الأفراد المستأثرين المحتكرين رحمة بالفقراء من عامة الأمة، وورد في المحلى لابن حزم في المسألة (١٥٦٧) ج٦ ص٦٥: إن علي بن أبي طالب أحرق طعامًا احتكر بمائة ألف) فالإمام عليه السلام باعتباره مسؤول عن الدولة يمارس دور الرقابة بنفسه ويعاقب. وأيضًا ما ورد من نظام المراقبة ومهام الدولة في محاربة الجشع وتنظيم أمور المبيعات من خلال تنظيم الأسواق ومراقبة الموازين وحماية الناس من الفوضى والتجاوزات وذلك تحقيقًا لأمر الله تعالى (وزنوا بالقسطاس المستقيم) فقال عليه السلام: (وليكن البيع بيعًا سمحًا بموازين عدل. وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف مكرةً بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف)[١٧].

وفي هذا الكلام إشارة إلى العدالة في الثمن، أو مراعاة العدل في المبادلات والمعادلات، وأمير المؤمنين عليه السلام أو من سبق في بيان فكرة الثمن العادل في الإسلام التي تقوم على عدم الإجحاف بالبائع أو المشتري وإذا وجد فهو ثمنًا ظالمًا ذا ثمين واضح فالأمير عليه السلام يطلب من عامله الأشتر تطبيق عدالة الإسلام والتنازل والتسامح في المعاملة حتى لا يحمل المسلم الحقد على أخيه المسلم ويسير المجتمع متضامنًا متعاونًا وتسير الحياة الاقتصادية بطريقة سليمة تؤدي إلى الرفاهية الحقة وتحقق الإخاء وتوفر المواد التي يحتاجها الناس[١٨].

أما حديث الإمام عليه السلام عن الفقراء والمساكين فقال: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعًا ومعترًا.. واجعل لهم قسمًا من بيت مالك وقسمًا من غلات

صوافي الإسلام في كل بلد..)[19] فيتضح منه موقف الإمام عليه السلام من التوزيع لمنجزات التنمية بأن يكون لهؤلاء القراء نصيب محدود من بيت المال يتكفل لهم به ولي الأمر[20].

ما أثرته من نقاط مرت في عهده الشريف كانت تشمل الحاكم والرعية على السواء، مما يخص الحاكم قوله عليه السلام إياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة)[21].

فيتضح أن الحاكم والرعية سواسية ولا يتحقق هذا إلا بنزول الوالي بنفسه واختلاطه بهم فسياسة إعطاء كل ذي حق حقه وإضافة الجهد إلى صاحبه تستقيم الأمور ويتحقق الرضا الشعبي عن سياسة الوالي.

الهوامش:

(١) مناهج الباحثين، ج٢ ص٤٧ـ٤٨.
(٢) المصدر السابق، ج٢ ص٤٢.
(٣) نهج البلاغة، ص٥٨٩.
(٤) مناهج الباحثين، ج٢ ص٦٧.
(٥) انظر: الكامل في التاريخ، ج٣ ص٣٦.
(٦) وأعيان الشيعة، ج٩ ص٤١.
(٧) انظر: علي (ع) ونظام الحكم في الإسلام، ص٣٦.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) نهج البلاغة.
(١٠) المصدر نفسه.
(١١) انظر: الراعي والرعية، (ص٧٤ وص١٢٤ وص٢٠٤)، ووسائل الشيعة، ج١٥ ص٦٦، كتاب الجهاد، الباب ١٩.
(١٢) علي ونظام الحكم، ص١٢٤.
(١٣) نهج البلاغة، ص٥-٦.
(١٤) علي ونظام الحكم، ص١٣٨.
(١٥) نهج البلاغة، ص٦-٦.
(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) انظر: مناهج الباحثين.
(١٨) نهج البلاغة، ٦٠٦-٦٠٧.
(١٩) مناهج الباحثين، ج٢ ص٥٩.
(٢٠) نهج البلاغة، ص٦١٦.

مجالسة العلماء

من جلس عند العالم ولا يقدر أن يحفظ من ذلك العلم شيئاً، فله سبع كرامات: ينال فضل المتعلمين، وكان محبوساً من الذنوب مادام جالساً عنده، وإذا خرج من منزله طلباً للعلم نزلت الرحمة عليه وإذا جلس في حلقة العلم فنزلت عليه الرحمة حصل له نصيبان ومادام يكون في الاستماع يُكتب له طاعة، وإذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة: (أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي)، وإذا رأى إعزاز المسلمين للعالم وإذلالهم للفاسق نفر عن الفسق ومال إلى طلب العلم).

ثقافة السجن والسجين في..

أيديولوجية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

حسين جهاد الحساني •
مديرية الوقف الشيعي/ النجف الأشرف

ينابيع تقديم:

لعبت حياة أئمتنا العظام دورًا رياديًا في تعدد الأدوار ووحدة الهدف، فقد اتجهت كل فترة من تلك الفترات أو كل مرحلة من تلك المراحل إلى خلق البيئة الحقيقية في كيفية تعايش الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه، بل توجهت لأن تعطي الأدوار بصورة جماعية في خلق صورة واحدة في كيفية تنشئة الفرد في المجتمع، وهذا هو المنظار الواضح لدور الأئمة عليهم السلام في المدة التي عاشوها في حياتهم لتكون سجلًا مفهرسًا يؤدي الدور من خلاله في كل مكان وزمان.

وقد أدى كل إمام ما بعاتقه من رسالة في فترة حياته، لتصبح بعد ذلك دروسًا منهجية لتهيئة الفرد والجماعة وليدفع بها شوطًا بعيدًا في مضمار التكامل الاجتماعي ،فإذا التقى الهدف الأخلاقي بالهدف الديني واقترن ذلك بالإيمان الخالص والإنابة المطلقة وفي ضوء هذا الإغناء الفسيح تكون الثمار الإيجابية مزدوجة العطاء وتعود الأطروحة واضحة الأبعاد، فإذا أضفت لهذا وذاك: الثبات في المبدأ والصلابة في الحق والصبر على المحن، خرجت تلك بحصيلة أخلاقية وارفة الظلال، تتفيأ المناخ الإنساني في رحاب العقيدة الراسخة.

ومن هنا جاءت الأجواء التي عاشها

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وما لاقاه من مظاهر الإرهاب السياسي ومقارعة الطواغيت في اضطهاد لا تحده حدود، وتمييزًا طبقيًا لا يعرفه الإسلام، ومصادرة الحريات، وما العوامل التي أدت إلى سجن الإمام عليه السلام ما هي إلا دليل واضح على ما لاقاه الإمام عليه السلام نفي وتشريد وتهديد، لذا جاء هذا البحث ليوضح السمات الرئيسية التي أفرزتها المدة التي قضاها الإمام عليه السلام في سجن الطواغيت وما هي الدروس والعبر التي أضافها الإمام عليه السلام في مجتمع المظلومية والصبر..

نظرة تاريخية:

انتزعت فكرة إنشاء السجون من صميم الحياة الاجتماعية وملابساتها، ونشأت مع الأجيال ظاهرة خاضعة لطبيعة المجتمع وفلسفة الحياة، وتتميز العصور الأولى في التاريخ بأن السجون احتضنتها القوانين واصطلح عليها العرف العام، لذلك نلاحظ أن السومريين والبابليين والصينيين والمصريين وغيرهم أسسوا قوانينهم وقضاءهم وجعلوا لكل مادة من قوانينهم أثرًا ما، وضع بصورة أو بأخرى وعليه عقوبة معينة، فقد كانت تأخذ العهود والمواثيق من الأشخاص الذين يقع عليهم الذنب فضلًا عن وضع المذنب في دهاليز وأماكن بعيدة بعد أن تُعين لهم العقوبة اللازمة، أما في التاريخ العربي والجاهلي فقد استخدم العرب السجون وكانت لها أثرها في حياتهم العامة وأدبهم كما في سجون الغساسنة والمناذرة، كما أن المسلمين عملوا بالسجون في المرحلة الأولى من فترة الخلفاء إذ إنهم اتخذوا الدهاليز والمساجد كمرحلة مؤقتة لذلك، إلا أن فترة خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هي الفترة المؤسسة لظاهرة السجون وأول من أحدثه في الإسلام، ففي

خلافته قام ببناء السجن الإصلاحي في الكوفة وسماه النافع، ثم بنى غيره وسماه المخيس، فكان النافع ثم المخيس أول سجنين إصلاحيين في الإسلام، وقد ثبت أحد الشعراء اللصوص هذا السجن بقوله:

ولما إن رأيت ابني شميط
بسكة طيء والباب دوني
تجللت العصا وعلمت أني
رهين مخيس إن أدركوني
ولو أني لبثت لهم قليلا
لجروني إلى شيخ بطين
بعيد مجامع الكتفين باق
على الحدثان مختلف الشؤون[1]

واستمر العمل في هذه الظاهرة للخلافات اللاحقة وما رافقه من ظلم واضطهاد في كيفية استخدامه بصورة غير لائقة حتى أخرجه عن عنوانه الأولي الذي وضع لأجله، أما في العصر الحاضر فقد تميز العمل به بصورة واضحة وعلى الأخص في الغرب، وأولوا له عناية خاصة في كيفية تنشئة السجين في بيئة جديدة تختلف عما عاشها في الخارج[2].

السجن في اللغة والاصطلاح:

جاءت لفظة السجن في اللغة بمعانٍ عدة، منها: الحبس، والوقف، والمسك، والثبت، وما هو في معنى المنع في مقابل التخلية، وتحددت هذه اللفظة من سجن، والسجن بالكسر: المحبس، ومنه جاء المصدر من سجنه ـ يسجنه ـ سجنًا ـ أي حبسه، والسجان صاحب السجن، والسجين المسجون والمحبوس فيه، ومنه جاء محبوس وحبيس واحتبسه وحبسه: أمسكه من وجهه، والحبس ضد التخلية[3].

أما في الاصطلاح فالسجن هو المكان الذي يوضع فيه المتهمون أوالمجرمون، والسجين: هو الشخص الذي يحبس في مكان (السجن) ويمنع الخروج منه إن كان ظالمًا أو مظلومًا[4].

السجن في القرآن والسنة:

وردت لفظة السجن والحبس بمعناهما في القرآن الكريم في مواضع عدة، فقد جاءت لفظة السجن في ثلاثة أماكن، الأولى في آية ٢٥ من سورة يوسف: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ والثانية في آية ٣٢ من نفس السورة: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ والثالثة في آية ٣٥ من السورة ذاتها: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾.

ووردت اسمًا لمكان الحبس في ستة مواضع :

١- آية ٣٣من سورة يوسف: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾.

٢- آية ٣٦ من السورة نفسها: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

٣- آية ٣٩ من السورة أيضًا: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾.

٤- والآية ٤١: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

٥- والآية ٤٢: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

٦- والآية ١٠٠: ﴿.. قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

ووردت بمعنى المكان المعد للحبس في: الآية ٧ من سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ والآية ٨: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

ووردت بمعنى المفعول في سورة الشعراء آية ٢٩: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

ولفظة الحبس وردت بمعناها الفعلي في موضعين، الأول في آية ٨ من سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، والثانية في الآية ١٠٦ من سورة المائدة: ﴿... إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾.

وقد جاءت هذه اللفظة بغير اللفظين الموضوعين له، وهما الحبس والسجن في ألفاظ أُخر في القرآن الكريم، وقد نص في هذه المعاني على حبس الإنسان خاصة ومنعه لا مطلق المنع الذي أُخذ منه الحبس، منها على سبيل الحصر:

١- لفظة وقف، ومنه قوله تعالى في سورة سبأ آية ٣١ ﴿.. وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ..﴾.

٢- المسك، وقد جاءت بمعنى حبس الإنسان زمنه قوله تعالى في سورة النساء آية ١٥ ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ..﴾.

وغيرها من المعاني الأخرى والتي جاءت بألفاظ مختلفة[٥].

أما في السنة فقد جاءت لفظة السجن والحبس على لسان النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام في موارد جمة ومواضع عدة بلغت مئات المواضع، متفرقة على كتب الصحاح والمسانيد، ومتنوعة حسب علومها واختصاصاتها، وقد استفاد منها المشرع الإسلامي فثبت حدود تشريعاته وآليات عمله القضائي في الشريعة الإسلامية، ولكثرة عددها لا يسمح المقام لذكرها هنا. وبإمكان القارئ الكريم مراجعة المصادر الآنفة الذكر للاطلاع عليها.

حركة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ودخوله السجن:

لاريب أن الحراك العلمي والاجتماعي والسياسي لائمة أهل البيت عليهم السلام كان له أثر واضح في عيون الطغاة من الخلفاء والملوك وغيرهم، لأن الوضع الذي كان يعيشه المجتمع آنذاك يحتاج إلى التوعية العامة بكل صنوفها وتحدياتها، مما حدى بأئمة أهل البيت عليهم السلام أن يتصدوا ويكونوا في مقدمة القوم لأنهم القدوة الصالحة

للمجتمع.

فكان للإمام الكاظم عليه السلام هذا الموقع المؤثر في نفوس مجتمعه آنذاك مما حدا بالرشيد أن يتصيد له كل صغيرة وكبيرة، فكانت حادثة زيارة هارون لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله ولقاء الإمام عليه السلام به والمساجلة التي حدثت بينه وبين الإمام عليه السلام، بحيث أغضب الرشيد حتى قال بعدها مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله: (بأبي أنت وأمي إني أعتذر إليك من أمر عزمت عليه، إني آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأني قد خشيت أن يلقي بين أمتك حربًا يسفك بها دماءهم)[٦].

فضلًا عن ذلك فان المنزلة العظيمة وسمو الذات التي احتلها الإمام عليه السلام عند الجماهير، وما كان عليه من كيان رفيع لدى العلماء وقادة الفكر وحملة القرآن ورجال الحديث، وما امتاز به من الخلق العظيم وكريم الشمائل وما عرف به من صفات أخرى، كل ذلك توجه إليه النظر العقلي إلى قيادته الدينية، كل هذه العوامل جعلت الحراك الرشيدي وما تحمله بواطنه من حقد دفين أن يتحرك نحو الإمام عليه السلام وبدون تورع لتنفيذ جريمته بكل أدواتها.

وكان للوشاة دور سلبي ضد الإمام عليه السلام، فلقد تحرك يحيى بن خالد قبل ذلك ليهيئ مقدمات الاعتقال، فأغرى ابن أخ الإمام محمد بن إسماعيل أو علي بن إسماعيل لغرض الوشاية بالإمام عليه السلام..

بهذه الأسباب وغيرها تم اعتقال الإمام عليه السلام بسرعة وإخفاؤه وتعميته على الأمة لئلا تعرف محل سجنه. فحمل وقيد فشكى الإمام عليه السلام لجده الرسول صلى الله عليه وآله قائلًا: (إليك أشكو يا رسول الله)[٧]. فتألمت الأمة كثيرًا ولم يبق قلب إلا وتصدع من الأسى والحزن فخافت السلطات أن يكون اعتقال الإمام عليه السلام محفزًا للثورة عليها فأصبح بذلك يحمل من سجن إلى سجن[٨].

أيديولوجية الإمام عليه السلام في ثقافة السجن والسجين:

كان الهدف الاستراتيجي من عملية سجن الإمام عليه السلام هو تضييع خبره، وإيقاف زحفه الهادر، عسى أن يتناساه الناس، وتمحى صورته عن الذاكرة، ومن ثم يتم تنفيذ المخطط الإجرامي باغتياله دون أدنى ريب.

إلا أن المخطط جاء معاكسًا لما كان مرصودًا له، إذ أفرزت فترة سجن الإمام عليه السلام جوانب إيجابية كثيرة أصبحت بعد ذلك مصدرًا من مصادر إصلاح السجن والسجين، وجاءت هذه الجوانب والإفرازات على النحو التالي:

١- العبادة، فقد ضرب الإمام عليه السلام أروع الأمثلة للسجين في كيفية الاتصال مع الله سبحانه وتعالى، وهو مكان قد اتصفت به كل وسائل القرب إليه عز وجل، إذ كان يحيي الليل بالصلاة وقراءة القرآن ودعاء وتهجد واجتهاد، ويصوم النهار أكثر الأيام ولا يصرف وجهه عن المحراب[٩]. وهذه صورة مثلى يبعثها الإمام عليه السلام إلى مجتمعه من أجل إصلاحه ودفعه عن الموبقات، ومراجعة الإنسان لنفسه بعد أن يختلي ببارئه عزوجل.

٢- العلم، فقد كان الإمام عليه السلام يبعث إلى أصحابه الاستفتاءات ويحثهم على العلم، فضلًا عن اتصال بعض مريديه، فقد سلم علي بن سويد كتبًا كثيرة فأجاب عنها الإمام عليه السلام[١٠]، وكذلك اتصل به جمع من الأصحاب لينتهلوا من نمير علمه فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي، وقد ألف

كتابًا مما سمع من الإمام عليه السلام[11]. وهذا دليل واضح على أن الإمام عليه السلام وجه رسالة إلى المجتمع في كيفية الاستفادة من السجن في الدراسة والعلم وعدم فتح المجال للطواغيت في السيطرة على أفكارنا وعقولنا، ولابد لنا أن نكسب الوقت في بث الفكر والعقيدة والتبليغ.

٣- قيادته للأمة: استمر عمل الإمام عليه السلام في قيادته للمجتمع من داخل السجن، فقد كانت تصل إليه الرسائل من كل حدب وصوب من الإمام عليه السلام وأصحابه في تبادل مستمر إلى السجن إما عن طريق السجان الموالي أو عن غيره، وهنا يرشدنا الإمام عليه السلام إلى حقيقة مهمة وهي كيفية التعامل مع السجانين وملاحظة العمل معهم لكسبهم إلى الصف لحصول النفع العام بذلك، وكذلك نصب الوكلاء وعين جماعة من تلامذته في بعض البلاد الإسلامية[12]، كما وكلهم في قبض الحقوق الشرعية وصرفها على الفقراء والمحتاجين، كما ونصّب الإمام عليه السلام من بعده ولده الإمام الرضا عليه السلام، فقد حدّث الحسين بن مختار: أنه لما كان الإمام عليه السلام في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها: عهدي إلى أكبر ولدي[13]. ومن هذا المنطلق يعلم الإمام عليه السلام قادة الشعوب المظلومة في أن السجن لم يكن محطة للخنوع والخضوع ويقف عند محطة ما بل يجب على القائد أن يعلن عمله الحقيقي من مظلوميته حتى يزيد إحساس شعبه ومجتمعه به وأن يعطي الدعم اللازم للشعب المحروم في مقارعة الظلم والطغيان.

٤- الرمزية في العمل القيادي، فقد استخدم الإمام عليه السلام لغة الاشارة مع بعضهم، وذلك حينما زار الفقيه ابن أبي ليلى مع جماعة من الفقهاء الإمام عليه السلام في السجن وفي الطريق استوقفهم البهلول ليسلم لهم وصية إلى الإمام عليه السلام، فقالوا له قل ماعندك، فأشار البهلول بأصابع يده الخمس، فذهبوا عنه ظناً منهم أنه مخبول، وعندما أنهوا عملهم مع الإمام عليه السلام، قالوا له إن هناك وصية من البهلول قد استوقفنا بالطريق وأوصانا بهذه الوصية وأشاروا للإمام عليه السلام بأصابع اليد الخمسة، فأجابهم الإمام عليه السلام بإصبعين، فتعجبوا من ذلك وخرجوا من الإمام عليه السلام مودعين له، وفي الأثناء التقوا مع البهلول حيث كان ينتظرهم في الخارج، فاشترطوا عليه شرطاً بأن يفسر لهم الأمر فقال لهم: حينما قلت للإمام عليه السلام بأصابعي الخمس قصدت بذلك أن لو هناك خمسة من الشيعة المخلصين لما بقيت في السجن، فأجابني الإمام عليه السلام لو أن هناك اثنان فقط لكفى[14]. وهذه الرمزية هي صورة واضحة للعمل القيادي بالنسبة إلى القائد حتى يستطيع خلق صفة التفاهم مع أصحابه دون كشف الطغاة له.

٥- الصلابة والشموخ أمام الضغوطات والتحديات وقوة التاثير، ويرشدنا الإمام عليه السلام إلى أن السجين المظلوم يحمل في عنقه رسالة شريفة يجب عليه أن لا يخضع للضغوط والابتزازات وبالخصوص القضايا غير الأخلاقية التي يستخدمها الظلمة في السجون، فضلاً عن قوة الأسلوب والاستطاعة وكيفية التأثير في المقابل وإصلاحهم نحو الأحسن، إذ تعرض الإمام عليه السلام لهذا النوع من هذا التحدي، فقد أرسل إليه

هارون جارية بارعة الجمال لتتولى خدمة الإمام عليه السلام ظانًا أنه سيفتتن بها، فحينما وصل مبعوث هارون بالجارية قال له الإمام عليه السلام: بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها. فرجع الرسول إلى هارون وأبلغه بما حصل، فأمره هارون بإرجاعها إليه مرة أخرى وانصرف عنها، ثم بعدها أنفذ هارون خادمًا إلى السجن ليتفحص أمر الجارية، فراها ساجدة لربها وهي تقول: قدوس، قدوس، فمضى الخادم مسرعًا فأخبره بحالها، فقال هارون: سحرها والله موسى، عليَّ بها، فجيء بها وهي ترتعد قد شخصت بصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجده، فقال لها هارون: ما شأنك؟ قالت: شأني شأن البديع، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليله ونهاره.. إلى أن قالت: هكذا رأيت العبد الصالح[15].

وفي الختام، كل هذه الجوانب وغيرها التي ثبتها الإمام عليه السلام أراد بها أن يكون السجن مركزًا لتربية السجين وإعادة تأهيله بل وتعليمه وتقدمه في مختلف المجالات، فالسجين يخرج إلى المجتمع بأخلاق وتربية صالحة فضلاً عن كيفية قيادته لمجتمعه وحياته الجديدة.

لقد جعلوا السجن في بلادنا مركزًا لكبت الكفاءات وموتها وللتعذيب والإصابة بالأمراض الجسدية والنفسية، فلنجعلها كما أرادها إمامنا ومولانا موسى بن جعفر عليه السلام بالتهذيب والاصلاح.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

(١) تاريخ السجن الإصلاحي في الإسلام، توفيق الفكيكي، مجلة الاعتدال لسنة ١٣٦٥هـ، ١٣-١٤.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج٥/٤٦٩ الخ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزجيلي، ٣٨٥، أحكام السجون بين الشريعة والقانون، الشيخ احمد الوائلي، ص٥٣، تاريخ السجن الإصلاحي في الإسلام، توفيق الفكيكي، ص١٣ في مجلة الاعتدال السنة ١٣٦٥هـ، أدباء السجون، عبد العزيز الحلفي، ص٢.

(٣) لسان العرب، محمد بن منظور، ج٦/٤٤ وج١٣/٢٠٣ مادة سجن، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٢- مادة حبس.

(٤) الرائد، لويس حداد، ج١/٨٠٧، معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، ص٢٤١.

(٥) أحكام السجون، ص١٢-١٥.

(٦) عيون أخبار الرضا، محمد بن بابويه، الشيخ الصدوق، ص٧٣، الغيبة، محمد بن الحسن، الشيخ الطوسي، ص٢٨.

(٧) عيون أخبار الرضا، ج١/٨٥.

(٨) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ج٩/١٥٩-١٦٢، الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ضحية الإرهاب، د. محمد حسين الصغير، ص٢٢٣-٢٢٨.

(٩) الإرشاد، محمد بن محمد، الشيخ المفيد، ص٣٣٨، الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ضحية الإرهاب، د. محمد حسين الصغير، ص٢٣٠-٢٣٨.

(١٠) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج٢/٤٩٢.

(١١) المصدر نفسه، ج٢/٤٩٣.

(١٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(١٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١/٣٠.

(١٤) كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي، ص١٨٥.

(١٥) مناقب آل أبي طالب، الحلبي، ج٤/٣٢٢.

الصوم.. منزلته وحقيقته

أم نور الزهراء الدجيلي •

أولاً: منزلة فريضة الصيام:

العبادات عموماً يراد منها تقوى الله تعالى، والتقوى في القرآن المجيد وصية الله سبحانه بواسطة سفرائه إلى الأولين والآخرين، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً**﴾[1]، يقول الفخر الرازي: (إن الأمر بتقوى الله شريعة عامة لجميع الأمم، لم يلحقها نسخ ولا تبديل، بل هي وصية الله في الأولين والآخرين)[2].

والتقوى كلمة جامعة لفعل الطاعات وترك المعاصي الكبيرة منها والصغيرة، وهي في جملتها تكتنف النفس المؤمنة من داخلها، حيث تنبه الضمير بالإحساس العميق بالمراقبة، والذي به ينبع الخير من قلب المؤمن من دون ضغوط خارجية، وتنفره من الشر بلا قسر أو إكراه، وكانت الوصية بالتقوى من وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لقادة سراياه. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة)[3].

ونلحظ أهمية التقوى في كونها مما يوصى به ويؤكد فيه، فمن وصايا الإمام

علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قال: (... فإني أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره...)[٤]، وكذلك هي ما يوصى به الأصحاب، وهذا ما نلحظه في وصية الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأحد أصحابه، إذ قال عليه السلام: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)[٥].

فإذا علمنا من كل هذا أهمية التقوى ومنزلتها نلحظ أن منزلة الصيام من أسمى مراتب التقوى، ويظهر ذلك من سائر العبادات، ففيها جوانب محببة للنفس وقريبة من الطباع السليمة في الإنسان، أما الصوم ففيه معاندة للطبع ومقاومة له، ولهذا كان الصوم من الأعمال الخالصة من الرياء، والتي تستحق الأجر بغير حساب[٦]. ومصداقه قوله تعالى: ﴿.. **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٧] هذا الصبر الذي صبره الصابرون هو من جراء صبرهم على الشدائد بما فيه من تحمل لها[٨] ومن مصاديقها الصبر على الجوع والعطش وغيره.

ومن هذه المقاربة نلحظ أن من مصاديق الصبر الصيام[٩]، وهذا ما نراه في قوله تعالى: (**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**)[١٠]، إذ فسر(الصبر بالصيام من باب المصداق والجري)[١١] وهنا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (الصبر

الصيام، وقال إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم، فإن الله عز وجل يقول: (بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)، يعني الصيام)[١٢].

فلعبادة الصيام إذن مكانة عظيمة ومنزلة جُلّى في الإسلام، إذ نلحظ أن للصوم ارتباطاً وثيقاً بالتقوى التي هي من أقرب الطاعات والقربان لله تعالى، فاستمد بالتالي منزلته من منزلتها العظيمة، وكذلك أن الصيام مصداق واقعي للصبر كما دلت الأخبار على أن المراد بالصبر الوارد لفظه في القرآن المجيد هو الصيام[١٣].

ونلحظ منزلة الصيام في منزلة الشهر الذي يوجب فيه (شهر رمضان) الذي هو سبيل الله تعالى الموصلة إليه، فكان بذلك من إحسانه ولطفه، وهذا المعنى نجده في دعاء الإمام علي بن الحسين (السجاد)عليه السلام: (والحمد لله الذي جعل من تلك السُّبل شهره، شهر رمضان، شهر الصيام، وشهر الإسلام، وشهر التمحيص، وشهر القيام، الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)[١٤].

ولا تقف منزلة الصيام عند هذا بل نلحظ أن أجر الصوم لم يحدد حسابه، فكان ثوابه عظيماً غير متناه لما نلمسه في الآية المارّة الذكر، وكذلك ما ورد عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام في قوله: (إن الله عز وجل يقول: الصوم لي وأنا أجزي عليه)[١٥]، وهذا عائد إلى أن عبادة الصوم مفتوحة العطاء بالأجر والثواب في جميع حركات الصيام وسكناته، وهذا ما لا نلحظه في منزلة العبادات الأخرى، وهو ما يؤكده الحبيب محمدصلى الله عليه وآله في قوله: (الصائم في عبادة وإن كان على فراشه ما لم يغتب مسلماً)[١٦]، ويقول الإمام جعفر الصادقعليه السلام: (نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح)[١٧]، وكل ذلك كرم من الله سبحانه وتفضل منه على عباده لإقامة هذه الفريضة الكريمة لما وهب فيها من جزيل الثواب إذ (إن الصوم أجره عظيم، وثوابه جسيم، وما يدل على فضله من الآيات والأخبار أكثر من أن يحصى)[١٨].

ثانياً: حقيقة الصيام:

كثير من المسلمين يتجه إلى أن تكون علاقته بالصيام من خلال الإمساك عن المفطرات الحسية كالأكل والشرب، والجماع ... وغيرها، متجاهلاً أو غافلاً عن وجود مفطرات معنوية ينبغي للمسلم أن يمسك عنها، لأنها تمثل الخط الموصل إلى الكمال المعنوي في الإنسان الملتزم.

وقد حرص عِدل القرآن من أئمة أهل البيتعليهم السلام على تأكيد هذا الجانب المهم في العبادات الإسلامية لتبعد الإنسان عن ممارسة حرفية العبادات، من دون أن تكون له دراية بعمقها الحركي في الحياة الإنسانية. يقول الرسول الكريمصلى الله عليه وآله: (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد، لم يقبل الله منكم إلا بورع)[١٩]، ويقول الإمام عليعليه السلام: (ليس الصوم الإمساك عن المأكل والمشرب، الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه)[٢٠]، ويقولعليه السلام أيضاً مناظراً بين صوم الجسد وصوم

النفس: (صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر، وصوم النفس، إمساك الحواس من سائر المآثم وخلو القلب من أسباب الشر)[٢١]، ويقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (وأعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك واستعمالها فيه بما يرضيك)[٢٢]. ونلحظ أن هناك مفطرات معنوية يجب أن يتجنبها الصائم في صيامه ليتحقق بذلك المعنى الحقيقي للصيام، ومنها[٢٣]:

١. الورع عن محارم الله سبحانه، ففي جملة من خطبة الرسول صلى الله عليه وآله قال الإمام علي عليه السلام: (فقمت، فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله)[٢٤]. فالورع عما حرم الله تعالى من أسمى صور العبادات عموماً، إلا أنه في الصيام له دوره المتميز لتحقيق مضامينه العالية باعتبار أن فريضة الصيام مما لا يطلع عليها إلا الله سبحانه في الغالب فيكون الإنسان لهذا أكثر حذراً.

٢. عفة اللسان وغض البصر: يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم: ﴿.. **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً**﴾[٢٥]، أي صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا. قال: وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسب جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها كلي، فقالت: إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب)[٢٦]. فالترقي عن المحرمات والشبهات والتحرز عن الشهوات بتهذيب الجوارح، يعكس آثار الصوم على سلوك الإنسان ويحقق مقصوده المتمثل في كسر شهوات النفس وكبح جماحها.

٣. الامتناع عن الغيبة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ومن اغتاب أخاه المسلم بطل صومه وانتقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرّم الله)[٢٧]. لأن الغيبة مُفسدة للروح وغشاوة عليه، وهي مُهجّرة للحسنات ومجلبة للسيئات، وهي أدام أهل النار هي (في غير الصوم حرام، فكيف بالصوم وهو العبادة لتطهير وتزكية النفس)[٢٨].

٤. حفظ الجوارح عن القبائح: يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك من الحرام، وجارحتك وجميع أعضائك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصائم، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك..)[٢٩].

٥. كراهة القُبلة والملامسة بشهوة: عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أُقبل وأنا صائم؟ فقال له: (عف صومك، فإن بدو القتال اللطام)[٣٠]. وهذا تعريض للنفس الإنسانية للشهوة وتغليب عليها وشغلها عما يُراد منها من ذكر الله عز وجل وتربية لها على الصبر، إذ مَن حام حول الحمى كاد أن يقع فيها، وهو الواضح من تحذير أمير المؤمنين عليه السلام.

فعلى ذوي البصائر أن يقفوا على هذه

الشـرائط وغيرها وقفة تأمل، حيث لا وصول إلى الغايات السامية في العبادة إلاّ بتلمس حقائقها، ومن دون ذلك لا يرتقي الإنسـان إلـى روح العبـادة الصحيحة، ويكون حظـه كمن يقول فـي حقه أمير المؤمنيـن عليه السلام: (كم من صائم ليس له من صيامـه إلا الجوع والظمـأ)[٣١]، لأن هذا الإنسان لم يُعبّد جوارحه بـ(حضور القلب الـذي هـو روح العبادة، والـذي ترتبط به حقيقة العبـادة، ومن دونه لا يكون له أهمية، ولا تقع مقبولة في سـاحة الحق المتعالـي)[٣٢]، فتُرد ولا تُقبل هذه العبادة وإن أداها الإنسان من غير إقامتها، فيقع آنذاك الخسـران الذي لا خسران بعده، بعد أنْ أفـرغ هذه العبادة مـن محتواها وغايتها.

ومما تقدم نلحظ أن للصوم درجات، ويمكن تقسيمها على النحو التالي[٣٣]:

الأولى: صوم العموم:

وهو كـف البطن والفـرج عن قضاء الشـهوة، وهذا لا يفيد أزيد من سقوط القضاء والاستخلاص من العذاب، فهذه الدرجـة من الصـوم هـي الامتناع عن المباحات، بغية أداء هذه العبادة وإسقاط المطالبة بها، وبهذا يكون الإنسـان أكثر امتناعـاً عن المحرمات التـي ربما كان يقترفها في غير أداء الصيام، وإلاّ يكون هذا الإنسـان هـازلاً أكثر منـه صائماً، وقريباً من الشـيطان أكثر مما يراد منه القرب إلى الله سـبحانه، يقول الشـيخ محمد أمين زين الدين(ت١٤١٩هـ): (وما ظنك بعبدٍ يمسـك عـن منهيات الصوم من المباحـات والمحرمات ليرضي ربه بهـذه العبادة، ثم يرتكـب تلك الجرائر أو بعضها؟! ومـن المضحك المبكي أن يقول مع ذلك، أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم)[٣٤].

الثانية: صوم الخصوص:

وهو الكـف عن المذكـور، مع كف البصر والسمع واللسـان واليد والرجل وسـائر الجوارح عـن المعاصي، وعلى هذا الصوم تترتب المثوبات الموعودة من صاحب الشرع.

الثالثة: صوم خصوص الخصوص:

وهـو صوم القلب عـن الهمم الدنية والأخـلاق الردية، والأفـكار الدنيوية، والكـف عما سـوى الله تعالـى بالكلية، ويحصل الفطر في هـذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الآخر، وحاصل هذا الصوم إقبـال بكنه الهمة على الله، وانصـراف عـن غيـر الله عـز وجل، وهـذه الدرجة من أرقى درجات الصيام وأسـماها شـأناً ومقامـاً، وهـو صوم الصفـوة المنتجة الخالصة مـن الأنبياء عليهم السلام، وأوصيائهـم المعصوميـن عليهم السلام، وهذه الدرجة مما يسـعى إليها الإنسـان ليصـل بذلك على أقل تقديـر إلى الحد الأدنـى، وإلاّ فـإن هـذه الدرجـة هي بالحقيقـة صوم خصـوص الخصوص، وهـذا مما لا يثبط العزائم عن بلوغها إذ (العدالة المكتسبة غير العصمة، والتابع غير القائد المتبـوع، والكامل المتزايد في غير الكمال، غير الناقص المتكامل، والمستضيء بنوره غير المضيء المنير، والله سـبحانه هو مؤتي كل نفس ما هي له أهـل وموفيهـا جزاء ما كسـبت من منزلة ومن ثواب أو عقاب[٣٥]، فالإنسان

بالتالي هو الذي يرقي نفسه في سمو الطاعة والتنافس الحقيقي، إذا ما توكل على الله تعالى وهيأ نفسه.

الهوامش:

(١) سورة النساء: ١٣١.
(٢) مفاتيح الغيب: ٥٦/١١.
(٣) الكليني، الكافي: ٢٩/٥.
(٤) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣٨/٣.
(٥) الكليني، الكافي: ٧٦/٢.
(٦) ظ: أحمد عبد الجواد الدومي، الإسلام منهاج وسلوك، المكتبة العسكرية، بيروت ١٩٣:٥١.
(٧) سورة الزمر: ١٠.
(٨) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٢٨٠/٨.
(٩) ظ: الآلوسي، روح المعاني: ٣٣٧/١. ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٢٦٢/١.
(١٠) سورة البقرة: ٤٥.
(١١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٣١/١.
(١٢) الكليني، الكافي: ٦٣/٤.
(١٣) يقول العلامة محمد باقر المجلسي: (وفي كثير من الأخبار أن الصبر الصيام)، بحار الأنوار: ٤٢/٦٦.
(١٤) الصحيفة السجادية، تحقيق: محمد باقر الموحد الابطحي، مؤسسة الإمام المهدي(ع)،قم، ١٤١١هـ، ص١٣.
(١٥) الكليني، الكافي: ٦٣/٤.
(١٦) الكليني، الكافي: ٦٤/٤.
(١٧) المصدر نفسه: ٦٤/٤.
(١٨) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات: ٣٧٩/٣.
(١٩) المجلسي، بحار الأنوار: ٢٥٨/٤.
(٢٠) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٢٩٩/٢٠.
(٢١) علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، طبع: دار الحديث: ٣٠٥.
(٢٢) الصحيفة السجادية، تحقيق:محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١١هـ:٢١٠.
(٢٣) ظ: حسين علي المصطفى، فلسفة العبادات: ٢٠٦، ومحمد مهدي النراقي، جامع السعادات: ٣٧٩/٣.
(٢٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة:٣١٥/١٠، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٩٠/٤٢.
(٢٥) سورة مريم: ٢٦.
(٢٦) الكليني، الكافي: ٨٧/٤.
(٢٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٦٠٢/٨، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٦٣/٧٣.
(٢٨) مصطفى السباعي، أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥.
(٢٩) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٦٥/١٠، والمجلسي، بحار الأنوار: ٩٣ /٢٩٢
(٣٠) نفس المصدر: ٩٩/١٠.
(٣١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٤/١٨.
(٣٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً: ٤٨١.
(٣٣) للتوسعة، ظ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣٢٩/١، ومحمد مهدي النراقي، جامع السعادات: ٣٨١/٣.
(٣٤) كلمة التقوى، الناشر: السيد جواد الوداعي، ط٢، ١٩٩٣م: ١٠٤/٢.
(٣٥)كلمة التقوى، : ١٠٧/٢.

حركة الترجمة والتأليف في..
المخطوطات العربية

كريم نصيف الجميلي •

ينابيع اعتنى المسلمون الأوائل بالتراث العربي المخطوط عناية فائقة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما انتجه العقل العربي الإسلامي من مصنفات ورسائل في مختلف الموضوعات من علوم القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله والسير والتراجم والأدب والعلوم والمصنفات الأخرى فجعلوا منها تحفًا فنيه ثمينة في غاية الروعة والجمال إضافة إلى مضمونها العلمي والأدبي ليتركوا فيها تراثا فنيا عظيما، ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث الإسلامي من خلال ما تحتفظ به المتاحف والمكتبات العالم العربي والإسلامي ودول العالم الأخرى، إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها ما يقارب (١٢٤) ألف مخطوط من المخطوطات النادرة والنفيسة التي جمعت بمختلف السبل ولم تخضع معظم هذه المخطوطات إلى الدراسة والتحقيق، وهناك مكتبات في مصر والمغرب وتونس والهند وإيران إضافة إلى المكتبات العديدة الموجودة في أغلب محافظات العراق تحتوي على مخطوطات ومصاحف مزوقة في غاية الروعة، وما تحتفظ به مكتبات العاصمة بغداد التي تعتبر المركز الرئيسي للمخطوطات وقد قيل أن العراق بلد يعوم على بحر من المخطوطات بمختلف

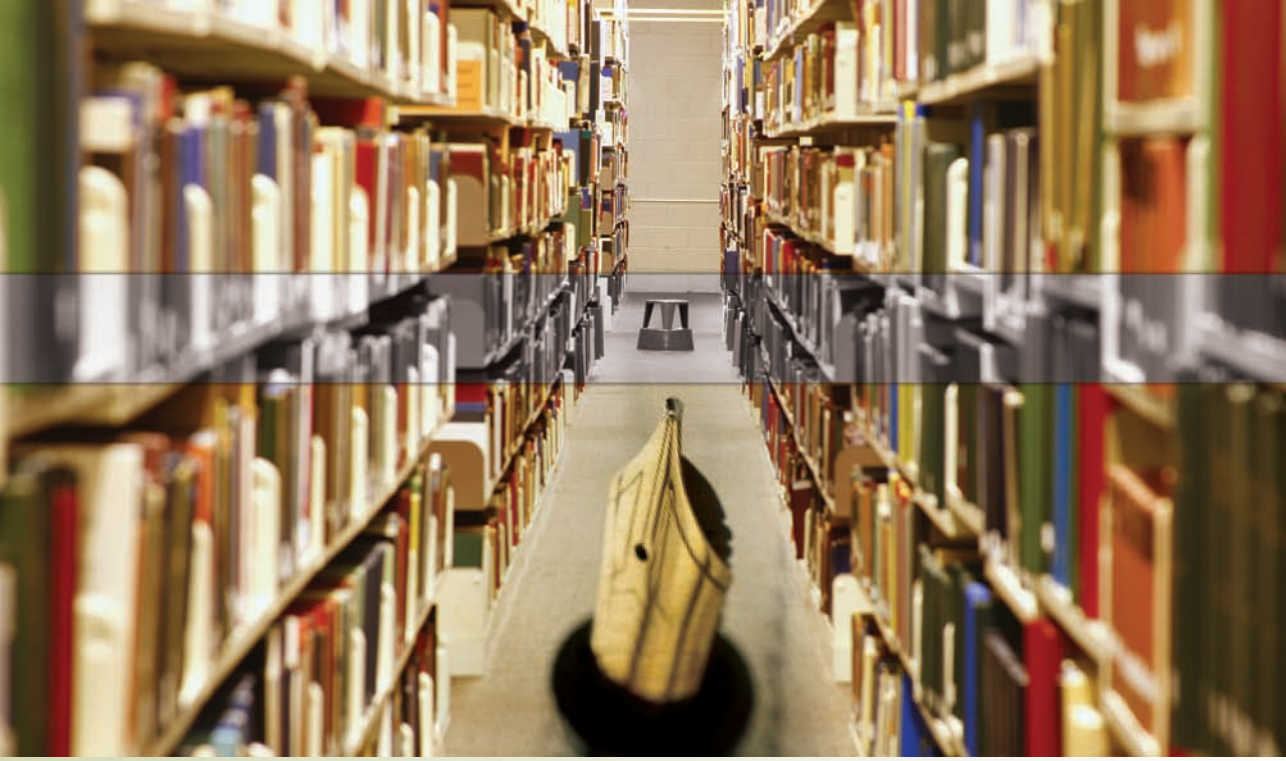

المجالات.

المخطوطات التاريخية:

وقد ارتبطت حركة كتابة التاريخ ارتباطا وثيقا بالحياة الفكرية والسياسية من خلال نقل الأحداث التي حدثت في الماضي وقد تم تدوينها في المخطوطات إضافة إلى المتغيرات الكثيرة التي رافقت ظهور الإسلام وما ترتب عليه من تغيير في مختلف نواحي الحياة التاريخية ولم تنقل إلينا الأحداث وتكتب على أسس منهجية منطلقة من فكر أكاديمي، وتوجد في مكتبات العراق والعالم العربي والإسلامي آلاف من المخطوطات التي عنيت بالتاريخ والأحداث منها:

مخطوطة الديانات اليزيدية:

وهي مخطوطة تتحدث عن تاريخ الديانات اليزيدية لمؤلفها داوف بن إسحاق الموصلي.

مخطوطة تاريخ الرقة ومن نزل فيها:

لمؤلفها أبي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري المتوفى ٣٣٤ هجرية ٩٤٥ ميلادية وهو كتاب في تاريخ الرقة وتراجم من سكن أو نزل فيها من أصحاب الرسول ﷺ والتابعين والمحدثين.

مخطوطة تاريخ العرب:

لمؤلفها عبد الله بن المغيرة بن حوطه بن تميم المتوفى ١٣٥٥ هجرية ١٩٣٧ وهو كتاب يبحث في أصل العرب وتاريخ دولهم القديمة من قبل ثلاث آلاف سنة إلى ظهور الإسلام.

مخطوطات الرياضيات:

هناك مخطوطات تتحدث عن الرياضيات وأسسها من عمليات طرح وجمع وضرب وقسمة وعمليات أخرى في جداول الحساب والهندسة ونظرياتها وعلوم الرياضيات، في الميادين التي

ساهمت فيها حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل، فقد ثبت أن البابليين كانوا يعرفون شيئًا عن العددية والحساب والهندسة واستعملوا نظام النسب والتناسب وتقسيم الدائرة إلى ستة أقسام متساوية وإلى (٣٦٠) قسمًا متساويًا، كما تم العثور على رقم طينية تتضمن معرفة بخواص مثلثات قائمة الزاوية شبيهة بنظرية فيثاغورس ونظرية إقليدس المستنتجة من نظرية فيثاغورس، وتبين من بعض آثار المصريين أنهم قد عرفوا المثلثات وأنه كان لديهم معرفة بالأهرامات الناقصة وقانون الحجم وأنهم كانوا يعرفون المتواليات العددية والهندسية وكيفية إيجاد مجموعة عدة حدود من كل منها، وهذه بعض الجوانب الرياضية التي كانت معروفة في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل، وهناك جوانب أخرى كثيرة كانت مبدأ ظهور العلوم في حضارتي اليونان والهند وهي من أسباب ازدهارها وتطورها وقد اطلع علماء الرياضيات العرب في بداية نهضتهم العلمية على تلك العلوم وما استفادوا منها وترجموا بعض مؤلفاتها إلى اللغة العربية وأضافوا عليها. وهناك مخطوطات عديدة ومختلف العناوين بعلم الحساب منها.

مخطوطة أصول الجبر والمقابل:

لمؤلفها عبد الرحمن الآمدي وهي في الأصول يستعان بها في علم الجبر والمقابلة.

مخطوطة إيراد المسائل وإيضاح المجاهل:

لمؤلفها أبي عبد لله بن إبراهيم بن يوسف الأندلسي المتوفى سنة ٨٩٥ هجرية ١٤٩٠ ميلادي وهي رسالة تناولت مسائل رياضية في الجمع والطرح والضرب والقسمة وكيفية حلها مع تطبيقات عامة.

البرهان المحرر لمعرفة مساحة الحوض المربع والمدور:

لمؤلفها عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي الحنفي وهو شرح في بحث الحوض المربع والمدور.

مخطوطة الأدب:

هناك مخطوطات في الأدب وفنونه المختلفة حيث حظي الأدباء والشعراء بمكانة الصدارة في مجالس القوم وخاصتهم وقد سجلت الأشعار الرقيقة البليغة والكلمة الرائعة فيضًا غزيرًا ورقيًا من الأخبار والأحداث الأدبية والعلمية وأوجه الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية التي تشكل ركنًا في تراثنا الخالد وتكشف لنا عن الجوانب الحيوية التي عنيت بالحياة والتنوع وهناك آلاف المخطوطات المدونة بموضوع الأدب منها.

مخطوطة ذخر المعاد في معارضة قصيدة بانت سعاد:

لمؤلفها علي بن محمد سعيد بن عبدا لله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١٢٣٧ هجرية ١٨٢١ ميلادي.

مخطوطة ديوان الصفي الحلي:

لمؤلفها عبد العزيز بن سرايا علي المعروف بصفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٢ هجرية ١٣٥١ ميلادية.

مخطوطة ديوان سقط الزند:

لمؤلفها أبي علاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المتوفى سنة ٤٤٩ هجرية ١٠٥٧ ميلادي.

مخطوطات الفلك والتنجيم:

وكانت المخطوطات الفلكية التي تعنى بالفلك والتنجيم والتي كتبها القدماء قد عنوا بملاحظة الأجرام السماوية ومراقبتها ورصدها في السماء التي كانت لهم عوناً على إجراء أبحاثهم وأرصادهم منذ عهود قديمة وقد نشأ من رصد النجوم وتأثيرها وقراءة الطالع ومصائر البشر بحسب اعتقادهم هذا كان في البداية وقد تطور علم الفلك فأصبح علمًا من العلوم وابتعد أن يكون منشأ علم الفلك الرغبة في معرفة المستقبل والأخبار عن علوم الغيب التي هي منشأ التنجيم، وإنما جاء أصل علم الفلك من ضرورات تتصل بمعرفة فصول السنة والمواسم وقياس الوقت وضبط أزمان فيضان الأنهر وموسم الزرع ومعرفة طالع الإنسان وما سيحدث له بتأثير البروج والكواكب والشمس والقمر ولم يكن معرفة علم الفلك أمرًا علميًا مجردًا وإنما المقصود منه معرفة الاختيارات والأحكام وطالع السعد والنحس وهذا ما نال المكانة في نفوس كثيرة واشتهر بعض العلماء بعلم الفلك منهم:

الخطيب البغدادي:

وهو أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد له رسالة في النجوم في الحل والحرمة وهي مخطوطة محفوظة في إسطنبول بالرقم (١٩٠).

الحاسب الطبري:

وهو أبو جعفر محمد بن أيوب من علماء الرياضيات والفلك له مخطوطة في الإسطرلاب وكتاب الزيج المفرد وهي نسخة محفوظة في جامعة كمبرج بالرقم (١٠).

شمس الدين الخرقي:

وهو شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي بشر المروزي له عدة مؤلفات بالفلك منها منتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك وهي مخطوطة مرتبة على ثلاث مقالات ومحفوظة في المتحف البريطاني.

مخطوطات الطب:

إن النظرة الإسلامية السمحة أدت إلى نشر الطب خلال الفتوحات ففي مدة ثلاثة قرون فقط توسعت رقعة الدول الإسلامية من الصين حتى طليطلة والطب يتقدم معهم في هذا التوسع فقد كانت العلوم في الشرق على حدود الصين ومعها ابن سينا في الري، ومعها الرازي في بغداد، وفيها حنين بن إسحاق، والقاهرة وفيها ابن النفيس، والقيروان وفيها ابن الجزار، وقرطبة وطليطلة أبو القاسم الزهراوي وابن

رشد وأتباعهم هؤلاء رموز لعشرات الأفذاذ من كل بلد هم، وكتبهم ظلت تدرس في أوربا لعدة قرون وآثارهم في الطب لا تحصى حتى وقتنا الحاضر.

مخطوطات الموسيقى والغناء:

وكان لمخطوطات الموسيقى والغناء مكانة متميزة في الحضارات القديمة، خصوصًا وادي الرافدين ووادي النيل، حيث استخدمت بصورة واسعة في الطقوس والشعائر الدينية إلى جانب استخدامها في الأعياد والمعارك والحروب وفي الاحتفالات ونالت عناية المجتمعات القديمة ويتضح ذلك الاهتمام من خلال مخطوطات الموسيقى والغناء التي ألفت بهذا الجانب منها.

الاعتناء بالغناء في الغناء:

لمؤلفها علي بن سلطان محمد الهروي المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية ١٦٠٦ ميلادية وهي رسالة في الغناء والاستماع.

أرجوزة في الألحان والنغمات:

لمؤلفها جمال الدين أبي عبد الله بن خليل بن يوسف المارداني القاهري المتوفى سنة ٨٠٩ هجرية ١٤٠٦ ميلادي وهي نسخة محفوظة في إسطنبول بالرقم (١٨٣٢).

زبن الألحان في علم تأليف الأوزان:

لمؤلفها محمد بن عبد الحميد اللاذقي المتوفى سنة ٩٠٠ هجرية ١٤٩٤ ميلادي.

الهوامش:

(١) العزاوي، عباس، تاريخ علم الفلك والتنجيم، ٢٠٠٤.
(٢) بيت الحكمة، بيت الحكمة العباسي، ٢٠٠١.
(٣) النقشبندي، أسامة ناصر، مخطوطات التراجم والسير، ١٩٨٢.
(٤) النقشبندي، أسامة ناصر، الحساب والهندسة والجبر، ١٩٨٠.
(٥) عباس ضمياء محمد، مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، ١٩٨٥.
(٦) النقشبندي، أسامة ناصر، مخطوطات الموسيقى والغناء، ٢٠٠١.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع واذا الجهل عنا بانزال قران عربى بين الهدى
علينا ونصب اطباء العلماء وبيننا بمحض لطفه واحسانه وكرمه
لنا البصر فوالعلل فى نحونا بحب محب ومات الادوية البنا والصلوة
والسلام على محمد المرسل رحمة للورى والفائز الاتباع فى الاخرة
والاولى وعلى اله غير المنصرفين من امره الاعلى واصحابه المنصرفين
من نهيه الاحلى ما قرئ الكتاب وعمل بما حوى وما وعى السنة
واعراب وعى اما بعد فيقول الراجى من ربه الحسنى والزيادة حسين
ابن احمد الشهير بزينى زاده غفر ذنوبهما وستر عيوبهما لما كان
كتاب اظهار الاسرار للشيخ محمد البركى بديع الفضل فى الاعصار
منطويا على حقائق المباحث المعربية ومحويا على دقائق الاسرار
الادبية واكسب عليه اذكيا الطلاب مريد الفهم بما فيه من المعنى
والاعراب سألنى بعض الاخوان واحص الخدان ان اكتب عليه

الوهابية..
نباح مسعور لاستهداف المراقد المقدسة عبر التاريخ

فائق الشمري •
العتبة العلوية المقدسة

ينابيع

تعرضت مدينة النجف الأشرف ومنذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) إلى الغزو الوهابي قادمًا من جزيرة العرب مستغلًا حالة الضعف والتدهور التي كانت تمر بها المدن العراقية وهي تئن تحت وطأة الاحتلال العثماني..

ومن بين المدن التي تعرضت للغزو الوهابي مدينتا النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وكانت فاجعة شعبان من بين أقسى تلك التجارب الأليمة التي عاشتها تلك المدينتين المقدستين مع الوهابية ومحاولاتهم العديدة للنيل من أهلها ورموزها ومقدساتها.

من هم الوهابية..؟

الوهابية فرقة ضالة تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدى المولود سنة ١١١١هـ والمتوفى سنة ١٢٠٦هـ ـ أسسها في نجد أواخر القرن الثاني عشر الهجري مستغلا حالة الجهل والتخلف التي كانت تعيشها الأعراب، ونشر تعاليمه بينهم، والتي جاءت موافقة لميول جماعة بدوية تعتمد على الغزو في معيشتها.

ولع محمد بن عبد الوهاب بمطالعة أخبار مدّعي النبوة كمسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، فظهر منه أيام دراسته العلوم الدينية زيغ وانحراف كبيران، مما دعا والده وسائر مشايخه إلى تحذير الناس منه، فقالوا فيه: سيضل هذا، ويضل الله به من أبعده وأشقاه!

وفي سنة ١١٤٣هـ أظهر محمد بن عبد الوهاب الدعوة إلى مذهبه الجديد، ولكن وقف بوجهه والده ومشايخه فأبطلوا أقواله، فلم تلق رواجا حتى توفى والده سنة ١١٥٣هـ، فجدد دعوته بين البسطاء والعوام فتبعه حثالة من الناس، فثار عليه أهل بلده وهمّوا بقتله، ففر إلى (العيينة)

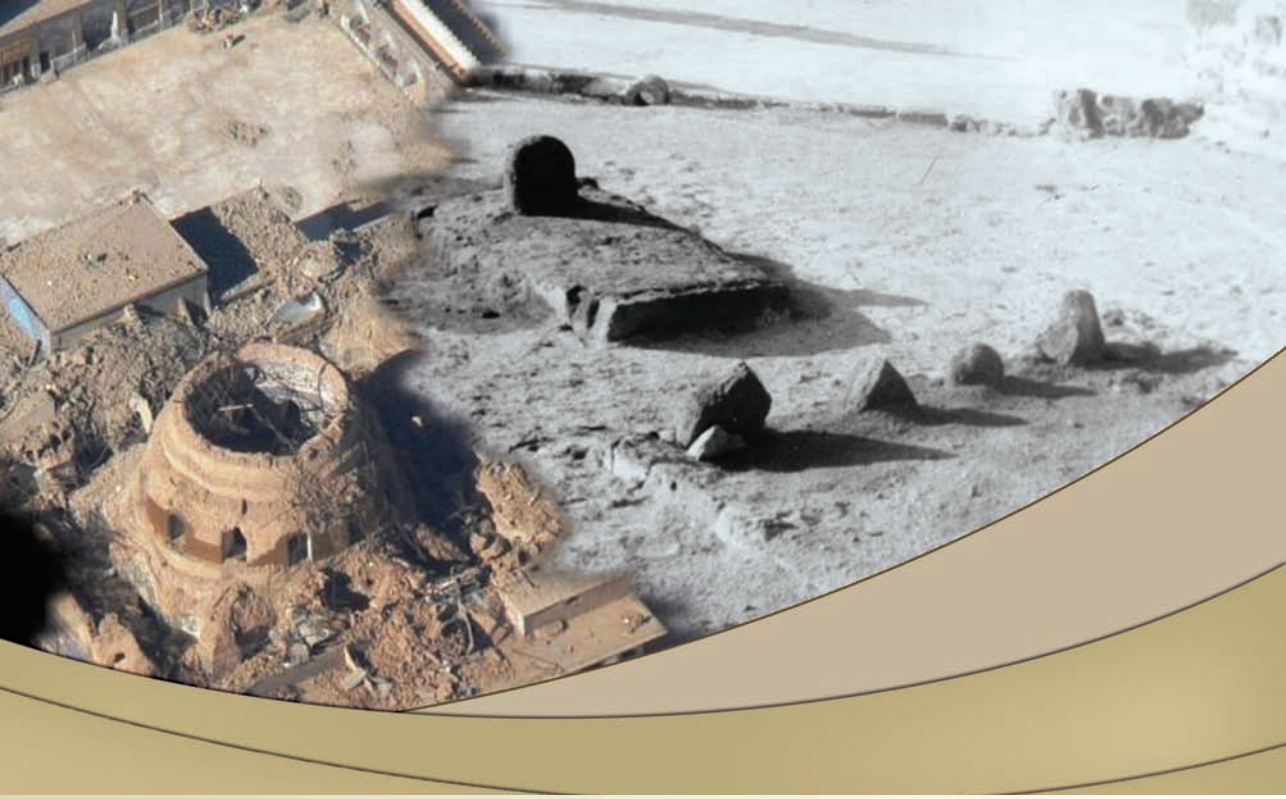

وهنـاك تقرب إلى أميرهـا وتزوج أخته، ومكث عنده يدعو إلى نفسه وإلى بدعته، فضاق أهل العيينة منه ذرعًا فطردوه من بلدتهم، فخرج إلى (الدرعية) شرقي نجد، وهذه البلاد كانت من قبل بلاد مسيلمة الكذاب. فراجت أفكار محمد بن عبد الوهاب فيها، واتبعه أميرها محمد بن سعود وعامة أهلها.

وكان في ذلك كله يتصرف كأنه صاحب العلم المطلق، لا يعبأ بقول أحد من أئمة الاجتهاد، لا من السلف ولا من المعاصرين له، في الوقت الذي لم يكن فيه هو ممن ينتمون إلى أهل الاجتهاد والعلم!!. (ينظر: الوهابية في صورتها الحقيقية، صائب عبد الحميد:١).

أما أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وهو أعرف الناس به، فقد ألف كتابا في إبطال دعوة أخيه وإثبات زيفها، ومما جاء عنه عبارة موجزة وجامعة في التعريف بالوهابية ومؤسسها قال فيها: (اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا والله ولا عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون). (ينظر: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، طبع في بومباي سنة ١٣٠٦هـ).

العراق ومراقده المقدسة:

يزعم أتباع عقيدة محمد بن عبد الوهاب الضالة، أنهم الموحدون الوحيدون، وغيرهم من المسلمين كفار مشركون، ومن مظاهر توحيدهم، أنهم يعتقدون أن الله جالس على العرش حقيقة، وأن له يداً ورجلاً، وساقاً وجنباً، وعيناً ووجهاً ولساناً ونفساً، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وخلاصة القول أنهم

يعتقدون بالتجسيم الذي أطبق المسلمون على بطلانه.

وإن لأتباع ابن عبد الوهاب عقائد وأحكاماً حول القبور اختصوا بها، وأفتوا بها من غير دليل شرعي، بل الأدلة قائمة على خلاف ما حكموا به، وإن مذهبهم فيها هو تحريم عمارتها والبناء حولها، وتعاهدها والدعاء والصلاة عندها، بل يجب هدمها وطمسها ومحو آثارها، ويشمل هذا الأمر حتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يزعم الوهابيون أن المشاهد المشرفة والقبور التي فيها بمنزلة الأصنام، ويقولون في قبر النبي صلى الله عليه وآله أنه الصنم الأكبر.

واعتمادًا على هذه العقيدة الفاسدة أفتى فقهاء المدينة في سنة ١٣٤٤هـ بوجوب هدم القبور في البقيع وغير البقيع في المدينة وخارجها، وفي اليوم الثامن من شهر شوال من تلك السنة صدر الأمر ونفذ الحكم، فأهووا على قبور البقيع وفيها مراقد الأئمة الأربعة من أهل البيت عليهم السلام وهم: سبط الرسول صلى الله عليه وآله الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام، الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، وقبر العباس عم النبي صلى الله عليه وآله، وقبر سيدنا إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبور زوجاته وعماته، وقبر فاطمة بنت أسد عليها السلام وحمزة سيد الشهداء عليه السلام عم رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهما من قبور أهل البيت عليهم السلام.

كما نال المراقد المقدسة في العراق ذات الأذى، ونفس المحاولات الخبيثة لهدمها، والنيل منها، وممن يقصدها، وقد اتخذ الوهابيون من (الرحبة) وهي منطقة قريبة من النجف مركزا لهم من أجل ذلك.

محاولات عديدة:

تولى سعود بن عبد العزيز المعروف بـ(سعود الكبير)، قيادة أكثر الغزوات التي شنها الوهابيون على العراق، وكان سعود وليا لعهد إمارة (الدرعية) عاصمة الوهابية ورأس الكفر والغدر، وقد حكم الدرعية بعد اغتيال والده عام ١٨٠٣م على يد أحد أبطال كربلاء، وحتى وفاته عام ١٨١٤م بعد إصابته بمرض عضال ألزمه الفراش حتى مات[١] بسبب مناصبته العداء لمذهب الحق.

ابتدأت الغزوات الوهابية على مدينة النجف وكربلاء منذ سنة ١٢١٤هـ ـ ١٧٩٩م، وكان النجفيون على موعد مشؤوم مع أعراب الجزيرة من أتباع محمد بن عبد الوهاب.

وحدد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء خمس أو ست دفعات أرجف بها الوهابيون النجف الأشرف[٢]، في حين وجد الدكتور حسن الحكيم أن الوهابية أغاروا ثلاث عشرة مرة على النجف الأشرف، وكان لسور النجف ومناعة أبراجها وشجاعة أهلها الدور الأكبر في منع اقتحامها في مرات عديدة[٣].

ابتدأت الاعتداءات الوهابية على مدينة النجف الأشرف على إثر قتل أمير قبيلة الخزاعل على يد مجموعة من الوهابيين..

فقد كان هؤلاء الوهابيون ضمن قافلة قادمة من نجد وردت إلى بغداد للتجارة، فباعت ما عندها، ولما أرادت الرجوع إلى بلادها توجه معها مجموعة من العراقيين بقصد أداء فريضة الحج، وساروا حتى

وصلوا مدينة النجف الأشرف، وتزامن دخولهم المدينة مع وجود جماعة من عشيرة الخزاعل، وكان أمير العشيرة يقبّل عتبة باب حجرة الإمام علي عليه السلام أثناء أدائه لمراسيم الزيارة للمرقد الشريف، فاستشاط الناصبون غضبا لذلك فحملوا عليه وقتلوه..

فدارت بين الطرفين معركة شديدة دامت حوالي ثلاث ساعات، قتل فيها من قتل من الوهابية وهرب من سلم إلى نجد، وعاد الحجاج العراقيون إلى بغداد[٤].

فاجعة عيد الغدير:

بعد حادثة الخزاعل الأليمة وتكبد النواصب لخسائر جسيمة، عاد الوهابيون للانتقام والأخذ بالثأر، ففي عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م أرسل الوهابيون سرية إلى العراق لنهب مرقد الإمام علي عليه السلام وهدم مرقده الشريف واستباحة مدينة النجف الأشرف، وقد تصدى لهذه السرية عرب البصرة وقاتلوهم وهزموهم، وأخذوا منهم ثمان مائة جمل، وقيل ألف وستمائة جمل، وقُتل منهم أكثر من مائة رجل وعادت السرية بالخيبة[٥].

وما كان لأمير الدرعية (عبد العزيز) أن يرضى بهذا الانكسار والخسائر الكبيرة التي منى بها أتباعه، بما عرف عنه من حميّة جاهلية، فأعد العدة لهجوم عنيف في العام ١٢١٦هـ - ١٨٠١م، بتجهيز جيش يضم آلاف المقاتلين، يقودهم ولده (سعود) فقصدوا مدينة كربلاء المقدسة للنيل من أهلها ومقدساتها، مستغلين انشغال أهل المدينة بعيد الغدير الأغر، حيث سافر أغلبهم إلى النجف الأشرف لتجديد البيعة لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فتجرؤوا على قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ونهبوا ما فيه من مصاحف وكتب وأموال وأثاث وتحف ونفائس فريدة، بعدما كسروا الصندوق الذي فوق قبر حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه، وكان من الخشب وأحرقوه لإعداد القهوة للناصبي (سعود) في الديوان المقابل لباب القبلة، وكان عزمه أن يفعل بالقبر الشريف للإمام الحسين عليه السلام مثل ذلك ولم يتمكن من ذلك بسبب وجود شباك من الحديد على صندوق القبر الشريف، ويقدر بعضهم عدد القتلى من الرجال والنساء والأطفال الذين ذبحوا بدون رحمة في هذه الحادثة ما بين (٥٠٠٠ - ٨٠٠٠) نسمة[٦].

وبعد هذه الأفعال الإجرامية توجه الناصبون إلى النجف الأشرف لاستباحتها، إلا أن استنفار النجفيين بعد ورود أخبار مدينة كربلاء وتهيؤهم لمقاومة لغزو الأعراب، ومناعة أسوار النجف كان لهما الدور الكبير في صمود المدينة وسلامتها من العبث الوهابي[٧].

وذكر محبوبة حادثة أخرى للوهابية في العام ١٢١٧هـ عندما كانوا قاصدين الحرمين الشريفين في النجف وكربلاء يقودهم أمير الدرعية الناصبي عبد العزيز بنفسه، حيث جاء لأطراف العراق في عيد الغدير في آخر تلك السنة وقتل جملة من العلماء والمجاورين، ومن جملة من قتل العالم الفاضل ملا عبد الصمد الهمداني صاحب كتاب (بحر المعارف) وكان مقيمًا في كربلاء أكثر من أربع وأربعين سنة[٨].

عثمان والشيخ جعفر:

بسبب هذه الأحداث الإجرامية الدامية التي مني بها أتباع أهل البيت عليهم السلام واستباحة مدنهم وانتهاك مقدساتهم، لم يسع لكل غيور أن يرضى أو يسكت، فانتفضت كربلاء والنجف لذلك.

فقد انطلق من مدينة كربلاء عام (١٢١٨هـ - ١٨٠٣م) أحد الأبطال من مدينة كربلاء المقدسة يعرف باسم (الحاج عثمان)[٩] متنكرا بزي الدراويش، متوجها إلى عقر إمارة الكفر (الدرعية) وتربص بالمجرم (سعود)، لكنه لم يظفر به فقتل مكانه والده (عبد العزيز بن محمد) أمير الدرعية وأحد أمراء الدولة السعودية الأولى[١٠].

وهنا نوجه دعوة لكل الأخوة الباحثين كي يقفوا على حقيقة تلك الشخصية البطولية وإظهارها للملأ لموقفها المشرف هذا، لتنال ما تستحقه من مكانة تاريخية.

ومن جانب آخر تحركت النجف بقيادة الشيخ جعفر الكبير[١١] صاحب كتاب (كشف الغطاء) لنقل خزانة المرقد الحيدري الشريف ومحتوياتها النادرة والثمينة إلى مدينة بغداد مع من يعتمد عليه من أصحابه خشية تعرضها للنهب والسلب كما حصل لخزانة المشهد الحسيني الشريف، وقد ذكر أن الخزانة احتاجت لنقلها قرابة العشرين بغلا[١٢].

كما أمر الشيخ جعفر الكبير كل من يستطيع حمل السلاح من الشباب للانضمام إلى الفرقة المسلحة التي جهزها بالأسلحة والذخائر وعيّن لهم رواتب وجعلهم مرابطين على حدود النجف لتكون جاهزة للدفاع عن المدينة عند وقوع أي غارة وهابية في المستقبل[١٣]. وبالفعل، عاود الوهابيون في العام ١٢١٨هـ - ١٨٠٣م الهجوم على مدينة النجف الأشرف بشكل أقوى وأشد من المرات السابقة، وكان للفرقة المسلحة النجفية والسور والأبراج الضخمة التي فيه والخندق المحاذي له - الذي أعطاه ارتفاعاً شاهقًا - فضلًا عن قيادة الشيخ السديدة، كان لهذه الأسباب الدور الأكبر في حماية المدينة من هذه الغارة والغارات التي تلتها، وظلت القبة الشريفة شامخة في مكانها داخل سور النجف المنيع[١٤].

هجمات مسعورة:

وبعد تلك المحاولات الفاشلة التي قام بها الوهابيون، أعدّوا العدة في العام ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م يتقدمهم زعيم الوهابيين (سعود) بنفسه للهجوم على مدينة النجف الأشرف واقتحامها وإنهاء مقاومة أهلها، فحاصروها من كل جانب، وفرق (سعود) جيشه عليها من جميع الجهات، وأمر جنده بتسلق جدار السور في محاولة لاقتحام المدينة، لولا الخندق الذي كان حائلا بينهم وبينه، وكان المسلحون من أهالي النجف قد أغلقوا أبواب المدينة ووضعوا الأحجار الكبيرة خلفها وتحصنوا بأعالي السور وداخل أبراجه الضخمة، وأمطروا الوهابيين بالرصاص وأوقعوا فيهم خسائر فادحة، فاضطروا للتراجع والانسحاب خائبين[١٥].

وفي التاسع من صفر عام ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م كرر الوهابي (سعود) هجومه على مدينة النجف الأشرف مرة ثانية بجيش كبير[١٦]، وكان هجومه هذه المرة غفلة ومع ساعات الصباح الباكرة، فتسلق

بعض المهاجمين السور وكادوا أن يأخذوا المدينة، لولا بسالة أهل النجف في الدفاع عنها، حيث استنفر الجميع للرد على هذا الهجوم وشارك بالقتال كل من يستطيع حمل السلاح يتقدمهم علماء الدين وطلبة الحوزة العلمية في النجف على رأسهم الشيخ جعفر الكبير، ومنهم العلامة الكبير الشيخ حسين نجف والفقيه الزاهد الشيخ خضر شلال والعلامة الفقيه السيد محمد جواد العاملي، والشيخ مهدي ملّا كتاب وغيرهم[١٧]. وذكر السيد حسين البراقي النجفي: أن المشايخ الكبار والطاعنين في السن والأولاد الصغار والنساء والذين لا يعرفون القتال توجهوا إلى مرقد أمير المؤمنين ولاذوا بسيد الوصيين، واستغاثوا به إلى الله رب العالمين، وعجوا بالبكاء وضجوا بالدعاء[١٨].

وفي جمادى الآخرة من سنة ١٢٢٢هـ دهمت شراذم غزاة الوهابيين مدينتي النجف وكربلاء مرة أخرى بجيش تعداده عشرون ألف مقاتل، وأراد الغزاة أن يتسلقوا سور النجف، فهب النجفيون وأهل العلم للقتال بقيادة العلماء الأعلام، فانتهت هذه الحملة العنيفة بالفشل أيضًا وعاد الغزاة الأعراب خائبين إلى بلادهم[١٩].

وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين هذه الحادثة عن صاحب مفتاح الكرامة قائلا: (وفي هذه السنة أي سنة ألف ومائتين واثنين وعشرين، جاء الخارجي الذي اسمه سعود في جمادى الآخرة من نجد بما يقرب من عشرين ألف مقاتل أو أكثر، فجاءت النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غيلة، فتحذرنا منه وخرجنا جميعا إلى سور البلد، فأتانا ليلا فرآنا على حذر قد أحطنا بالسور بالبنادق والأطواب، فمضى إلى الحلة فرآهم كذلك، ثم مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهارا فحاصرهم حصارا شديدا فثبتوا له خلف السور وقتل منهم وقتلوا منه ورجع خائبا، وعاث في العراق، فقتل من قتل، وقد استولى على مكة المشرفة والمدينة المنورة وتعطل الحاج (الحج) ثلاث سنين)[٢٠].

وفي عام ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م، عاد سعود مرة أخرى نحو مدينة النجف بجيش كبير يدفعه حقده الدفين ورغبته الملحة للثأر والانتقام من أهالي المدينة والنيل من مقدساتها، وأحاط بمدينة النجف الأشرف، فخرج أهلها يتقدمهم علماء الدين فقاتلوهم من داخل السور دون أن يرهبهم الحصار الشديد الذي فرضه الوهابيون على المدينة، وقد قتل النجفيون الكثير من المهاجمين، مما اضطرهم للتقهقر والانسحاب خائبين[٢١].

زيارة شعبان:

لم يترك الأعراب رغبتهم المقيتة بالثأر والانتقام من أهالي المدينة والنيل من مقدساتها، ففي التاسع من شهر رمضان عام ١٢٢٥ هـ -١٨١٠م هاجم الوهابيون مدينة النجف الأشرف دون مراعاة لقدسية هذا الشهر العظيم[٢٢]، وينقل الشيخ جعفر محبوبة عن صاحب مفتاح الكرامة تفاصيل هذه الحادثة بقوله: (وقد أحاطت الأعراب من عنيزة - القائلين بمقالة الوهابي الخارجي - بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام وقد قطعوا الطرق، ونهبوا زوار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة النصف من شعبان، وقتلوا منهم جمعاً

غفيراً، وأكثر القتلى من العجم و(ربما قيل) إنهم مائة وخمسون (وقيل) أقل، وبقي جملة من زوار العرب في الحلة لم يقدروا على أن يأتوا إلى النجف الاشرف، فبعضهم صام في الحلة وبعضهم مشى إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر على ما قيل..)[٢٣].

كما ذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين غارة وهابية أخرى على مدينة النجف أثناء ذكره حوادث سنة ١٢٢٦هـ بقوله: (وفيها جاء عسكر الوهابيين إلى النجف ووقع في أطراف العراق ـ كالحلة وكربلاء ـ البلاء المبين من القتل في الزوار والمترددين، وحرق الزرع، وكان أهل النجف كالمحاصرين)[٢٤].

كما نقل غارة أخرى للوهابية في أحداث هذه السنة عن الشيخ محمد لائذ النجفي ومفادها: في إحدى غارات الوهابيين على مدينة النجف تحصن الناس على سورها ولم يستطع الوهابيون دخول المدينة، فعرجوا إلى مسجد الكوفة فقتلوا الناس ـ وهم معتكفين فيه للعبادة ـ والمصلين في محاريبهم، وفي اليوم التالي هرع جماعة من النجفيين المسلحين إلى مسجد الكوفة، فوجدوا فيه المذبوحين، وقد تمكن أحد أولاد الشيخ محمد رضا النحوي من إنقاذ السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم، وروى الشيخ محمد طاهر الدزفولي وهو أحد الناجين من المذبحة الوهابية في الكوفة بقوله: إنه فرّ مع السيد رضا بحر العلوم من المسجد، واختبآ في حفيرة كانت بخربة خلف المسجد، والدماء قد صبغت المحاريب[٢٥].

وبقيت مدينة النجف الاشرف تقارع الوهابيين بصمود وبسالة تحت لواء الإمام الشيخ جعفر الكبير[٢٦]، فقد قاد الجموع المسلحة وأوصلها إلى النصر المؤزر حتى وفاته عام ١٢٢٨هـ.

بشرى:

وللسيد أبو الحسن ابن الشاه كوثر النجفي قصيد فائية جميلة يصور فيها فشل ابن سعود وجيشه في استهداف مدينة النجف جاء فيها[٢٧]:

بشرى لمن سكنوا كوفان والنجفا
وجاوروا المرتضى أعلى الورى شرفا
مولى مناقبه عن عدّها قصرت
كل البرايا ولم تعلم لها طرفا
منها (سعود) كساه الذل خالقه
ولم يزل بنكال دائم وجفا
أراد تهديم ما الباري يشيده
من قبة لسقام العالمين شفا
وجمّع الجيش من أهل الحجاز ومن
سكان نجد ومن للمؤمنين قفا
وقد أتى الناس قبل الفجر في صفر
بتاسع الشهر نحو السور قد زحفا
مقسما جيشه أقسام أربعة
كل له سائق يعييه إن وقفا
حتى أتى السور قوم منهم فرقوا
ففاجؤوا حتفهم في الحال قد صدفا
وصفّ بالباب قوما مكثرين لها
من المعاول في حزب قد ارتدفا
والناس في غفلة حتى إذا انتبهوا
أعطوا الثبات وباريهم بهم رؤفا
فهزّموا الجند نصرا من إلههم
والسوء عنهم بعون الله قد صرفا
وردّ سلطان نجد ملء أعينه
حزنا وقد باء بالخسران وانصرفا
فلا السلالم والأدراج نافعة

بــل ربنا قــد كفانا شــرها وكفى
وقد طوى الله وقت الحرب في عجل
لأنــه لم يكن مــا كان قــد وصفا
ولــم ينل غيــر قتل فــي جماعته
والــكل في عدد القتلى قد اختلفا
وكان مــذ بــانَ نجم الصبــح أوله
ومنتهاه طلــوع الفجر حين صفا
وثــم معجــزة أخــرى لســيدنا
في ذلك اليوم من بعض الذي سلفا
قد كان في حجرة للصّحن ما ادّخروا
وجمّعــوه مــن البارود قــد جرفا
أصابــه بعــض نــار ثــم برّدهــا
مبــرّدُ نــار إبراهيــم إذ قذفــا
فلا تخف بعد ما عاينت من عجب
ولا تكونــن ممّــن قلبــه رجفــا
وقرّ عينــا وطب نفســاً فإنك في
جوار حامي الحمى قد صرت مكتنفا

عاقبة السوء :

توالت الهجمــات الإجرامية على المدن المقدســة من قبل ثلاثة من أمراء الوهابية، وكانــت عاقبة هــؤلاء إلى ســوء، حيث قتل الأول وهــو عبــد العزيز على يــد أحد أبناء مدينــة كربلاء في عقــر داره وبين أبنائه في الدرعية ، ومات ابنه ســعود بمرض عضال أبقــاه ذليلا طريــح الفــراش لا يقربه أحد خوفا من العدوى، كمــا أعدم ولده عبد الله بعد أن أســره الجيش العثمانــي وبعثه مكبلًا بالسلاسل إلى الأستانة، فقد طلب السلطان العثمانــي (محمــود الثاني) مــن والي مصر محمد علي باشا بتجهيز حملة عسكرية كبيرة للهجــوم على الحجــاز واســتئصال الخطر الوهابي من جذوره، وقد تمكن بالفعل ولده إبراهيم باشا بعد حروب طاحنة من احتلال الدرعيــة عــام (١٨١٨م)، وأســر أميرهــم الوهابي (عبد الله بن سعود)[٢٨].

ومازال أتباع أهــل البيت يتذكرون بألم تلك الغارات الوهابيــة ومحاولات الأعراب الفاشــلة لهدم مراقد أئمة أهــل البيت عليهم السلام والنيل مــن محبيهم في كل عــام، خصوصًا بعد أن أضيفت جريمة أخرى لسجل الجرائم البشعة التي قام بها أتباع ذلك الفكر الضال، لما أقدم زمرة من أتباعهم بتفجير قبة مرقد الإمامين العســكريين في سامراء في الثالث والعشرين من شــهر محرم ١٤٢٧هـ وأتبعها تفجير آخــر لمنارتي المرقد الشــريف في الســابع والعشرين من شــهر جمادى الأولى ســنة ١٤٢٨هـ، هــذا فضلًا عــن جريمتهم الســابقة في تهديم قبور الأئمة والصالحين في أرض البقيع.

الهوامش:

(١) الدرعية، محمد فهد العيسى، ٩٤.
(٢) الشيخ محمد حسين كاشــف الغطاء، العبقات العنبرية، ١١٢.
(٣) د. حسن الحكيم، المفصل، ٣٩٨/١.
(٤) تاريــخ النجف الأشــرف، محمد حســين حرز الدين، ٣٨٢/٢.
(٥) ماضــي النجــف وحاضرهــا، الشــيخ جعفــر محبوبة، ١/ ٣٢٦.
(٦) المفصل، د. حسن الحكيم، ٤٠٠/١.
(٧) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين، ٣٨٤/٢.
(٨) ماضــي النجــف وحاضرهــا، الشــيخ جعفــر محبوبة، ٣٢٦/١.
(٩) أعتقــد أن أســم (عثمان) هو أســم حركي تنكر به هذا البطل لكي تنطلي الخدعة على أهالي الدرعية، حتى ينال مبتغاه.
(١٠) العثمانيون وآل ســعود، د. زكريا قورشــون، ٦٣، الدرعية، محمد بن فهد العيسى، ٧٤.
(١١) هو الشــيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيــى بن مطر بن ســيف المالكي الجناجي. اشــتهر بـ(كاشــف الغطــاء)، بعــد أن ألــف كتابه (كشــف الغطــاء عن مبهمات الشــريعة

الغراء)، كان له مكانة كبيرة في وسط الحوزة العلمية وقد أطراه العلماء من المعاصرين له والمتأخرين عنه بأحاديث جمة لا يمكن حصرها، وأثنى عليه عدد كبير من الفقهاء والعلماء، وكانوا يسعون من خلال هذا الثناء إلى إيضاح قوّته الفقهية، ومقدرته في التحقيق والتدقيق، مشيرين في الوقت نفسه إلى سائر أبعاد شخصيته وجوانب حياته المتعددة. ينظر ،منهج الرشاد لمن أراد السداد ، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ٩.

(١٢) العبقات العنبرية، كاشف الغطاء،١١٤ ، كما ذكر حرز الدين في حوادث ١٢١٧هـ نقل خزائن المرقد العلوي بعد أن أرسل الوزير والي بغداد سليمان باشا أمناء من طرفه إلى مشهد أمير المؤمنين، واحضر الخزينة التي فيها ثمانية وعشرين حمل بغالي من ذهب وفضة وقناديل وتجملات ووضعها في خزينة بلدة الكاظم. ينظر تاريخ النجف، ٣٨٥/٢.

(١٣) العبقات العنبرية، كاشف الغطاء، ١١٤.

(١٤) المفصل، د.حسن الحكيم، ٤٠٢/١.

(١٥) العبقات العنبرية، كاشف الغطاء، ١١٤ـ١١٥تاريخ النجف، ٣٨٩/٢، المفصل، ٤٠٢/١.

(١٦) المفصل، ٤٠٢/١، تاريخ النجف، ٣٩٣/٢.

(١٧) العبقات العنبرية، كاشف الغطاء، ١١٥، تاريخ النجف ، ٣٨٧/٢، المفصل، ٤٠٨/١، ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ٣٢٧/١.

(١٨) المفصل، ٤٠٨/١.

(١٩) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين ، ٣٨٩/٢، المفصل، د.حسن الحكيم، ٤٠٨/١.

(٢٠) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين ، ٣٨٩/٢

(٢١) المفصل، د. حسن الحكيم، ٤١٨/١.

(٢٢) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين ، ٩٦٩/٢، المفصل، د. حسن الحكيم، ٤١٢/١، ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ٣٢٧/١.

(٢٣) ماضي النجف وحاضرها، محبوبة، ٣٢٨/١.

(٢٤) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين، ٣٩٧/٢.

(٢٥) تاريخ النجف، محمد حسين حرز الدين ، ٣٩٩/٢.

(٢٦) أصدر الشيخ جعفر الكبير (قده) سنة ١٢٢٧هـ كتاب في الجهاد اسماه (غاية المراد في أحكام الجهاد) والمسمى أيضا بـ(الحسام البتار في قتال الكفار).

(٢٧) انشد هذه القصيدة بعد فشل الحملة الوهابية على مدينة النجف في التاسع من صفر عام ١٢٢١هـ ـ ١٨٠٦م .

(٢٨) المفصل، د. حسن الحكيم، ٤١١/١.

التطرف .. أسبابه وعلاجه

فلاح العلي •
مدير مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

ينابيع

التطـرف لغةً: هو الغلو والإفراط، وهو عكس الاعتدال ،

والاعتدال: الاستقامة والاستواء وهو التوسط (بين حالين)

ومنه: اعتدل الجـو إذا صار بين الحار والبارد[١].

ولـم تختلـف القواميـس الأجنبية في تعريف التطـرف ، فقد ورد في (قاموس أكسفورد وتحت عنوان (Extremity) أي التطرف جاءت العديد من المعاني، منها: (هو النهاية القصوى في أي خط أو سلسلة متدرجة).

ومنها: (هو شدة المغالاة، أو العنف في الانفعال والسلوك).

ومنهـا: (هـو الغلـو فـي الاعتقـاد والسلوك) (Obers chall ٧٣ ١٩).

وتكاد القواميس الأجنبية تتفق على أن التطـرف هو تجاوز حـد الاعتدال والغلو في الاعتقاد والسلوك)[٢].

أمـا اصطلاحـاً فقـد عـرَّف علمـاء الاجتماع التطرف بأنه (التعصب في الرأي وتجاوز حد الاعتدال فيه، وما يترتب على هذا التعصب من ألوان السلوك الإنساني.. العنيـف أحيانـاً، الـلا إنسـاني أحيانـاً أخرى)[٣].

وفـي تعريف آخر: (أنه أسـلوب مغلق للتفكير يتسـم بعدم القـدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشـخص أو الجماعة)[٤].

وفي التعريفات القانونية: (إن التطرف هو المعاملة القاسية والعنيفة)[٥].

أما في التعريفات السياسية فقد أورد قاموس السياسة المعاصرة: (التطرف هو الموقف المتوتر إلى أقصى حد)[٦].

وتـكاد تجمـع جميـع العلـوم علـى تعريف التطرف بأنه ابتعاد عن الوسـطية والإعتدال في الاعتقاد والسلوك.

أمـا فـي الفكر فهو شـعور المرء أو الجماعة بامتلاكهم كل الحقيقة، مما يولد لديهم قناعة كاملة بصحة ما عندهم.

إن الاختلاف في الرؤى أمر طبيعي، وقد خلق الله الناس مختلفين في قناعاتهم ووجهات نظرهم، لأن العقل الإنساني مبدع بتكوينه، والإنسان يتصرف ويرى الأمور بمنظار هذا العقل، أو قد يغير الإنسان رأيه بنمو عقله، وهذه ظاهرة صحية ومطلوبة، فينتج عن ذلك الرأي والرأي الآخر، وليس كالحيوان الذي يتصرف وفق غريزته فقط.

إلى هنا لا ضير ولا بأس في هذا الاختلاف، أما البأس والخطر فإذا تعدى تلك الحدود وصارت اعتقاداتهم وقناعاتهم تدفعهم إلى تسفيه آراء المخالفين لهم والسخرية منها، بل إلى محاولة تصحيح قناعات الآخرين وإقناعهم بوجهات نظرهم، فإن اقتنعوا بها وساروا وفقها، فبها ونعمت، وإن لم يقتنعوا بها وكانت لهم وجهات نظر مغايرة مارسوا ضدهم العنف وبطريقة انفعالية خالية من التوازن والاعتدال، لأنهم اعتبروهم أعداء وتصرفوا معهم على هذا الأساس.

ولأن هذا التطرف نابع من قناعات عقلية ، فقد اعتبر من أخطر أنواع التطرف، لأنه حالة مرضية يمكن أن تسري عدواها وتنتقل داخل المجتمعات. وتشتد خطورتها بدرجة ازديادها، فكلما ازداد التطرف شدة ازدادت خطورته.

أسبابه:

لو توغلت في معرفة أسباب التطرف، ستجد أن السبب الرئيس هو القناعات والتأثر بأفكار أو بشخصيات معينة باعتبارها القاسم المشترك لمعرفة الحقيقة، وأخذ كل شيء عنها واعتباره من المسلمات، فكراً وعقيدة وسلوكًا ويشمل الحب والكره والعداء.

أو بتعبير آخر الحب والهوى لتلك الأفكار والشخصيات هو الدافع والمحرك الذي يجعلهم يحبون ويبغضون ويحاربون، دون اعتبار لمقاييس العقل والمنطق، بل

العمى والصمم الكامل التام لنداء العقل والمنطق.

وقد تحدث القرآن الكريم عن مثل هؤلاء وفي مختلف الأمم والعصور وفي موارد كثيرة، منها:

- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ لقمان/٢١.

- ﴿.. **وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى..**﴾ فصلت/٤٤.

- ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ محمد/١٦.

إن جوهر الخطأ الذي مني به المتطرفون هو أخذهم الحق من الجهات أو الأشخاص الذين يهوون ويحبون، واعتبارهم كل ما يصدر عنهم حقًا وعدلًا وكل ما يصدر عن سواهم باطلًا وظلمًا، فقد اعتمدوا في معرفة مقياس الحق من تلك الجهات، وليس العكس، في حين يضع لنا أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمنة والأمكنة، في كيفية معرفة الحق فيقول عليه السلام:

(لا يعرف الحق بالرجال، وإنما تعرف الرجال بالحق.. اعرف الحق تعرف من أتاه، واعرف الباطل تعرف من أتاه)[٧].

ومثله قوله عليه السلام: (الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله)[٨].

الإسلام دين الاعتدال والوسطية:

الإسلام دين وسط يرفض الإفراط، والتفريط، والخروج عن الاعتدال، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ..**﴾ الأعراف/٢٩.

﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً..**﴾ البقرة /١٤٣.

لقد وضع الإسلام قاعدة (لا إفراط ولا تفريط) التي تكاد تكون شاملة لكل مناحي الحياة، حتى الأمور العبادية منها، فلقد جاءت الأحاديث الشريفة مسمية (الإفراط والتطرف في العبادة) باسم (التعمق)، منها قوله صلى الله عليه وآله: (إياكم والتعمق في الدين، فإن الله تعالى قد جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون)[٩].

وقال صلى الله عليه وآله أيضًا: (يا عليّ، إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربّك)[١٠].

فـ(هذا التطرف بمعنى الغلو في الدين، أي التطرف في العبادة أو في السلوك الدعوي بمعنى تحميل النفس ما لا تطيق أو الزيادة في أي أمر من الأمور على ما طلبه الشارع الحكيم فهو في معظمه سلوك فردي، وغير قابل للتوسع والانتشار، وإن كان البعض يروج لمثل ذلك ويسعى لفرضه على الآخرين)[١١].

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال: هل هناك بأس من التعمق في الدين؟

ويجيب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على هذا السؤال بقوله: (إنَّ أقواماً يَتَعَمَّقونَ فِي الدّينِ يَمرقونَ مِنهُ كَما يَمرقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)[١٢].

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يعنف أحد أصحابه حين كلف نفسه مالا يأمر به الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يظن أنه متعمق في العبادة!

فقد شكى العلاء بن زياد الحارثي أخاه

عاصم بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام (فقال عليه السلام: وماله؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

قال عليه السلام: عليّ به.

فلما جاءه قال عليه السلام: يا عَدِيَّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث (ويعني الشيطان)! أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحل لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!

قال عليه السلام: ويحك، إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره)[١٣].

إذن هو استحواذ من الشيطان وخروج من الدين، [فالتعمّق هو التطرّف والإفراط، وإذا ما جُعل ميزاناً لأفعال الآخرين فلا يُنتج إلاّ الحكم الجائر، فيرى الحقّ دوماً في جانبه، وليس للآخرين حظٌّ منه، وهذا النوع من الرؤى هو الذي يسبّب الفرقة، ويستتبع الزيغ ويوجِد الشقاق، وبالتالي يصبح دعامة للكفر، وحسبنا في المقام كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه الحقيقة، وأنّ التعمّق أحد أُسس الكفر، إذ يقول: (والكفر على أربع دعائم: على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشقاق، فمن تعمّق لم يَنُب إلى الحقّ)[١٤]. ومثل هؤلاء المتعمّقين بتماديهم في ظنونهم وأوهامهم، وإغراقهم في أفكارهم، ومن ثمّ أساليبهم المفرطة، لا يجدون مجالاً للإنابة إلى الحقّ، ومن هنا لا ينقادون للإسلام، وهل الإسلام إلاّ التسليم للحقّ، والإقرار به، والخضوع له بعد فهمه؟][١٥].

معالجة التطرف:

في سبيل الحد من التطرف لابد من استخدام أساليب الإقناع وعدم اليأس منها، أما إذا استخدمنا العنف في محاربته فسنقع في تطرف آخر يساويه بالمقدار ويعاكسه بالاتجاه.

فإذا لم تنفع أساليب الإقناع، فبتركهم، قال تعالى:

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ/٢٦. ما لم يعتدوا فيستخدمون القتل والإرهاب وسيلة لهم، وكما تعامل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج الذين كفّروه وكفروا أصحابه، ويرون كل من لا يوافقهم على عقيدتهم مشركاً أو كافراً، فلم يقاتلهم على آرائهم ومعتقداتهم، وإنما أوصى أصحابه قبل نشوب القتال بينهم بقوله: (كفّوا عنهم حتّى يبدأوكم)[١٦].

وقال في وصيته عليه السلام: (لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)[١٧].

فالخوارج مرقوا من الدين بسبب تطرفهم رغم أنهم كانوا يطلبون الحق ولكنهم أخطأوا في تحصيله، فإن نشر الدين والدعوة إليه يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالعنف والإرهاب، وإنما قاتلهم الإمام عليه السلام لأنهم قتلوا المؤمنين من الرجال والنساء والأطفال واستباحوا دماءهم وأموالهم ولم ينصاعوا إلى الحق، بل أصروا على جرائمهم وشهروا سيوفهم بوجه الإمام عليه السلام وقاتلوه.

[عن الحسن قال: لما قتل الإمام

علي عليه السلام الحرورية (الخوارج) قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين! أكفارٌ هُم؟ قال عليه السلام: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا، قيل: فما هم؟

قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا.. وقاتلونا فقاتلناهم](١٨).

فـ[لو اقتصر التطرف على المجال الفكري أو الاعتقادي لكان خطره الاجتماعي أقل، ولكن المشكلة أن معظم فرق وجماعات التطرف لا تقف عند حدود الفكرة بل لا تلبث أن تتجسد في ممارسات عملية تظهر على أرض الواقع تكفيراً وإخراجاً من الملة، ويعقب ذلك هدر للدماء، وفتاوى بقتل المخالفين في الفهم أو التأويل والتفسير بتهمة الكفر](١٩). صادرة من أناس لبسوا عباءة الدين ونصبوا أنفسهم في مقام الإفتاء والحكم، لأنهم وجدوا شريحة كبيرة من الجهلة من يتعبدون بفتاواهم الضالة المضلة التي لم ينزل الله بها من سلطان، فكفّروا الملايين من المسلمين، ليتسببوا في سفك دماء الأبرياء وانتهاك أعراضهم وسلب أموالهم.. وإلى الله المشتكى وعليه المعول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الهوامش:

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله، ص٣١٠، معجم لغة الفقهاء، ص٣٩٢.

(٢) موقع رحماء، قراءة في واقع ظاهرة التطرف الشيخ مصطفى ملص.

(٣) سيد عويس، بحث الحركات الدينية المتطرفة المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية ١٩٨٢.

(٤) سمير أحمد نعيم، محددات التطرف الديني في مصر، مجلة المستقبل العربي عدد ١٣١/١٩٩٠.

(٥) حارث سليمان الفاروقي، المعجم القانوني، دار النشر الليبية، طرابلس ١٩٦٢.

(٦) قاموس السياسة المعاصرة، مكتبة ليبيا، ١٩٧٥ م وهبة بالإنجليزية.

(٧) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية ج٢ ص٢٣٥.

(٨) روضة الواعظين، للفتال النيسابوري، ص٣١.

(٩) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي ج٢٥ ص٣٠٠.

(١٠) الكافي، الكليني ج٢ ص٨٧.

(١١) موقع رحماء، قراءة في واقع ظاهرة التطرف، الشيخ مصطفى ملص.

(١٢) موسوعة العقائد الإسلاميّة، محمّد الرّيشهري، ج٣ ص٣٣٣.

(١٣) نهج البلاغة، ج٢ ص١٨٧.

(١٤) نهج البلاغة: الحكمة، ٣١.

(١٥) موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمّد الرّيشهري، ص٢٦٣.

(١٦) أنساب الأشراف، ج٢ ص ٣٧١.

(١٧) نهج البلاغة، ج١ ص١٠٨.

(١٨) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١١ ص٣٠٠.

(١٩) موقع رحماء، قراءة في واقع ظاهرة التطرف، الشيخ مصطفى ملص.

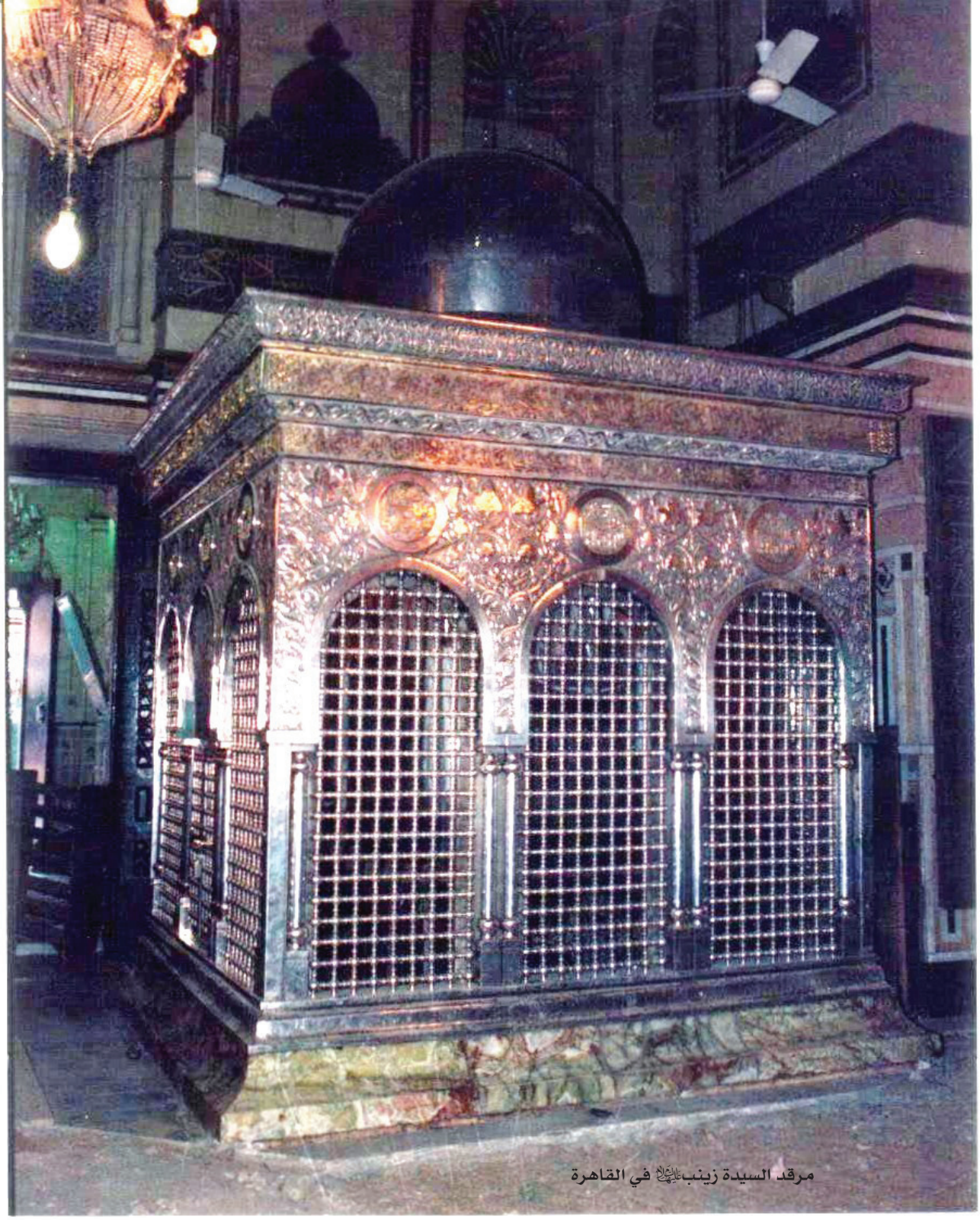

مرقد السيدة زينب عليها السلام في القاهرة

دور المرأة العراقية في .. التربية الاجتماعية

م.م حسنين جابر الحلو •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

المرأة هي التي لها الدور الكبير في تحديد مسار الأسرة يمكن أن تجعله في العلياء وممكن أن تجعله في الهاوية لا يمكن لأحد أن يتصور مدى تأثير المرأة على الواقع وذلك لأنها تمثل حالة موجودة في جسد المجتمع لا يمكن أن ننكرها أو ننكر وجودها الذي هو نعمة من نعم الله علينا، وذلك لأسباب كثيرة كونها هي الأم التي عملت جاهدة وقامت من أجل أن تقوم الحياة في داخل أسرتها، وهي الأخت التي تمثل ركن الأسرة الجميل والموصل إلى التكاتف والاندماج، وهي الزوجة التي يكتمل بها البنيان، كيف لنا أن ننكر دورًا كبيرًا داخل مجتمعنا؟ وكيف نصفه بلا وجود وهو كل الوجود، فلولا المرأة الأم لما كبر طفل ولا استقرت أسرة، وهاهي الشعارات اليوم تتكلم عنها وتتفوه بكل الكلمات التي تحاول أن تسقط دورها في هذا المجتمع العجيب المملوء بالمتناقضات.

نعم إن المرأة العراقية لها دور بارز في عملية السير الكبير لأطر اندماج المجتمع، كونها تمثل حلقة وصل للأجيال ككل، ولعل خصوصية كانت لهذه المرأة التي تعيش في أرض معطاء وصاحبة حضارة واعية لكل ما يحاك لها من مؤامرات تريد السيطرة على كل مقدراتها الاجتماعية، فالمرأة العراقية هي التي عاشت في أحلك الظروف واستطاعت أن تقول للعالم أجمع (إننا النساء القادرات على التغيير)، ولكن وفق ضوابط هي العفة التي تتحلى بها وهذا الخلق الذي يجب أن نلتزم به لأنها المرأة التي عاشت ظروف وملابسات التاريخ العراقي العريق والوثيق، عاشت ملاحم سطرها التاريخ العراقي، وعاشت معارك خاضت في سوحها، وعاشت أزمات وأوجدت حلولًا تاركة وراءها جيلًا يحمل الصعاب ويتسلق السماء.

المرأة العراقية وصراع الزمن:

ان المرأة العراقية عاشت ظروف صعبة ومعقدة أجبرت الكثير من النسوة على ترك الدراسة والتوجه لتربية الأطفال وتعزيز موقف الأسرة التي أراد لها الغير أن تندثر لأنها تحمل قيم العرب والإسلام الخالدة، ورغم ذلك نجد ان الواقع يحتم عليها أن تكون ضمن إطار المجموعة في تسيير الأمور والوضع الذي يحكمه الإطار الأخلاقي والاجتماعي[1].

كان العالم القديم محكومًا بقوة الرجال، وكان للرجل التسلط التام، المرأة من خلال ما اتصف به من القوة والتعدي الجسماني، كلنا نعلم أن المرأة نصف المجتمع وأي خلل في هذا النصف يؤدي إلى خلل هذا المجتمع أو ذاك، وعليه وإن يتمتعن بحقوق وامتيازات وفرص، يوسعن معلوماتهن في العلوم والآداب والتاريخ والمشاركة في العطاء الإنساني لأجل إكمال الإنسانية، وذلك من خلال التعليم والتعلم إذ إن تعليم البنت وتربيتها وتثقيفها مهم جدا لأنها سرعان ما تصبح أما وتصير المعلمة الأولى لطفلها والجيل القادم، فإذا كان التعليم الأولي سليمًا تنبت الأغصان اليانعة سليمة ومستقيمة وعكسها تنمو معوجة، فما أصح من التربية الصحيحة لكي تصبح عضوة فعالة في المجتمع الإنساني في الكبر، وأن تكون إنسانة فعالة في مجتمعها وضمن إطار المجتمع كما أن الرجل إنسان فالمرأة إنسان، وهي إنسان يرث نفس الخصائص التي يرثها الرجل[2] اختلافهما في الخصائص البدنية والعاطفية لا يعني بالضرورة اختلافهما في الحقوق والواجبات الإنسانية، فالجنسان في الإنسانية متساويان، يكفي أن المرأة نصف المجتمع، ومعنى هذا ان الإسلام كفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس، ولم يقرر التفاضل إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد أو الدربة، مما لا يؤثر في حقيقة الوضع الإنساني للجنسين[3] فنحن عندما نتحدث عن حقوق وواجبات المرأة فإننا نتحدث عن حقوق وواجبات نصف المجتمع، وإن

لم يؤمن أحدنا بحقوق وواجبات للمرأة أو لم ير لها أثـرًا فمن الذي يعمل ومن الذي يملك حقوقًـا وواجبـات؟ إن للمرأة حق تقرير المصير في الحياة[٤] إذ تارة نتحدث عن أقليات أو إثنيات، وتارة يختلف الأمر فنتحدث عن مجتمع، ونفهم المجتمع على أنه وحدة متناسـقة تتحرك حركة موحدة، فالمرأة في مجتمع ما لا تمثل تياراً محدداً، ولا تمثل فكرًا مخصصاً، وعندما يتحدث أحدهم عن وجود مسـتقل للمرأة أتساءل وهل للرجل وجود مستقل.

المجتمعـات، لكن والذي يجعل المرأة كياناً مسـتقلًا وكأنه إنسان من نوع آخر، نعم تختلـف أدوار المرأة عـن الرجل في الكثير من الأمور، لكن الفصل الإنسـاني غيـر وارد، ولتعزيز مشـاركة المرأة في العمليـة الإنسـانية وإن منحـت المـرأة الفرصـة فـي أداء دورهـا الاجتماعـي بالصورة الصحيحة فإنها ستسـاهم وبقدر كبير وبشـكل إيجابي فـي صناعة وصياغة الإنسـان والمجتمـع صياغـة تبتعـد كل البعد عن التشـوهات الفكريـة والطائفية والعرقية، اسـتقلالية المرأة واستحقاقها الذاتي على أسـاس الكفـاءات والقدرات والمؤهلات وإعدادها وتأهيلها يبعدها من الارتماء العشوائي، ومن جانب آخر تواجه المرأة الكثير من المشـاكل والصعاب في طريقتها المعنوية، فقد خلقت لها مختلف الآراء والظـروف الاجتماعيـة والثقافيـة الكثير مـن القيـود والمحدوديـات التي ينبثق منهـا السـؤال التالي: هـل بإمكان المـرأة الانطـلاق كالرجـل فـي طريـق الإنسـانية والمعرفة بدون ان يعمل جنسها الأنثـوي على حرمانها من بعض الدرجات والاستحقاقات[٥].

إن المشاركة الفعالة للمرأة العراقية في المجتمع مازالت محـدودة، وهى لم تكن جديدة على العمل الاجتماعي والسياسي. فلا أحد متفضـل على المرأة العراقية في إعطائها دورًا حاليًا، انها اليوم تسـعى ان تؤكد مشـاركتها الفعالة فـي بناء المجتمع العراقي، وتسعى للنهوض بالخطاب، وان دورها في المجتمع مازال لا يمثل الطموح إذ إنها تشارك بالحوار الذي يؤثر في حياة الناس وعمليات التنمية.

المـرأة العراقية وأساسـيات التربية في المجتمع:

إن المشكلات التي واجهت المرأة في حياتها كثيـرة وخطيرة لأنها أرادت تقويم الحياة بعد اعوجاج أصابها، وذلك بسـبب مفاهيم كثيـرة، لأن الذي مر على العراق ليـس بالأمر الهيـن والطبيعي، بل هو من الأمـور الصارمة التي يجب أن نقف عليها ونحللها.

ومن هـذه الأمور هي مهمـة التربية، التي تعتبر من المواضع المهمة التي يجب أن تضع يدها عليها، لأن مسؤوليتها تعميق أواصر الـود والمحبة والوئام مع المجتمع الذي تعيـش فيـه[٦]، إنّ لعمليّـة الأعداد والتربيـة الأثـر الفعّال في بنـاء وتكوين الشخصية وممارسـة مهامها في المجتمع وتوجيه الطّاقة واللّياقات الإنسانية الوجهة البنّاءة، كونها هي أم الإنسـان[٧] وفي حال إهمـال الفرد وحرمانه مـن عملية التربية والتوجيـه والأعداد المـدروس والمنظّم ينشـأ نشـوءاً عفويّاً تتحكّم بـه الظروف والمحيط والحوادث التي كثيراً ما تتسبّب

بقتل شخصيّته وهدر طاقاته وإعاقة نموّه الاجتماعي، فيتحوّل إلى شخصية ضعيفة مهزوزة لا يستطيع أن يتعامل مع المجتمع والحوادث والمشاكل والفرص تعاملاً ناجحاً، إذن عليها أن تنهض أمام الجهل والأسر والعبودية والاستثمار وتستخدم قوة العقل والفكر وتميز الصديق من العدو والخادم من غيره[٨].

إذ إن من المسائل الأساسية التي وضعت للنقاش والحوار الفكري والحضاري في القرن العشرين مسألة التربية، ومنها المشاركة في الحياة الاجتماعية، والعمل المجتمعي لذلك يمكن استخلاص نتيجة رئيسية من مجمل نظريته الاجتماعية، تتمثل في أن تحرر المرأة ينبع فعليا من تحرر المجتمع[٩] إنّ أولئك المنادين بالتحرر ونعت التربية بأنّها أفكار ومعتقدات تحرم المرأة من المشاركة في الحياة الحرة الكريمة، وتمنع عليها العمل. ودعموا مزاعمهم تلك بالأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يشاهدونها في البلدان، فصورة المرأة في المجتمعات المتحررة تلك، وطريقة التعامل معها، وقيمتها في المجتمع في مساحته، هي وليدة تصوّرات ومفاهيم نشأت عن أعراف وتقاليد وممارسات اجتماعية لا تمثّل الإسلام، إن إعطاء الإسلام المرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم[١٠] لاسيّما الموقف من المرأة في الحقول العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية وعلاقتها بالرّجل فالحرية المعروفة هي حرية التعليم التي حرمت منها أثناء الفترة المظلمة[١١].

إنّ التربية في المجتمع تعني رعاية شؤون الفرد ضمن سلوكه في مجالاتها الحيوية كافّة، وقيادة مسيرتها في طريق الصلاح، لذا فهي مسؤولية اجتماعية عامّة، كلّفت بها النساء جميعًا.

إن مفاهيم التربية التي يجب أن تحدد هذا الإطار هي وحدة المجتمع، وتقتحم كل ساحات العمل الهادف من أجل استئناف الحياة الحرة السعيدة في ظل رسالة الإسلام العظيم التي تقوم على أساس قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[١٣].

الأساس الآخر هو الارتباط في جو الرحمة الإلهية والمودة الصارمة كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٤]. ولعل عناك أساس آخر وهو الحقوق التي تكون لهن والواجبات التي تكون عليهن كقوله تعالى: ﴿.. **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..**﴾[١٥].

وهو يعني أنّ لكل من الرّجل والمرأة حقوقاً على الآخر، فلكلّ منهما حقّ وواجب، وعليه أن يؤدّي واجبه بأداء حقّ الآخر بالمعروف وحُسن المعاشرة. وبذا وازنَ الإسلام وضبط أسس العلاقة بهذا المبدأ التشريعي والأخلاقي الفريد. فثبّت أرقى مبدأ لحقّ المرأة.

أمّا العلاقة الاجتماعية بين الرّجل والمرأة فهي علاقة الولاء، كما ثبّتها القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ..**﴾، ويكوّن القرآن هذه الصورة الرائعة لعلاقة الرّجل بالمرأة

في المجتمع، فهي علاقة ولاء، يتمثّل فيها أرقى درجات الحـبّ والاحترام، فالوليّ في اللّغة هـو النصير والمحبّ والصّديق، وبـذا نفهم قيمـة المـرأة الصالحة، فهي والرّجل سـواء في هذا التعريف والتقويم القرآني.

إنّ من الظواهر الاجتماعية الملحوظة فـي عالمنـا الـذي خضـع للاسـتعمار والاضطهاد وسيطرة الحكّام الطّغاة ظاهرة الاضطهـاد والكبـت والقهر والتسـلّط، فانعكسـت آثارها على التعامل الاجتماعي والتربيـة في المدرسـة والبيت وعلاقات العمل والتنظيم الاجتماعي.

فغياب الحريّة، والاسـتهانة بشخصيّة الآخريـن واضطهادهـم، وعـدم احترام إرادتهم، هي ظاهرة مألوفة في مجتمعاتنا الآن، ولا تثيـر الرّفـض والاسـتنكار إلاّ بحدود لا تتناسب وتلك الظاهرة.

وتحـت وطأة تلـك الظاهـرة، كان ما أصـاب المـرأة أشـدّ فداحة ممّـا يلاقيه الرّجـل، فقد ورثـت مجتمعاتنا مخلّفات مـن عـادات وتقاليـد ومفاهيـم متخلّفة تعاملت من خلالها مع المرأة بالاسـتهانة بشخصيّتها وقدراتها وكفاءاتها الإنسانية، بل وتعامـل معها الرّجل فـي بيئات كثيرة علـى أنّها مخلوق دون مسـتوى إنسـانيّة الرّجل، فنشـأت مفاهيم عزل المرأة عن الحيـاة الاجتماعيـة المتطـوّرة في حقب التخلّف وغياب الوعي والفهم الإسـلامي في أوسـاط المسـلمين، وكنتيجة طبيعية للوضـع الفكري والسياسـي والاجتماعي العـام. غير أنّ مـا يثير الاسـتغراب هو نسـبة تلك المفاهيم، وما تعانيه المرأة من حرمـان، وعزل اجتماعي، إلى الإسـلام من قِبَل بعض الكتّاب ودعاة الفكر المادي.

وتحت وطأة ظـروف الجهل والتخلّف خضع المسـلمون للغزو الفكـري المادي بمدرسـتيه الجاهليّتين الشرقية والغربية، فـكان في طليعـة ما حمل هـذا الغزو هو محاربة الفكر الإسـلامي، والتركيز على أوضاع المرأة في العالم الإسـلامي.وعليه يجب التركيز على المرأة العراقية في بحثنا هذا هي هذه المرأة في حياتنا اليوم.. تلك التي خلّدها الشـعراء قديمًا. وعاشوا على ذكراها والتي يقول عنها الباحثون:

إنها تلـك المرأة التي تعيش حياتها ولا تتبرم بها، إنهـا تلك التي لا تقف متفرجة على ما يدور حولها بل تشـعر بالناس من حولهـا وتعيش معهم آلامهـم وأفراحهم.. فهي منهم، إنها المرأة التي لا تكتفي بحل مشـاكلها ومشـاكل أسـرتها فحسب، بل وتشـترك في حل كل مشكلة لكل قريب أو بعيد عنها، كلما طلب إليها ذلك.. إنها تلك التي ترفـض أن تلقي بما يفيض من غذاء في وعاء القاذورات، لأنها تعرف أن هناك أفواهًـا جائعـة تبحث عن لقمـة تملأ بها جوفها.. فهي تحسـن إلى الفقير وتساعد المحتـاج، وتفعل ذلـك دون أن تدع أحدًا يحس بما قدمته يداها.

إنهـا المـرأة التـي لا تضيـع وسـط الزحام.. ولكن ليـس معنى هذا أن تحاول أن تجعـل من نفسـها نجمة فـي المجتمع فتتسـابق للوصـول إلى الأضـواء وتقف تحتها ليـرى الناس جمالهـا وأناقة ثيابها ،ثم تجلس لتتفاخر بمحاسنها وسجاياها. ولكنها تلك التي تتحدث في هدوء وبساطة وثقـة بالنفس فيحس المرء وهو يسـتمع إليهـا بعمق الفكـرة وسـهولة التعبير في غـلاف جميل تلفه ابتسـامة مشـرقة تنم عما تحويه هذه النفس من صفاء وشـعور

بالأمن والرضا.

الهوامش:

١. الديب، محمد عثمان، قالت له ما رأي الإسلام في الحب والجمال، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م، ص١٠٤.
٢. الخولي، البهي، المرأة بين البيت والمجتمع، دار الفتح، بيروت، لبنان، ب.ط.ص١٠.
٣. خيرت، احمد، مركز المرأة في الإسلام، دار المعارف بمصر،طبعة ١٩٧٥م، ص٢١.
٤. شمس الدين، محمد جعفر، الإسلام والمرأة وحق تقرير المصير، دار الأعراف، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م، ص٣٠.
٥. الراسخي، د. فروزان، المرأة في العرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٦.
٦. العذاري، سعيد كاظم، آداب الأسرة في الإسلام، قم، إيران، الطبعة الثانية ن ١٤٢٦هـ، ص١١٤.
٧. الحداد، الطاهر، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، الدار التونسية للنشر، النشرة الثانية، ١٩٧٢م، ص١٣.
٨. المحمدي، هادي، رسائل إلى فتاة، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م، ص٤٦.
٩. مجموعة من الباحثين، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص٧٣.
١٠. المغربي، عبد القادر، محمد والمرأة، ص١٥.
١١. الغفار، عبد الرسول عبد الحسن، المرأة المعاصرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م، ص١١٩.
١٢. مؤسسة البلاغ، الأسرة المسلمة، ب.ط. ص٦.
١٣. سورة النساء/١.
١٤. سورة الروم/٢١.
١٥. سورة البقرة/٢٢٨.

قبل الكون .. ماذا كان؟!

السيد عبد الأمير المؤمن •
باحث في علم الفلك والتراث العلمي

ينابيع

قبل الكون، قبل الزمان والمكان، قبل كُل شيء ماذا كان؟ أين كانت الأشياء؟

سؤال مُثير يُمكن أن يُثيره أيُّ عقل، ويُمكن أن يُعد معقولاً ومشروعاً، ويُمكن أن يعُدَّ ساذجاً ولا معنى لهُ ، ولكنهُ في كُل الحالات إفراز من إفرازات العقل الكثيرة، وَجَد مكانهُ المناسب في ثورة المعلومات الجائحة التي أتَت على كُل شيء.

إذن هو في وقته المناسب ومن صميم ثورة المعلومات التي وَفَّرَت أو يُمكن أن توفر أجوبة هائلة لأسئلة هائلة أيضاً، إنهُ سؤال مفروض فرضاً، وخاصة في زمن الوعي والانفتاح على كُل شيء: فما دام هُناك كون ومجرّات ونجوم وطاقة وإشعاع وكائنات حيّة (وهي أمور لافتة للنظر) فلا بُد أن يتّجه النظر إلى ما قبل ذلك كُلّه، أن نسأل عما قبل الكون، وأن نسأل في الوقت نفسه عن النهاية وما بعد النهاية.

وبالفعل لم ينس عُلماء الفلك والكون المعاصرون هذا السؤال كما لم ينسه الفلاسفة والمفكرون من قبل، في العصور السابقة، إنهُ إفراز فكري وعلمي دائم مُستمر، وإن اختلفت الصيغ.

لقد تحدّث عُلماء الكون في العصر الحديث عن بداية علمية للكون ومكونات الكون، وهذا ما جرَّ إلى التفكير بما (قبل البداية)، وهو مُجرّد استنتاج، أستند أساساً إلى هذه (البداية النظرية) وما وفرته النظريات والحقائق العلمية من مُعطيات. ويقول العُلماء إنَّ البداية هي (انفجار كبير) أطلق عليه مُصطلح (الانفجار العظيم) (Big Bang) ومن خلاله بدأ الكون وتطوّر....

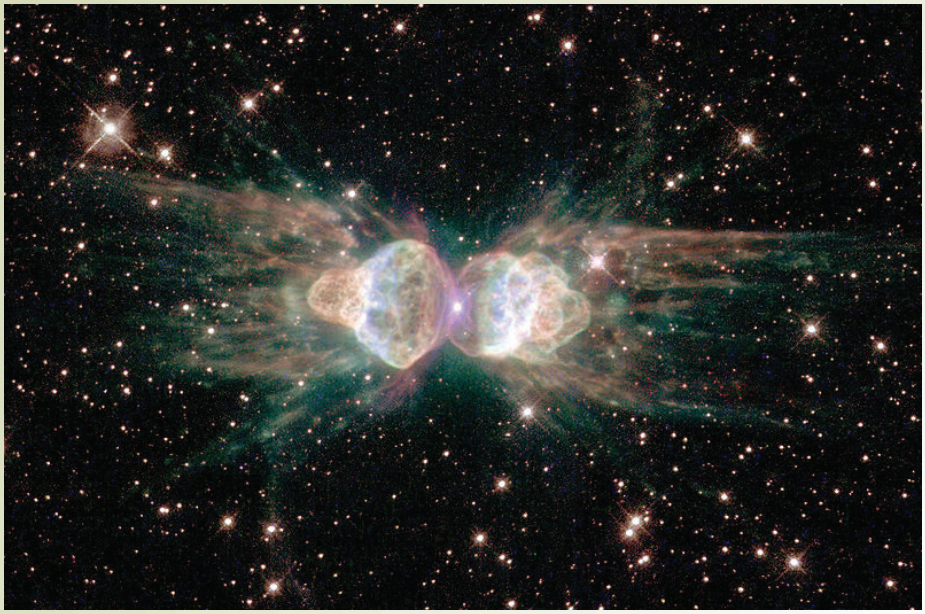

ولـم يقتنع عُلماء آخـرون بفكرة بداية الكـون ، فقالـوا بالكون الأزلـي الأبدي المسـتمر ، كان ومازال وسيكون إلى ما لا نهايـة ، والقائلون بهذه الفكرة هُم قلّة قليلة مـن عُلماء الكـون ، نعرف منهُـم: بوندي وغولد وهويل (وهم مُعاصرون) ، وتُعرفُ نظريتهـم بـ(نظريـة حالـة الاسـتقرار (Steady state theory)، وخُلاصتهـا أن الكـون أزلـي أبدي ، وأن نشـوء المادة الجديـدة مُسـتمر لإمكان الفضـاء الناتج عـن تمـدد الكـون (expansion of the universe).

وهذه النظرية تُناقِـض وتُعارِض العلم من جهـة ، وذلك لاسـتحالة تولّـد المادّة مـن العدم ، فقانـون حفظ المـادة يقول: إن المـادة لا تنشـأ من العـدم ولا تفنى . ومن جهة أُخرى تُناقـض وتُعارِض الدين ، لأن كُل الأديـان تفتـرض أن عملية الخلق (creation) تمـت في فتـرة وجيزة ومرّة واحدة.

يقول عُلماء الكون (ومعهُم عُلماء الدين أيضاً) إن للكون بداية ، وفي الوقت نفسـه لهُ نهاية ، وإذا كانـت لهُ بداية فلا بُد لهُ (ما قبل) ومـاذا يعني هذا (المـا قبل)؟ وهُنا حـار العُلماء فـي وصف هـذا (المـا قبل) المنتـزع من البداية ، ولم يجـدوا لهُ جواباً شافياً ، بل لَم يجدوا لهُ جواباً أصلاً . وقالوا إن الوقت مازال مُبكراً للجواب عن سؤال صعب كهذا.

لكـن إذا وُصف الكون بالوصف العلمي القائـل: إن الكون هـو كُل الزمان والمكان والمادة والطاقة ، فيعني أن ما قبلهُ هو اللاّ زمان واللاّ مكان واللاّ مادة واللاّ طاقة ولا كُل شيء.

وتبعاً لذلك فـلا نجوم ولا مجرّات ولا حياة ولا أي شيء ، سوى اللّه تعالى ، خالق

الكــون الذي أبدعهُ بعد أن لــم يكُن، خلقهُ بقُدرة فائقة لم نعرف تفاصيلها، عَبر عنها القــرآن الكريم بعبارة ﴿**كُــن فيكون**﴾ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَــيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ البقرة:١١٧.

وإذا عَرَف الإنســان الزمــان والمكان والمــادة والطاقة (وهي معرفــة محدودة) بما توافر لديه من وســائل مادية ونظريات علمية، فهل سيستطيع الاقتراب من (ما قبل الكون) وهو (افتــراض) أفرزهُ (افتراض) البداية العلمية للكون، المعروف بالانفجار العظيم (كما ذكرنا)؟

أظُن أن القضية أكبر من عقل الإنسان، فحتى الزمن ســيتمَلمَل من الإجابة عنها، وحينهــا لا مَفَّــر من اللّجوء إلــى الدين أو الغيب الديني.

كرامة زين العابدين عليه السلام

عن حماد بن حبيب الكوفي القطان قال: خرجنا سنة حجاجاً فرحلنا من زبالة (موضع بطريق مكة)، فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمة فتقطعت القافلة فتهت في تلك البراري فانتهيت إلى وادي قفر وجنني الليل، فآويت إلى شجرة فلما اختلط الظلام إذ أنا بشاب عليه أطمار بيض قلت: هذا من أولياء الله متى ما أحس بحركتي خشيت نفاره، فأخفيت نفسي فدنا إلى موضع فتهيأ للصلاة وقد نبع له ماء ثم وثب قائماً يقول: (**يا من حاز كل شيء ملكوتاً وقهر كل شيء جبروتاً صلّ على محمد وآل محمد وأولج قلبي فرح الإقبال إليك وألحقني بميدان المطيعين لك**) ودخل في الصلاة، فتهيأت أيضاً للصلاة ثم أقمت خلفه وإذا بمحراب قدامه وكلما مر بآية فيها الوعد والعيد يرددها بانتحاب وحنين، فلما تقشّع الظلام قام فقال: (**يا من قصده الضّالون فأصابوه مرشداً وأمّه الخائفون فوجدوه معقلاً ولجأ إليه العائذون فوجدوه موئلاً متى (وجد) راحة من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد غيرك بهمته؟ إلهي انقشع الظلام ولم اقض من خدمتك وطراً ولا من حياض مناجاتك صدراً صلّ على محمد وآل محمد وأفعل بي أولى الأمرين بك**).

إلى أن قال: فقلت: من أنت بالذي ترجوه؟

فقال: أما أن أقسمت فأنا علي بن الحسين.

المناقب،ابن شهراشوب،٤:١٤٢.

قراءة في كتاب:

داعية وليس نبياً...!

قراءة نقدية لمذهب محمد عبد الوهاب في التكفير

المؤلف: حسن بن فرحان المالكي

الناشر: دار الرازي/ الأردن

الطبعة: الأولى/٢٠٠٤م

عدد الصفحات: (١٩٨) صفحة

علي الفحام •

ينابيع تحتاج الساحة الإسلامية اليوم إلى استيعاب الصوت المعتدل في الحركة السلفية والذي تحرر من اثنين من أشد أغلال السلفيين (التعصب والانغلاق) ليفتح قلبه على الفكر والمنطق والإنصاف ويخضع عقله للدليل الشرعي بعيداً عن الهوى المضل والتعصب الأعمى.

وفضيلة الشيخ (حسن بن فرحان المالكي) مؤلف كتاب (داعية وليس نبياً) هو أحد هؤلاء السلفيين الذين اتخذوا الحيادية والمنهج العلمي الصحيح في قراءة التاريخ الإسلامي واستقصاء الآراء الخلافية للمذاهب الإسلامية، ومن ثم التأسيس لنظرة فقهية وعقائدية معتدلة للمنهج السلفي تمتاز بحركية التجديد والنقد الذاتي من جهة والإنصاف للآخر من جهة أخرى، وما هذه النظرة المنفتحة إلا نتاج لانفتاح القلب وسعة الأفق العلمي الذي يتميز به الشيخ المالكي.

وفي كتابه (داعية وليس نبياً) نجد أن الشيخ حسن بن فرحان (المحقق السني السعودي) يتناول مؤسس الفكر الوهابي (محمد بن عبد الوهاب) بالجرح والتعديل، فهو يقدم دراسة نقدية منصفة للمنهج الذي ابتدعه عبد الوهاب لتكفير المسلمين، وإذا علمنا أن التيار الوهابي المتشدد في السعودية يرى في مجرد الرد على محمد عبد الوهاب رداً على الإسلام، نستطيع أن

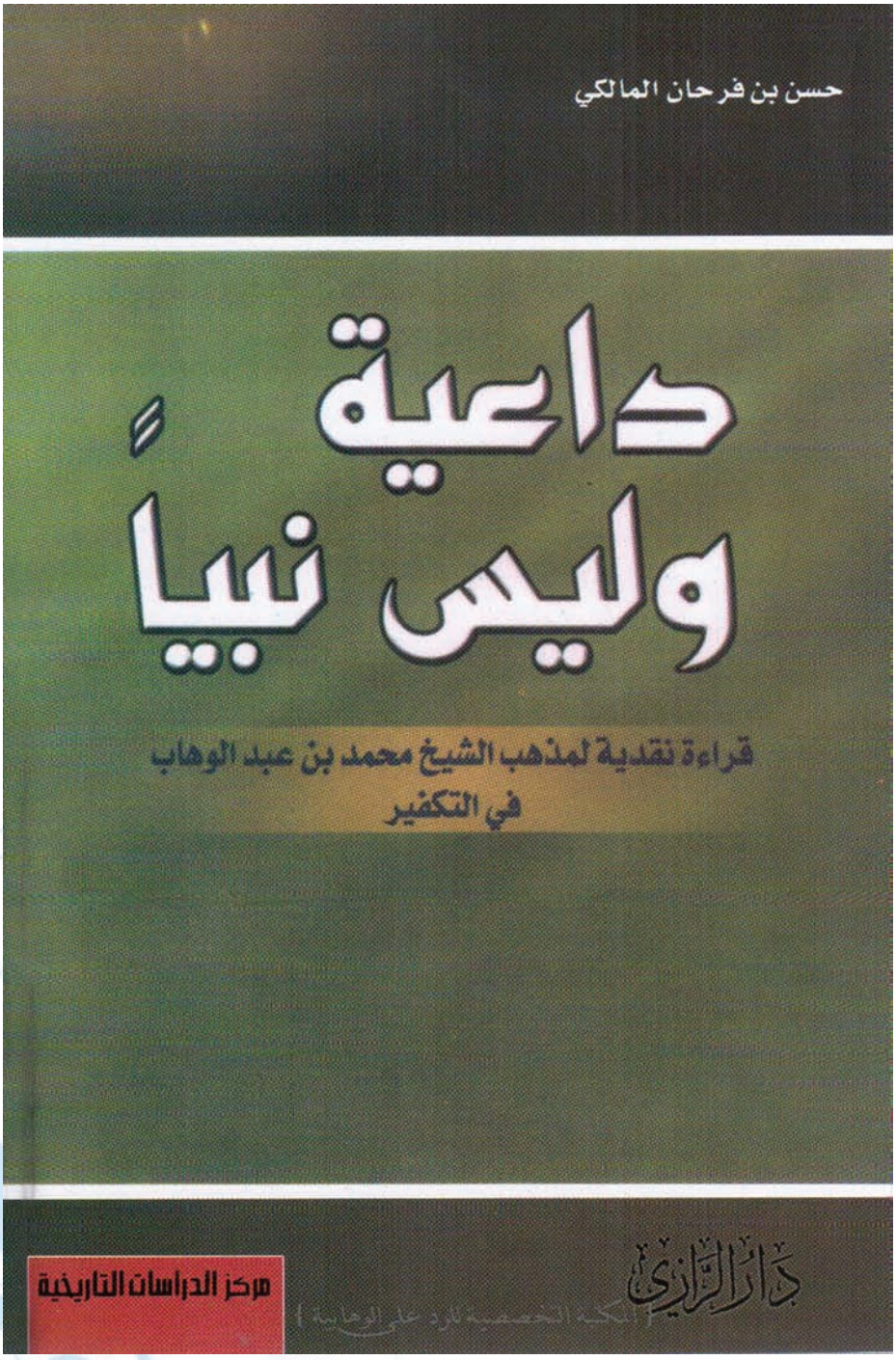
حسن بن فرحان المالكي
داعية وليس نبياً
قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير
دار الرازي
[المكتبة التخصصية للرد على الوهابية]
مركز الدراسات التاريخية

فتارة وصف بأنه (زيدي)، وأخرى بأنه (رافضي)، وأحياناً يوصف بأنه (عدو الصحابة) لأنه يقدم مقاربة موضوعية جديدة لتقييم الصحابة تتجاوز التناقضات المقيتة في نظرية (عدالة الصحابة).

ولكن شجاعة الرجل وشعوره بالمسؤولية الشرعية ـ كما يصرح هو ـ دعته إلى الاستمرار في عملية النقد الذاتي، فعرض لقراءة نقدية وافية لمنهج التكفير الوهابي من خلال استعراض ثلاثة كتب لمحمد عبد الوهاب تشكل دستوراً لدى الكثير من المدارس التكفيرية في العالم، وهذه الكتب هي: (كشف الشبهات)، (الدرر السنية)، (التوحيد).

وبالرغم من أن المؤلف يرى أن لمحمد عبد الوهاب فضلاً (على كثير من المسلمين في العالم) ـ وهذا مما لا نتفق فيه معه بالتأكيد ـ فإنه في المقابل يرى أن تشدده في التكفير جلب على السعودية وعلى الكثير من المسلمين في العالم أضراراً بالغة، من خلال تأصيل مبدأ التكفير كعقيدة زرعها عبد الوهاب في نفوس مريديه ليؤسس تياراً فكرياً حمل على عاتقه تكفير السواد الأعظم من المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، مما جعل الأمة تتخبط في دائرة العنف والعنف المضاد فكرياً، وقد غدا هذا الفكر أحد الأسباب الرئيسية للقطيعة الفكرية التي يعيشها علماء الأمة ومفكروها والصراع الحضاري والنفسي الذي وقف عائقاً أمام تقدم الأمة وازدهارها.

المبحث الأول:
قراءة في كشف الشبهات

عرض المؤلف مناقشته لكتاب (كشف الشبهات) لمحمد بن عبد الوهاب على شكل (ملحوظات) بلغت (ثلاثة وثلاثين ملحوظة) تناول فيها سمات الفكر التكفيري لمؤسس المذهب الوهابي وأبرز التنظيرات العقدية المتضمنة في هذا الكتاب الذي وصفه المؤلف بأنه (على صغره يتميز بالوضوح، وتلقين الحجج والبراهين)، وقد اختاره المؤلف من بين بقية الكتب (لانتشاره الواسع بين كثير من طلبة العلم وأثره الواضح فيهم) وذكر المؤلف قبل أن يورد أخطاء محمد بن عبد الوهاب في هذا كتابه (كشف الشبهات) أن هذا الكتاب (طبع عدة مرات بتحقيق بعض من ينتسب للعلم ولم ينبهوا على خطأ واحد من هذه الأخطاء الآتية، وهذا منهم إما تواطؤ على الخطأ وإما عدم إدراك للخطأ نفسه، وكلا الأمرين أحلاهما مر)!!

أقول: ذكر الأستاذ صالح الورداني في كتابه (مدافع الفقهاء) ص١٢٢ أن كتاب كشف الشبهات (فرضه آل سعود على أهل مكة حين سقطت في أيديهم وأجبروا الناس على قراءته وتدريسه بالحرم المكي)!! ويقول الأستاذ عمر عبد السلام في كتابه (مخالفة الوهابية للقرآن والسنة) ص٨٠: (لقد خاطب سعود أهل مكة قائلًا: لقد أعددت نفسي هذا العام لقتال أهل العراق، ولكن عندما سمعت أن المسلمين (يعني الوهابيين المشركين) قاتلوا أهل الطائف وأرادوا أن يأتوا إليكم خفت من هجوم الأعراب البدو عليكم، احمدوا الله الذي هداكم للإسلام (يعني شرك الوهابيين) وأنقذكم من الشرك (يعني من التوحيد). وقد أرعب مفتي مكة رعبًا شديدًا قائلًا: هكذا يقول الأمير سعود!! على إثر ذلك أمر سعود العامة

والخاصة بتعلم بدع محمد بن عبد الوهاب وعقائده التي طرحت في كتاب (كشف الشبهات) ولم يكن يملك هؤلاء غير السمع والطاعة)!!

يوضح المؤلف في نقده لكتاب (كشف الشبهات) بشكل مفصل مبدأ محمد عبد الوهاب في التكفير الذي يعتمد على تقديم مقارنة غير موضوعية وغير منصفة بين المشركين في عهد الرسالات، وخاصة رسالة نبينا محمد ﷺ وبين المسلمين في عصرنا الراهن، وفي بعض الموارد نجد عبد الوهاب يفضل المشركين على المسلمين في هذا العصر!

يحاول محمد عبد الوهاب الإيحاء ـ بل التصريح ـ أن مشكلة المشركين لم تكن بعدم إيمانهم بالله فهم قوم كانوا (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله)!! ولكن مشكلتهم أنهم كانوا (يغلون في الصالحين) ويجعلون منهم وسائل تقربهم إلى الله ولذلك جاء الرسل ـ بحسب رأيه ـ ليخرجوا الناس من الشرك في عبادة الصالحين إلى عبادة الله الخالصة والخالية من الغلو!

وعلى هذا فالنتيجة التي يصل إليها عبد الوهاب أن المسلمين اليوم الذين يغلون في علمائهم وأئمتهم ويعظمون الصحابة والأولياء الصالحين ويتوسلون بالقبور ويستغيثون بالنبي وأهل بيته وصحابته هم (كفار مشركون) لا يختلفون عن كفار الجاهلية! بل هو يفضل الكفار على المسلمين ويقول (إنهم كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً) ويقول أيضاً (إن جهال الكفار أعلم من بعض المسلمين بمعنى لا إله إلا الله)!!

يستمر الشيخ حسن المالكي بعرض كتابات محمد عبد الوهاب ويرد عليها بموضوعية جادة وبسخرية أحياناً، ويبين أن عبد الوهاب كان يكفّر كل علماء زمانه من السنة فضلاً عن الإمامية والزيدية والمذاهب الأخرى، وبالتالي تكفير المجتمعات الإسلامية باستثناء المجتمع الذي يتبنى أفكاره، وعلى هذا الأساس قسم العالم الإسلامي إلى (دار إسلام) و(دار شرك)!! ويرى المؤلف أن من السهام الخفية في تنظيرات عبد الوهاب أنه ذكر أن رسول الله ﷺ إنما قاتل المشركين لأنهم (جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله)!! إذ يرى المالكي أن محمد بن عبد الوهاب بمثل هذه التنظيرات أقنع (جموعاً ممن لا علم لهم بخطورة التكفير ولا نظر لهم في العلوم، فاجتاحوا الجزيرة تكفيراً وتقتيلاً..).

أقول: إن من جهل الوهابية أنهم كفروا سواد المسلمين لاستغاثتهم بالصالحين وتوسلهم بالنبي وآله الطاهرين، مع أن إجماع الصحابة وعلماء السلف من كل الفرق على أن التوسل والاستغاثة ليس جائزاً فحسب، وإنما هو من القربات المستحبة التي يتقرب بها البعاد لله سبحانه وتعالى، ونذكر جانباً من تلك الروايات والأقوال:

أولاً: ما رواه البزار في مسنده عن ابن عباس مرفوعا بلفظ: (إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني). وهذا الحديث حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار كما في شرح ابن علان على الأذكار (١٥١/٥)، وقال الحافظ الهيثمي عنه في مجمع الزوائد

(٣٢/١٠): (رجاله ثقات) وزاد مؤكدا ومقراً بقوله: (وقد جرب ذلك).

ثانياً: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٤٩٥/٢): روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: (أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبيﷺ فقال؟يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. . . .). يقول الأستاذ حسن السقاف في مقدمته لكتاب (إرغام المبتدع الغبي) للحافظ ابن صديق المغربي ص٧: (إسناده صحيح وقد ضعف هذا الأثر الصحيح الألباني بحجج أوهى من بيت العنكبوت في توسله ص (١١٩-١٢١) وزعم أن مالك الدار مجهول. ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم فقط ليوهم قراءه أنه لم يرو عنه إلا رجل واحد وهو أبو صالح السمان. . . ويكفيني أن أقول في مالك الدار إن ابن سعد قال في الطبقات (١٢/٥): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب روى عن أبي بكر وعمر ثم قال وكان معروفا. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته: له إدراك أي إنه معدود من الصحابة ويكفيه في ذلك توثيقا ثم ذكر أنه روى عنه أربعة رجال وهم أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي. ثم قال: قال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر. . . وقد نقل الحافظ الخليلي في كتابه الإرشاد الاتفاق عل توثيق مالك الدار فقال هناك: (متفق عليه أثنى عليه التابعون)).

ثالثاً: حديث الدارمي في سننه (٤٣/١) حيث قال: حدثنا أبو النعمان (من رجال الصحيح)، ثنا سعيد بن زيد (من رجال الصحيح)، ثنا عمرو بن مالك النكري (قال عنه الذهبي: ثقة)، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله (من رجال الصحيح) قال: (قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوا إلى السماء حتى لا يبقى بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق).

رابعاً: قال الإمام النووي أيضا في المجموع (٢٧٤/٨) مبيناً ما يستحب أن يقوله من يزور النبيﷺ إذا وقف أمام القبر الشريف مخاطباً رسول اللهﷺ، ما نصه: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول اللهﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا ـ يعني سائر الشافعية ـ عن العتبي مستحسنين له قال: (كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً**﴾ وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي..).

خامساً: نقل الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء نصوصاً عديدة في عن علماء السلف في الترغيب بالتوسل والاستشفاع، فمثلا: في سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٩): قال إبراهيم الحربي ـ وهو من الثقات الأعلام عندهم ـ: (قبر معروف [الكرخي]

الترياق المجرب) ويعلق الذهبي على كلامه بقوله: (يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء)، وفي سير أعلام النبلاء أيضاً (١٠/١٠٧) في ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليهم السلام: (والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين).

سادساً: يقول العالم السني الكبير ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ في كتابه (الثقات) ٨/٤٥٧ في ترجمة الإمام الرضا عليه السلام: (زرته مراراً كثيرة وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا أستجيب لي وزالت عني تلك الشدة وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين).

سابعاً: في كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) لابن الجوزي ٢/٢٠١: أخبرنا [محمد] بن ناصر (ثقة حافظ ضابط) قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار (ثقة) قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد العتيقي (ثقة ت٤٤١) قال: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن عبدان الصيرفي (فوق الثقة كما قال الخطيب البغدادي) يقول: سمعت جعفر الخلدي (شيخ الصوفية، ثقة صادق) يقول: (كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبر الحسين، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء).

المبحث الثاني:
قراءة في كتاب (الدرر السنية)

يقدم المؤلف (أربعين أنموذجاً) من كتاب (الدرر السنية) تعد من أهم الأدلة على (الغلو في التكفير) ويورد المؤلف في الهامش نقلاً عن مفتي المملكة السعودية الأسبق (عبد العزيز بن بارز) أنه أوصى بترك الكثير من تلك الفتاوى التي كانت غاية في التكفير!! ويعرض المالكي في نهاية المبحث (خمسة وعشرين تناقضاً) وقع فيها محمد بن عبد الوهاب!! ومن عجيب الفتاوى التي وردت في هذا الكتاب: (من شك في كفر الشيعة فهو كافر)!!! ١٠/٣٦٩

المبحث الثالث:
المسيرة تتواصل

ثم يعرج المؤلف على الموقف المتحيز لعلماء الوهابية المعاصرين الذين ساروا على منهج شيخهم في التكفير والانغلاق على الحضارة والمدنية فكفروا علماء السنة المعاصرين ـ فضلاً عن الشيعة ـ كالشيخ يوسف القرضاوي والعالم الأزهري محمد الغزالي وشيخ الأزهر الراحل محمد سيد طنطاوي والعالم السني العراقي الدكتور أحمد الكبيسي وشيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت وغيرهم، كما حرموا الرياضة والرسوم والصور الفوتوغرافية والتعليم العصري وتعليم البنات ولباس الشرطة ولبس (البنطلون) والتحية العسكرية والتصفيق بالنسبة للرجال لأنه من (خصوصيات النساء)!!

يقول المالكي في مقدمة المبحث الثالث: (جاء تلامذة الشيخ ومقلدوه ـ رحمهم الله وسامحهم ـ ليواصلوا التكفير فقالوا بتكفير قبائل قحطان والعجمان، وتكفير أهل حايل، وتكفير من خرج إلى البلدان خارج بلدان الدعوة إذا كان يرى إسلام أهل تلك البلدان!! وتكفير ابن العربي وابن الفارض، وتكفير أهل مكة

والمدينة، وتكفير الدولة العثمانية، بل وتكفير من لا يكفرها! وتكفير الإباضية وأكثر الفرق الإسلامية...)!!

ويلفت الكاتب النظر إلى نقطة بالغة الأهمية وهي أن الخط السلفي المعاصر المتشدد ورث (النصب لآل البيت) من السلفيين النواصب المتقدمين ـ كما يقول هو ـ كابن تيمية والفراء الحنبلي ومحب الدين الخطيب ولذلك نجدهم ـ أي السلفيين مستعدين لأن (يلمزوا في علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثون على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة أيضاً! كما هو حال الكثير من الرسائل الجامعية في السعودية)!! وهي شهادة صريحة وواضحة من داعية سلفي وهابي سعودي يشهد فيها على حالة التردي والسقوط التي تعيشها المؤسسات الدينية والأكاديمية في السعودية، جراء الفكر الناصبي التكفيري الذي أسس له شيخهم عبد الوهاب.

من الأمور التي يجتمع فيها المؤلف مع الشيعة قوله: إن الصحابة ليسوا سواء في فضلهم فمنهم الفاسق (كمعاوية والوليد بن عقبة) ومنهم المؤمن (كعمار وغيره)، وإيمانه بالظلم الذي أصاب أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين على يد الحكام الجائرين منذ الدولة الأموية إلى يومنا هذا، وذكره للعديد من المظالم والتصفيات الجسدية التي تعرّض لها كثير من علماء السنة بسبب دفاعهم عن أهل البيت عليهم السلام.

ويعترف المالكي أن شيخه عبد الوهاب: (ليس بذلك المحقق المدقق مع ضعف ظاهر بالحديث والتاريخ فلذلك أخذ يقمش كل التشددات في الحكم على الأمور بشرك أو بدعة، فيستشهد بمطلقات النصوص الصحيحة وصريحات النصوص الضعيفة وأكثر من بناء الأحكام التكفيرية الصريحة على حديث ضعيف أو أثر موضوع أو قياس فاسد مع صحة نية وقوة عبادة وهمة تدفع الجبال...)!! ولا ندري أية (نية) و(عبادة) و(همة) بعد كل هذه الأدلة على جهل هذا الشيخ وانحرافه عن إجماع الأمة وسقوطه في وحل السياسة والتنظير للحكام الجائرين.

وفي الختام فإن الرجل (حسن بن فرحان المالكي)، وإن كان سلفياً له آراؤه الخاصة وتحليلاته لبعض المسائل الفقهية والعقائدية والتاريخية التي نختلف معه فيها، إلا أنه يمثل إحدى الشخصيات المعتدلة التي يفتقر إليها التيار السلفي الذي بات منتشراً في كل أصقاع العالم، وأعتقد أن الأمة بحاجة إلى هذا الخط المعتدل وسط موجة التكفير التي تكاد تأتي على الأخضر واليابس ووسط حالة الانطواء التي تعيشها المدارس الإسلامية ورفضها عملية المراجعة والنقد الذاتي وعدم الالتفات إلى واقع الأمة والتحديات التي تعيشها.

طلبة العلم ثلاثة

عن محمد بن يعقوب، قال: حدثني به محمد بن محمود أبو عبد الله القزويني، عن عدة من أصحابنا، منهم جعفر بن أحمد الصيقل، بقزوين، عن أحمد بن عيسى العلوي، عن عبّاد بن صهيب البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذ، ممار، متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلى من الورع، فدق الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوانهم هاضم، ولدينهم حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعقل، ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في برنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى، وجلاً، داعياً، مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه).

الكافي/١:٤٩ ح٥

أجوبة مسابقة العدد (٤٥)
وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ج. آخر ربيع الثاني ٣٦هـ.

السؤال الثاني: ج. أحسن الوديعة.

السؤال الثالث: أ. عقبة بن عامر البدري.

السؤال الرابع: ج. حسان بن ثابت.

السؤال الخامس: ب. ثلاثمائة وثلاثة عشر.

السؤال السادس: أ. السيد علي الهاشمي.

السؤال السابع: أ. أربع خصال.

السؤال الثامن: ب. عند بقيع الغرقد.

السؤال التاسع: أ. أربع.

الفائز بالجائزة الأولى: ذكرى هادي كاظم/ بابل ـ الحلة ـ الماشطة.

الفائز بالجائزة الثانية: ميثم عباس علي/ الديوانية ـ العسكري/ ٢.

الفائز بالجائزة الثالثة: حيدر كريم هادي/ الديوانية ـ العسكري/ ٢.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٤٧)

١ عاصر الإمام الصادق عليه السلام جده الإمام زين العابدين عليه السلام وسمع الشيء الكثير منه مثل الأدعية المذكورة في الصحيفة السجادية فكم سنة عاش معه عليه السلام؟

أ ـ خمس عشرة سنة. ب ـ ست عشرة سنة.

ج ـ سبع عشرة سنة.

٢ محمد بن أبي بكر من خلص أصحاب الإمام علي عليه السلام عبر عنه (ولدي من صلب أبي بكر) ولدته أمه أسماء بنت عميس في حجة الوداع فأين ولدته؟

أ ـ الأبواء. ب ـ ذات الحليفة.

ج ـ الجحفة.

٣ غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وآله. وقعت بعد غزوة بني النضير بشهرين، حيث لقي جمعاً من مشركي غطفان فما اسم هذه الغزوة؟

أ ـ غزوة ذات الرقاع.

ب ـ غزوة بني لحيان.

ج ـ غزوة بئر معونة.

٤ من الشهور الهجرية المباركة. اسمه في الإنجيل (حطة) لأنه يحط الوزر عمن يقوم فيه للعبادة، فما اسم ذلك الشهر؟

أ ـ شهر شعبان. ب ـ شهر رمضان.

ج ـ شهر ذي الحجة.

كوبون المسابقة

ينابيع ٤٧

جواب السؤال الأول
أ
ب
ج

جواب السؤال الثاني
أ
ب
ج

جواب السؤال الثالث
أ
ب
ج

جواب السؤال الرابع
أ
ب
ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ صفر/ ١٤٣٤هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ لما غصب حق أهل البيت أخرج الإمام علي عليه السلام ليلاً فاطمة عليها السلام والحسنين عليهما السلام وطاف على المهاجرين والأنصار يذكرهم بحقه ويدعوهم إلى نصرته فكم واحدًا من هؤلاء استجاب لدعوته؟

أ ـ ٤٤ شخصاً. ب ـ ٤٠ شخصاً.

ج ـ ٤ أشخاص.

٦ عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وآله شهد بدراً واستشهد فيه، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أرسله في سرية قبل الواقعة، فما الميزة التي نالها عبيد الله في هذه السرية؟

أ ـ كانت له أول راية عقدت في الإسلام.

ب ـ قتل أول مشرك قبل قيام الحرب.

ج ـ جلب الماء إلى جيش المسلمين.

٧ من أئمة أهل البيت عليهم السلام لقب بـ(صاحب الناحية) وقد تشابه اسمه مع اسم أحد أجداده فمن هو؟

أ ـ الإمام علي الهادي عليه السلام.

ب ـ الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ج ـ الإمام محمد بن الحسن الحجة عليهما السلام.

٨ ذكر الإمام الصادق عليه السلام أصحاب جده الإمام زين العابدين عليه السلام ثم خص مجموعة منهم ووصفهم بقوله: (ثقات علي بن الحسين) فكم كان عددهم؟

أ ـ اثنان. ب ـ ثلاثة

ج ـ أربعة.

٩ في منتصف شهر رمضان أشرق نور الإمام الحسن السبط عليه السلام فهو أول مولود للإمام علي والصديقة فاطمة عليها السلام فكم بين ميلاده وواقعة بدر؟

أ ـ يومان. ب ـ ثلاثة أيام. ج ـ أربعة أيام.

مجلة ينابيع

صورة أخذت في ستينيات القرن الماضي في بيت الشيخ محمد جواد الجزائري (في الوسط) وإلى يمينه الشيخ أحمد عارف الزين، والشيخ خضر الدجيلي، ويظهر فيها من اليمين الحاج عبد الزهراء فخر الدين، الشيخ شريف كاشف الغطاء، الحاج محمود فخر الدين، وفي أقصى اليسار الحاج إسماعيل فخر الدين

مؤسسة الإنتشار الثقافة الإسلامية